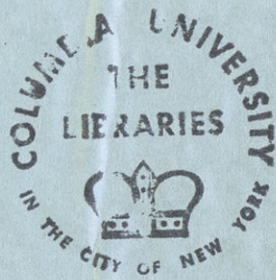


كتاب
التاريخ المشتمل على

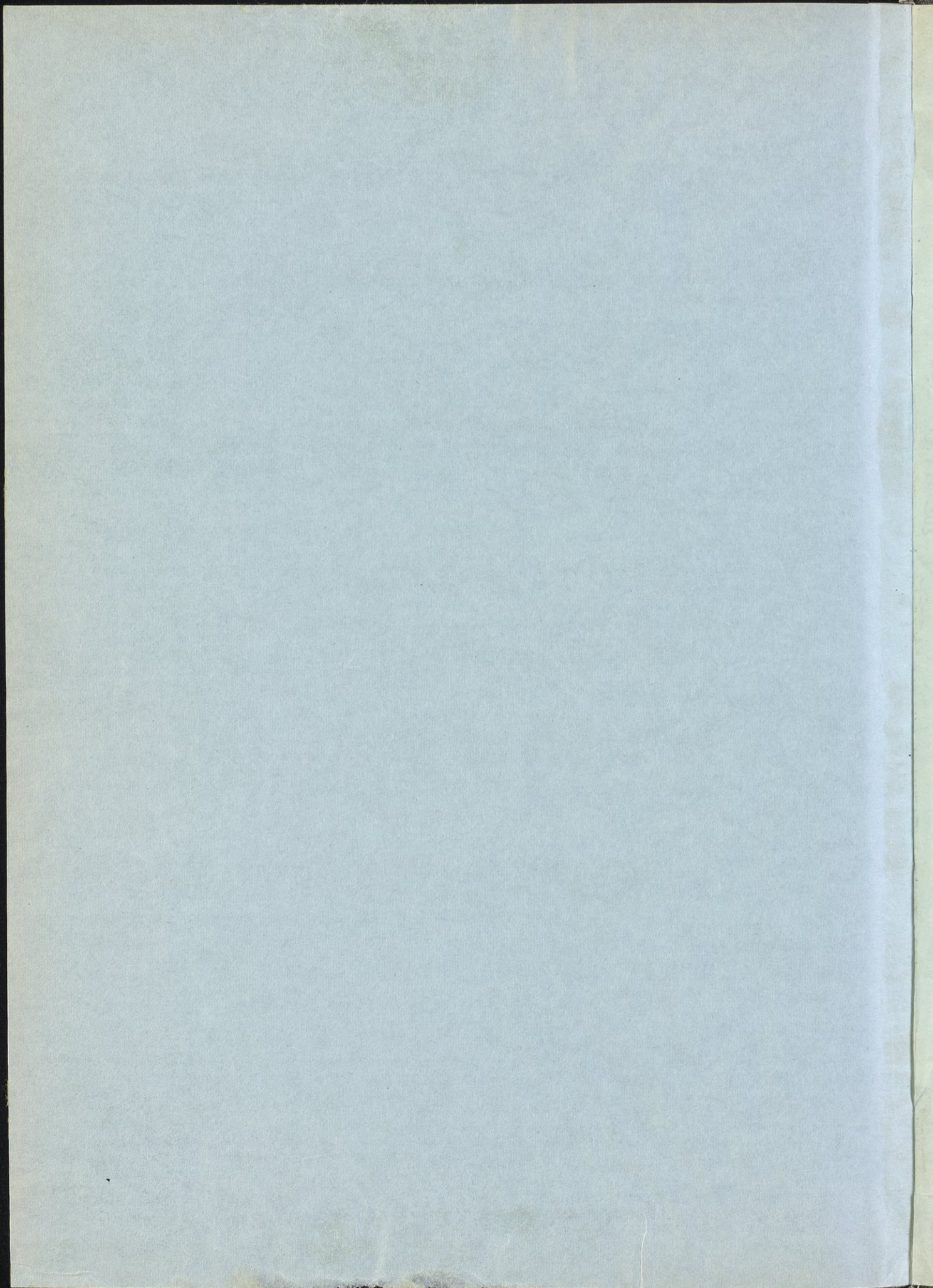
أخبار
السلطنة في عهد السلطان

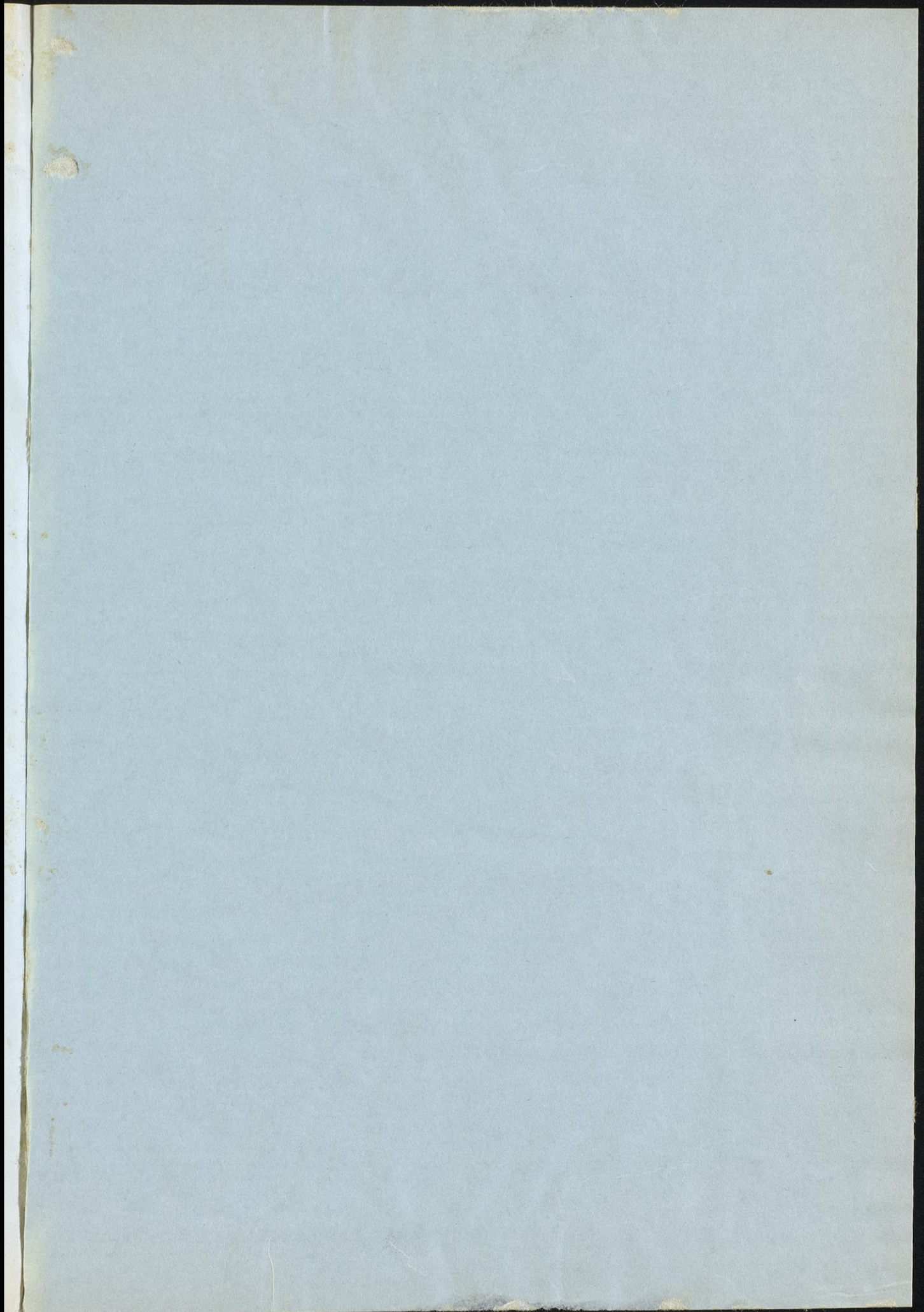


الملك



GENERAL
LIBRARY





الهدى
إلى دين المصطفى

تأليف

(الإمام المجاهد)

الشيخ محمد جواد البلاغي

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

فام شهره

الشيخ علي الاخواندي

صاحب

دار الكتب الإسلامية - قم

BP
130.4
B28
1966

Vol 2

تمة الفصل الثاني من المقدمة الثالثة عشرة في دفع الإعتراض

﴿ على القرآن الكريم من حيث وضع الأرض ﴾

قال الله تعالى شأنه في شأن ذي القرنين في سورة الكهف ٨٤ : (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) .

فاعترض المتكاف على ذلك (يه ٢ ج ص ٩١) ، وجعله من الجهل بمبادئ علم الفلك .

(قلت) : لا يخفى ان المغرب أمر مبهم إضافي ، وان لكل ناحية مغرباً وهو ما تغيب فيه الشمس عن تلك الناحية ، والمغرب العمومي للمعمور القديم وهو (آسيا وافريقيا واوربا) إنما هو البحر المحيط ، فالشمس لا تغرب عن المعمور المعتد به من هذه القطع الثلاث إلا ويكون تمام غروبها أو بعضه في البحر المحيط .

والآية الكريمة تعرضت لسر الغيب الذي أظهره الإكتشاف بعد قرون عديدة ، وجرى التعبير في الآية عن البحر بالعين مجازاً ، كما جرى التعبير في بليغ الكلام عن الفرات بالنطفة (وهي القطرة من الماء ونحوها) وهو من محاسن المجازات في مقامها ، وبوصف هذه العين بكونها حمئة ذات طين قد اشير إلى غيب (امريكا) لأنه لا يكون تخصيص هذا البحر ، ووصفه بكونه ذا طين إلا باعتبار الإشارة الى امريكا ، فلا تحسب ان وصف البحر

بكونه ذا طين كان باعتبار وجود الطين في قراره أو حافته وشواطئه ، لأن كل بحر وكل نهر وكل عين لا بد أن يكون في حافته وقراره طين ، فلا بد أن يكون المراد هو الطين الذى فى وسطه .

ومقتضى المناسبة فى وصف المحيط العظيم بأن فى وسطه طيناً لا بد أن يكون المراد منه قطعة امريكا ، ألا ترى ان أقل الأقطار لهذا المحيط يبلغ مائة وثمانين درجة ، كما فى ناحية الدرجة السادسة والستين وما قاربها من العرض الشمالى ، فما ظنك بالطين المناسب لوصف هذا البحر به ، أترأه يناسب أن يكون غير امريكا .

(فإن قلت) : إذن فلماذا عدل عن إيضاح هذه الحقيقة بالصراحة إلى الإشارة إليها بهذه الإشارة وهذه العبارة (قلنا) : ان حكمة الوحي فى دعوته إلى الهدى ودين الحق لتقتضى أن لا يلقى على أذهان الناس شيئاً يثقل عليها بمخالفته لقطعياتهم الوقتية إلا أن يكون فى أمر الدين وتعليم الشريعة ، فإن الدين المدعو إليه أثقل ما يكون على الأهواء والجهالات المألوفة ، فلا يصح فى الحكمة أن يلقى أيضاً على أذهان الناس صراحة ينكرونها بجهالاتهم مع انها لا يههم أمرها فى الدين الذى هو الغرض من الدعوة ، فإن ذلك معثرة فى سبيل الهدى وناقض للغرض من الدعوة .

ألا ترى انه قد ذهب قوم فى الاعصار القديمة إلى ان الارض كشكل السفينة الطافية على الماء ، وذهب آخرون إلى تكفير من يقول بكرويتها ، أفترى يحسن مع ذلك فى حكمة الوحي أن يضاد أذهانهم بالصراحة بوجود امريكا ، ألم تسمع ان (كولمبيوس) لا عرض على الدرل أفكاره فى اكتشاف الطريق البحرى من أوروبا إلى الصين لم يحتفلوا برأيه إلا بالتسفيه ، وإنما أسعفته ملكة اسبانيا من خالص مالها التزاماً بوعدها ، فأسعده الجد بالعثور على امريكا من حيث لا يحتسب .

222
82/56/17

22202

هذا مع ان كروية الأرض المقتضية لتصحيح أفكاره وتصويب مشروعه كانت مقررة مسلمة في ذلك الوقت .

والحاصل ان الحكمة اقتضت للقرآن الكريم أن يشير إلى حقيقة امريكا في البحر المحيط بنحو لا يصادم الجهل ، بل بإشارة يسطع نورها ، ويتضح مرادها عند انكشاف الحقائق للحس في الأعصر التي يترك فيها التقليد للاسلاف في الطبيعيات ، ونسأل الله برحمته ولطفه أن يوفق عباده لتترك التقليد في معارف الدين ، وهو القائل جل شأنه : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ، ولك العبرة في حسن هذا المجاز في هذه الإشارة ولطف اسلوبه ومناسباته وجريانه على مقتضى الحكمة في الإشارة الغيبية في ذلك العصر فانه يظهر ذلك كله عند المقايسة بما يذكره الانجيل الراجح عن قول المسيح في خطاب اليهود انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام اقيمه ، فأنكر اليهود ذلك أشد الإنكار ، والانجيل يقول : انه قال ذلك عن هيكل جسده ، ولما قام من الأموات تذكر تلاميذه انه قال : هذا (يو ٢ ، ١٩ - ٢٢) ، وبقي هذا الكلام مجمولا حتى جعله اليهود باعتبار ظاهره من الذنوب التي تشبثوا بها في حادثة الصليب (مت ٢٦ ، ٦١ و ٢٧ ، ٤٠) ، هذا وزعم الانجيل أيضاً ان المسيح خاطب التلاميذ في مقام التعليم المضيق وقته بقوله : تحرزوا من خبير الفريسيين والصدوقيين ، وهو يريد بذلك تعليم الفريسيين والصدوقيين بعدوى أخلاقهم برذيلة الرياء والاخلاق الذميمة ، فنسب إلى المسيح انه أتى في مقام التعليم الديني المضيق بمجاز لا مناسبة له ولا يخطر المراد منه على البال حتى تحير التلاميذ فيه وصاروا يتفكرون ويتحاورون في أوهامهم (انظر مت ١٦ ، ٦ - ١٢ و مر ٨ ، ١٥ - ٢١) مع ان التعليم الديني هو أولى المقامات بالصراحة والبيان الشافي .

الفصل الثالث

(في السموات)

قال الله تعالى في سورة المؤمنين ٨٨ : (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) .

وفي سورة الطلاق ١٢ : (خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) .
فتشبت المتكلف بالهيئة الجديدة لجرئته بالاعتراض على القرآن الكريم في هذا المقام (فانظر به ٢ ج ص ٢٦) .

وان الهيئة الجديدة لو طابقت الواقع لما خالفت القرآن الكريم ، فاعلم ان اصحاب فن الهيئة وجدوا كواكب مرئية بعضها ساكن أو شبيه بالساكن ، وبعضها له حركات على الاستدارة موزونة متناسبة في تكرارها ، فحاولوا أن يجعلوا لتلك المتحركات أوضاعاً تناسب تلك الحركات وتنطبق عليها ، ولا تخرج عما عندهم من المقدت ليجمعوا من ذلك ميزاناً لبيان تلك الحركات ومقاديرها وآثارها ، وأحوال تلك الكواكب المتحركة بعضها مع بعض من حيث المحل والقرب والبعد .

فالمقدمون استخرجوا وضعاً للمتحركات مناسباً لتلك الحركات وبنوه على الحدس من مقدمات حسابية وهندسية واستحسانية وملاحظة الكاسف والمنكسف واقتضاء الحركات والتحريك ، وامتناع الخلاء ، والحرق والالتئام في الفلك ، وعدم الفضل في الأفلاك ، ولو أدت بهم المقدمات التي عندهم إلى وضع آخر مناسب لما امتنعوا عنه إذ لم يشاهدوا تلك الأوضاع التي بنوا عليها ، ولا يستندون في ذات الوضع إلى الحس .

والتأخرون منعوا كثير من مقدمات المتقدمين فتوجهوا بما عندهم من المقدمات والاستعداد إلى استخراج وضع آخر يناسب الحركات المذكورة

ولا تحسب ان نظاراتهم دلتهم على اوضع الذي يقولون به ، وإنما أدت بهم إلى توسعة دائرة الاحتمال والتخمين في أحوال ذات الكواكب ، فانظر إلى مقالاتهم ومباحثاتهم في هذا الفن .

نعم استخرجوا بها كواكب خفية ، ومن جملة ثلاث سيارات سموها (فلكان) و (اورانوس) و (نيطون) فأثبتوا لها ثلاثة أفلاك ، ثم انهم بتخمينهم جعلوا الكواكب اكر قائمة بنفسها في الخلاء وإنما الأفلاك عبارة عن دوائر متوهمة من استدارتها في الخلاء ، وجعلوا الشمس هي المركز لأفلاك الكواكب السيارة ، كما جعلوا الأرض من السيارات حول الشمس ، وجعلوا القمر أو الأقمار ليست بسيارات مستقلة وإنما هي توابع لسيارات اخر تدور عليها كما تدور بمدارها .

ولا تنفك مقدماتهم فيما ذهبوا اليه عن الحدس والتخمين كما تعرفه من مباحثهم ومباحثاتهم في ذلك ، مع ان من مقدماتهم ما هو قابل للنسج ، أو غير مستلزم للبدعي .

وانا وان منعنا على القدماء حكمهم بامتناع الخلاء فان جوازه لا يستلزم كون الأفلاك عبارة عن دوائر خلائية يفرضها الوهم في مدار السيارات ، بل يجوز أن تكون الأفلاك أجراماً شفافة لا تحجب ما وراءها ولطيفة لا لون لها ، ولا تتلون بغيرها ، ويجوز في طبيعتها الخرق والالتئام ، بل ان سعادة التوفيق للإعتقاد بوجود الإله القادر الحكيم مما يوضح فساد القول بامتناع الخرق والالتئام .

والحاصل ان كلا من وضعي الهيئة القديمة والهيئة الجديدة يمكن من حيث انطباق الحركات المحسوسة عليه ، ولكنه يمكن أن يتعداه التحقيق والبحث في المقدمات إلى وضع ثالث ورابع وهكذا ، فلا يحسن الجزم بأحد الوضعين المذكورين بجميع تفاصيله المدونة إلا بالمشاهدة التفصيلية للجزئي والكلبي ، أو

بالتفصيل من صراحة الوحي ، ولكن الحكمة الالهية لم تقتض أن يتولى الوحي بصراحته تفصيل ذلك بجميع أنحاءه جزئياً وكلياً ، بل مقتضى الحكمة الالهية واللطف في حصول الغرض من الدعوة هو ان لا يبين حقيقة ذلك على الدقة والتفصيل لئلا يتمرد على الدين الذي هو الغرض من سولت له أوهامه وقطعيات وقته خلاف ما يذكره الوحي ، فيكون بيان غير المهم معثرة في سبيل المهم .

ولا يسع المقام للمناقشة في المقدمات التي استندوا اليها في كل من الهيئتين ، ومع هذا كله فالقرآن الكريم لم يصرح بخلافهما لئلا يجترأ المغرور باحدهما على الاعتراض بجهله وإلحاده على كلام الله ، فتكون الصراحة معثرة في سبيل الايمان .

وان قوله تعالى : (سبع سموات والسموات السبع) لا يمتنع انطباقه على كل واحدة من الهيئتين أعني القديمة والجديدة ، فيمكن أن يقال على الهيئة القديمة ان السموات السبع هي أفلاك السيارات السبع ، وان فلك الثوابت هو الكرسي في قوله تعالى في سورة البقرة ٢٥٦ : (وسع كرسيه السموات والأرض) وان الفلك الأطلس المدير على ما زعموا هو العرش في قوله تعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) .

ويمكن أن يقال على الهيئة الجديدة ان السموات السبع هي أفلاك خمس من السيارات مع فلكي الأرض و (فلكان) والعرش والكرسي هما فلكا نبتون واورانوس ، وأما الشمس فهي مركز الأفلاك ، والقمر تابع للأرض وفلكه جزء من فلكها ، هذا كله في مقابلة من اشرب في قلبه إحدى الهيئتين ، والله أعلم بحقيقة الحال .

وأما الأرض فلم تذكر في القرآن الكريم إلا مفردة ، نعم قال جل اسمه (خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) ، وهو يحتمل وجوهاً ثلاثة :

(الأول) أن يراد مثلهن في الطبقات باعتبار اختلاف طبقات الأرض في بدائع الحكم والآثار .

(الثاني) أن يراد مثلهن في عدد القطع والمواقع المعتد بها (كآسيا) و (أوربا) و (أفريقيا) و (أمريكا الشمالية) و (أمريكا الجنوبية) ، و (أستراليا) ، وأرض لم تكتشف بعد ، أو لاشتها الحوادث البحرية بالكلية ، أو بقى منها ما لا يعتد به ، أو هي ما تحت القطب الجنوبي ، على ما يظن البعض .

(الثالث) ان يراد بالمائل للسماوات هو غير أرضنا بل ما هو من نوعها فيراد منه ذات السيارات على الهيئة الجديدة ، أو ما هو مسكون من الكواكب ولم يظهر للإكتشاف ، والله أعلم بحقيقته .
وبما ذكرناه يظهر لك غلط المعترض على القرآن الكريم بالهيئة .
ولئن صح الاعتراض بالهيئة فان العهدين الزائجين هما المخالفان للهيئة القديمة والجديدة .

فقد جاء في التوراة وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلا بين مياه ومياه فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد ، وكان كذلك ودعا الله الجلد سماء (١ تك ١ ، ٦ - ٩) ، وبهذا الكلام صرحت بمخالفة الهيئة القديمة حيث حكمت بأن السماوات فوقها مياه ، وانها فاصلة بين المياه التي فوقها والمياه التي تحتها .

وكذا قول المزامير يا أيتها المياه التي فوق السماوات (مز ١٤٨ ، ٤) وخالفت الهيئة الجديدة حيث قالت في أصل العبراني بدل الجلد (رقيق) وهو الشيء المبسوط (انظر في الاصل العبراني مز ١٣٦ ، ٦ ، و اش ٤٢ ، ٥ و ٤٤ ، ٢٤) .

وعلى ذلك جاء قوله الذي ينشر السماوات كسرادق أو يبسطها كخيمة

للسكن (اش ٤٠ ، ٢٢) وعلى ذلك أيضاً جاء ان السموات تلتف كدرج (اش ٤ ، ٣٤) وكالدخان تضحل (اش ٥١ ، ٦) وتنحل ملتزمة (٢ بط ٣ ، ١٢) وهي والأرض تيبد وكلها كشوب تبلى كرداء تتغير (مز ١٠٢ ، ٢٥ و ٢٦) ، وانها انفتحت (مت ٣ ، ١٦) وانشقت (مر ١ ، ١٠) وانفلقت كدرج ملتف (روء ١٦ ، ١٤) وهذه السموات المذكورة هي التي جعلوها في الهيئة الجديدة عبارة عن المداراة الموهومة للسيارات في الخلاء ، فلا يصح وصفها بالأوصاف المذكورة في العهدين .

وجاء في المزامير ان الشمس مثل الختن (أى العريس) الخارج من حجلته ، تتهج مثل الجبار للسباق في الطريق من أقصى السموات خروجها ومدارها إلى أقاصيها (مز ١٩ ، ٥ و ٦) وهذا مخالف للهيئة القديمة فان المقرر عند أصحابها ان الشمس ومدارها في السماء الرابعة لا في أقصى السموات ولا إلى أقاصيها ، ومخالف للهيئة الجديدة أيضاً لأن الشمس عند أصحابها مركز للسموات لا تدور وليس مدارها إلى أقصى السموات بل السيارات تدور عليها بخلاف قول العهد القديم الشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق (جا ١ ، ٥) .

(فإن قلت) ان المتكلف يزعم ان الهيئة الجديدة مبنية للحقائق الواقعية وزعيمة بالصواب .

ويزعم ان كتب العهدين الرائجين كلام الله السميع العليم ، فماذا يصنع أذن في هذه الإختلافات الصريحة ؟ (قلت) : إنما يتحير في ذلك من يتكلم بميزان ، وأما من لا يبالي فلا يعسر عليه أن يقول وعلى كل حال فلا مخالفة ، كما طبع في مبحث النسخ بقوله : وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الرابع

﴿ في دفع أوهام الاعتراض على قصص القرآن الكريم وتاريخه ﴾

(صدر ، وتمهيد)

اعلم ان أكثر اعتراضات المتكلف في هذا المقام يتشبت فيها بخلو العهدين الراجين مما يذكره القرآن الكريم أو بمخالفته لها ، فاقضى ذلك أن نذكره قبل الشروع في رد شططه ، ونعيد على ذهنك إجمالاً ما ذكرناه في المقدمة الخامسة عن كتب العهد القديم من ارتدادات بني اسرائيل ويهوذا وملوكهم في الشرك حتى ان مملكة بني اسرائيل كادت أن تتمحض للوثنية ، وبمملكة يهوذا يكاد نور التوحيد فيهم أن يتلاشى ، ثم تبدو منه ذبالة تخفق بها الأهواء . ومن جملة شؤونهم في ذلك ان هدموا بيت المقدس وصيروا كل أقداسه للبعليم (أصنام) ثم عادوا بعد ترميمه فأغلقوا أبوابه وأبواب الرواق وأطفأوا السرج ولم يوقدوا بخوراً ولم يصعدوا محرقة ، وجعلوا الآلهة الغريبة في بيت المقدس وعكفوا على ضلالات المشركين وعوائدهم القبيحة حتى كان فيهم ما بونون يسميهم العهد القديم (قديسيم ، قديسين) (وهم ذكور يندرون أنفسهم للأوثان لكي يلاط بهم) واستمرت هذه العادة القبيحة تتفاحش وتقل من أيام (رجبام) ابن (سليمان) (١ مل ١٤ ، ٢٤) الى أيام (يوشيا) حتى جعلوا بيوتهم عند بيت المقدس فهدمها (يوشيا) (٢ مل ٢٣ ، ٧) ، ومضت لبني اسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق ، ولا كاهن معلم ، ولا تورا ، وبيت المقدس بينهم عرضة للنهب والتخريب ، والتنجيس ، وجعل الأوثان فيه حتى إذا مضت أمان سنين من ملك (يوشيا) وطهر بيت المقدس وأراد ترميمه جاء (حلقيا) الكاهن بكتاب يزعم انه سفر التورا ، وقد وجده فقراء فيه

(يوشيا) ما لم يكن يعرفه ولا يعهده فطار به فرحاً ، واحتفل به هو وبنو اسرائيل احتفالاً عظيماً إذ سمعوا منه ما لم يكونوا يعرفونه ولا يعهدونه مع ان العادة والإعتبار الصحيح يمنعان أن يكون (حلقيا) وجده في المكان الذي زعم انه وجده فيه ، فمن ذلك الزمان تكون توراة بني اسرائيل هي بنت (حلقيا) المولودة في حجره .

ثم تبادى بنو اسرائيل بعد ذلك في تقالباتهم في الشرك إلى أن سببهم (بخت نصر) إلى بابل ، فقضى ذلك عليهم ان أثكلهم توراة (حلقيا) أيضاً حتى انهم لما رجعوا من السبي بعد دهر طويل فزعوا في اعادة ذكرها وتجديد اسمها إلى (عزرا) فصار يقرء عليهم جميعاً ما لا يعرفونه ولا عهد لواحد منهم به ، فلبس اسمها ثوب الوجود بعد العدم أيضاً .

وقد ذكرنا هذا كله مفصلاً ، وذكرنا مكابرات المتكلف فيه وبيننا شططها في الجزء الأول (صحيفة ٢٤ - ٢٩) .

ونذكرك أيضاً بما ذكرناه في المقدمة السادسة من وجوه الخلل ، وخصوص شهادة (ارميا) النبي على بني اسرائيل بتحريف كلام الله وتحويلهم توراة الله إلى الكذب بكذب قلم الكتبة واستغاثة (اشعيا) النبي من تحريف اليهود واستعظامه لذلك ، وخصوص ما ذكرناه من تحريف المطابع والتراجم فراجع الجزء الأول وخصوص الصحيفة ٣٥ - ٣٨ .

ونذكرك أيضاً بما مر في متفرقات الكتاب ، مما يمتنع من كتب العهد القديم أن يكون من الوحي الإلهي كما أوضحه البرهان ، ونستلفت نظرك إلى ما يأتي من هذا القبيل .

ونذكرك أيضاً بما حكينا في الجزء الأول (صحيفة ٣٢٥) عن بعض المفسرين المدققين في حكمهم بأن قصة (بلعام) المذكورة في سفر العدد (ص ٢٢ - ٢٤) هي دخيلة في التوراة ، أي ليست منها وإنما أدخلها عبث الكذب .

ونستلفت نظرك الى ما نقله إظهار الحق في الباب الثاني عن مفسري
النصارى في حكمهم بزيادات كثير من فقرات العهدين ، ووجود كثير
من السقط والتحريف فراجع .

(نتيجة)

ومن هذا كاه أو بعضه تحصل لك شهادة قاطعة من ذات العهد القديم
ومعاملة متبعيه معه بأن العهد القديم أجنبي عن النسبة إلى الوحي ، بعيد العهد
به قد استولى عليه التلفيق ، والخلل ، والتحريف ، والخطأ ، واشتماله
على ما لا يعقل ، أو يؤول إلى الكفر على وجه لا يترك لعاقل عليه اعتماد
ولا يتداركه مغالطة مكابر .

﴿ التنبيه المقصود هاهنا ﴾

ونزيدك هاهنا على أن ننبهك على أمور داخلية في العهد القديم تكشف
لبصيرتك حق اليقين ، وهو أن أصله العبراني الراجح إنما هو مأخوذ من نسخة
وحيدة لا ثانية لها ، وهي مملوءة بالغلط والسقط ، ولكنهم لا ملجأ لهم
سواها ، بل اغتموا وجودها بعد العدم الكلي تجديداً للآثر الدارس وتعبدوا
باتباعها في وضعها ورسمها وغلطها الفاحش ، والامور العرضية الحالية عن
الفائدة في وضع الكتابة .

ومع الإلتفات إلى هذا كاه أو بعضه لا يمكن للذهن الصافي من الشوائب
أن لا يتيقن بأن الراجح من التوراة العبرانية ليس مأخوذاً عن النسخة التي
كتبها (موسى) وسلمها للكهنة وشيوخ بني إسرائيل وأمر بوضعها بجانب
التابوت (تث ٣١ ، ٩ ، و ٢٤ ، ٢٧) .

ولا عما يشابه هذه النسخة ، إذ لا يعقل ان ما كتبه (موسى) أو كتب
بمراقبته يشتغل على هذه الأغلاط الفاحشة .

وكذا الكلام في باقي العهد القديم فإنه لا يمكن أن تكون كتابات الأنبياء
أو ما يكتب بمراقبتهم يشتمل على مثل هذه الأغلط الفاحشة .
بل يحصل لك اليقين بأن بني اسرائيل حينما حرصوا على اتباع هذه
النسخة وتعبدوا بصورتها المشوهة لم يكونوا يجدون غيرها ، بل حينما ظفروا
بها اغتموا بها تجديد الاسم لما اندرس من آثار سلفهم فأكرموا وحدتها
بالتعبد بصورتها لكي يتداركوا بإفراطهم في الجود تفريط اسلافهم في التقلب
والثقلون في الديانة حتى استأثر العدم بكتب الوحي وعادت نسياً منسياً ، ولم
يتعرضوا لتلك الأغلط إلا بالإشارة إلى صحيحها في الحواشي ، وتركوا
المتن على سقمه ، ولكن المترجمين أعرضوا عن مراعاة المتن وطابقوا
بتراجمهم تصحيح الحواشي ، فطابق أنت بين الأصل العبراني ، والتراجم
لكي يتضح لك الحال ولا تغترو بحسب ان الأصل على ما هو موجود في التراجم .
وانذرك لك ذلك في موارد :

(المورد الأول) ان الحواشي ذكرت نقصان الحرف في الأصل العبراني
من العهد القديم في أكثر من ستة وأربعين موضعاً منها في خصوص التوراة
أحد عشر موضعاً وأشاروا إلى ذلك في الحاشية بذكر الحرف ولفظ (حسر) .
(المورد الثاني) ذكروا زيادة الحرف غلطاً في مائتين وثلاثة عشر
موضعاً ، أربعة منها في خصوص التوراة ، وأشاروا إلى ذلك بذكر
الزائد ، ولفظ (يمتير) .

(المورد الثالث) انهم وجدوا بعض الكلمات أو الحروف منقوطة عليها
بغير النقط التي هي علامات الحركات والسكنات المسماة في العبرانية (طعميم)
وذلك اما علامة المحو والضرب على الكلمة أو الحرف ، واما أن تكون لغواً
من غلط الكاتب وذلك في أحد عشر موضعاً في العهد القديم ، سبعة منها
في خصوص التوراة ، وقد أشاروا إلى ذلك في الحاشية بذكر المنقوط

عليه ولفظ (نقود) .

(المورد الرابع) انهم وجدوا في المتن حروفاً هي أكبر من اخواتها بلا خصوصية ولا إشارة ، فتعبدوا برسمها كبيرة ، وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعاً ، خمسة عشر منها في خصوص التوراة ، فأشاروا في الحاشية برسم الحرف الكبير ولفظ (رباني) .

(المورد الخامس) انهم وجدوا أيضاً بعض الحروف أصغر من اخواتها بلا خصوصية ولا إشارة أيضاً فتعبدوا برسمها صغيرة ، وذلك في سبعة وعشرين موضعاً ستة منها في خصوص التوراة ، وأشاروا الى ذلك برسم الحرف ولفظ (زعيرا) .

(المورد السادس) قد ذكروا في حاشية الأصل العبراني أكثر من ألف موضع تكون فيه القراءة على خلاف المكتوب في المتن ، وذلك يرجع الى تصحيح الأغلاط الواقعة في المتن من حيث التذكير والتأنيث ، والافراد والتثنية ، والجمع ، وابدال بعض الحروف ببعض غلطاً ، وسقوط بعض الحروف وتقديم بعضها على بعض غلطاً ، وأشاروا الى ذلك في الحاشية بذكر القراءة الصحيحة ، ولفظ (ق) أو (قري) ، وقد وقع من ذلك في خصوص التوراة ما يزيد على سبعة وسبعين موضعاً .

ولأجل شهادة الحال وسوق الكلام ومعلومات اللغة على غلط المتن جرت التراجم على طبق الحواشي إلا نادراً ، وهذا من المترجمين أيضاً شهادة وتصديق على غلط الأصل العبراني .

(نموذج هذا المورد)

ولنذكر لك من هذا المورد انموذجاً من التوراة ، وسائر العهد القديم في مواضع :

١ - اِخْتِلافُ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ وَاسْقَاطُ بَعْضِهَا .

فَقَدْ جَاءَ فِي التُّورَةِ إِسْمُ بَلَدَةٍ مِنَ الْبِلَادِ مَرَّةً (صَبِيْم) بِبَاءٍ مَضْمُومَةٍ وَبَاءٍ وَاحِدَةٍ (تَك ١٠ ، ١٩) وَسُمِّيَتْ مَرَّةً أُخْرَى (صَبِيْم) بِبَاءٍ مَضْمُومَةٍ وَيَائِيْنِ (تَك ١٤ ، ٢ ، ٨) ، وَالَّذِي عَلَيْهِ التَّرَاجِمُ وَتَصْحِيحُ الْقِرَاءَةِ فِي الْحَاشِيَةِ هُوَ إِثْبَاتُ الْوَاوِ بَعْدَ الْبَاءِ .

وَأَيْضاً تُسَمَّى الْأُمَّةُ (جَوِي) وَالْأَمَمُ (جَوِيْم) (انْظُرْ تَك ١٥ ، ١٤ وَ ١٤ ، ١٠ وَ ٩) ، ثُمَّ جَاءَ فِيهَا (جِيْم) بِاسْقَاطِ الْوَاوِ وَضَمِّ الْبَاءِ الْأَوَّلِيِّ (تَك ٢٥ ، ٢٣) وَصَحَّحَ فِي الْحَاشِيَةِ بِلَفْظِ (جَوِيْم) بِالْوَاوِ وَبَاءٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَيْضاً كَتَبَتْ (يَسْجُدُونَ) الْمُسْنَدُ لِلْجَمَاعَةِ مَرَّةً (يَشْتَحُونَ) بِوَاوِيْنٍ مَعَ تَشْدِيدِ الْأَخِيرَةِ وَمَرَّةً (يَشْتَحُو) بِوَاوٍ وَاحِدَةٍ ، (انْظُرْ تَك ٢٧ ، ٢٩) ، وَصَحَّحَتْ الْأَخِيرَةَ فِي الْحَاشِيَةِ بِوَاوٍ ثَانِيَةٍ .

٢ - زِيَادَةُ لَفْظِ (لَو) بِحَيْثُ لَا مَعْنَى لَوْ جُودَهَا (تَك ٢٩ ، ٢٨) .

٣ - اِبْتِدَالُ الْوَاوِ الَّتِي هِيَ ضَمِيرُ الْمَذْكَرِ الْغَائِبِ بِالْأَلْفِ فَتَكُونُ (لَو) بِمَعْنَى (لَهُ) (لَا) فَيَنْعَكِسُ الْمَعْنَى وَيَنْقَلِبُ الْمُرَادُ انْقِلَاباً فَاخِشاً (انْظُرْ خُر ٢١ ، ٨ ، وَلَا ١١ ، ٢١ ، وَ ٢٥ ، ٣٠) ، وَصَحَّحَتْ فِي الْحَوَاشِيِ وَجَرَتْ التَّرَاجِمُ عَلَى مَقْتَضَى التَّصْحِيحِ .

ثُمَّ لَنْسْتَدْرِكَ عَلَى الْحَوَاشِيِ بَعْضَ الْأَغْلَاطِ الَّتِي أَهْمَلْتُ تَصْحِيحَهَا ، وَنَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ :

وَذَلِكَ أَنَّ التُّورَةَ ذَكَرَتْ إِسْمَ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ (شَمْعُونَ) ابْنِ (يَعْقُوبَ) فَكَتَبْتُ اسْمَهُ (يَمُوئِيلَ) بِالْيَاءِ فِي أَوَّلِهِ (تَك ٤٦ ، ١٠) ثُمَّ كَتَبْتَهُ (نَمُوئِيلَ) بِالنُّونِ بَدَلَ الْيَاءِ (عَد ٢٦ ، ١٢) ، وَكَتَبْتُ إِسْمَ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ (جَادَ) ابْنِ (يَعْقُوبَ) (صَفِيُونَ) بِالْيَاءِ قَبْلَ الْوَاوِ (تَك ٤٦ ، ١٦) ثُمَّ كَتَبْتَهُ (صَفُونَ) بِاسْقَاطِ الْبَاءِ (عَد ٢٦ ، ١٥) .

وكتبت إسم واحد من أبناء (بنيامين) ابن (يعقوب) (مقيم) (تك ٤٦ ، ٢١) ، ثم كتبت (شفوفام) بفائين و (شوفام) بإسقاط الفاء الأولى (انظر عد ٢٦ ، ٣٩) .

وكتبت واحداً من أبناء (بنيامين) أيضاً (نيمان) بنونين من أوله وآخره ، ثم كتبت بإسقاط النون من آخره (انظر عد ٢٦ ، ٤٠) ، وبعكس هذا كتبت واحداً من أبناء (يهوذا) (شيلاه) بالهاء في آخره ، وكتبت واحداً من أبناء (يساكر) (فواه) بالهاء أيضاً ، ثم كتبتهما بحذف الهاء منهما وزيادة النون بدلها (انظر عد ٢٦ ، ٢٠ و ٢٣) .

وكتبت واحداً من أولاد (يعقوب) (شمعون) باواو قبل النون ، ثم كتبت بإسقاط او او (انظر عد ٢٦ ، ١٢ و ١٤) .

وبعكس هذا كتبت واحداً من أولاد (روابين) (حصرن) ، ثم كتبت بزيادة الواو قبل النون (انظر عد ٢٦ ، ٥) ، وفي هذا القليل كفاية فان التطويل يؤدي إلى السأم والملل .

ومن امموزج هذا المورد في العهد القديم كتابة (لو) أى له (لا) فينقلب المعنى من الإثبات الى النفي (اش ٤٩ ، ٥ و ٦٣ ، ٩) ، ومنه التقلب في كتابة (دمشق) فتارة تكتب هكذا (تك ١٤ ، ١٥ ، و ٢ مل ٨ ، ٧) وغير ذلك ، وتارة تكتب (در مشق) بزيادة الراء بعد الدال (١ أى ١٨ ، ٦ و ٢ مل ١٤ ، ٢٨) ، وتارة تكتب (دو مشق) بزيادة او او المشددة بعد الدال (٢ مل ١٦ ، ١٠) ، وكتب فيه من أسماء الأعلام (عخان) بالنون في آخره (يش ٧ ، ١٨) ثم كتبه أيضاً (عاخار) بابدال النون بالراء وزيادة المد (١ أى ٢ ، ٧) ، وكتب (داود) بكسر او او ، و (يورام) (٢ صم ٨ ، ١٠) ، ثم كتبتهما (داويد) بزيادة الياء و (هديرام) (١ أى ١٨ ، ١٠) ، وربما يقع التعرض لكثير من ذلك إن شاء الله فلنقتصر في الامموزج على هذا المقدار .

(المورد السابع) قد أشارت الحواشي إلى ان سبع كلمات في العهد القديم قد زيدت فيه غلطاً ، حيث نصت على انها كتبت وهي لا تقرأ ، وذلك لاختلال المعنى بوجودها ، كما هو ظاهر ، وهي هذه (١-٤) (م) (٢) صم ١٣ ، ٣٣ ، و ١٥ ، ٢١ ، و ار ٣٩ ، ١٢ و ر ٣١ ، ١٢ ، ٥ ، دات ، ار ٣٨ ، ١٦ ، ٦ ، « يدرك » ار ٥١ ، ٣ ، ٧ ، « حمش » حز ٤٨ ، ١٦ .

(المورد الثامن) وأشارت أيضاً الى ان عشر كلمات فيه قد سقطت منه غلطاً ، حيث نصت على انها تقرأ وهي غير مكتوبة وهي هذه (١) « بني » قض ، ٢٠ ، ٣ ، (٢) « الفرات » صم ٢ ، ٨ ، ٣ ، (٣) « ايش » صم ٢ ، ١٧ ، ٢٣ ، (٤) « دكن » صم ٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، (٥) « صيباتوت » مل ٢ ، ١٩ ، ٣٧ ، (٦) « بنيو » أي ابنا ٢ مل ١٩ ، ٣٧ ، (٧) « باثيم » ار ٣١ ، ٣٧ ، (٨) « له » أي لها ، ار ٥٠ ، ٢٩ ، (٩ و ١٠) « الي » ر ٣١ ، ٥ ، و ١٧ .

(المورد التاسع) قد استدركت الحواشي على الموجود في الاصحاح الحادى والعشرين من سفر (يشوع) عديدين محلها بين الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثين من المتن ، ونص معربها « ومن سبط روابين باصر ومسر حها ويهصه ومسر حها ، وقد يموت ومسر حها وميفعه ومسر حها أربع مدن » ، والتراجم الموجودة ادخلت هذا في نفس المتن ، وهذا بعينه موجود في الأصل العبرانى من سفر الأيام الاول (٦ ، ٦٣ ، و ٦٤) .

ففي الحواشي والتراجم وسفر الأيام الاول شهادة مرغمة بالنقصان في سفر يشوع العبرانى .

ويشهد لذلك أيضاً ان هذا الأصل بذاته صرح بأن المدن المعطاة لبني مرارى اثنتى عشرة (يش ٢١ ، ٣٩) ، مع انه لم يعد الاثمان مدن (يش ٢١ ، ٣٤ - ٣٩) . وصرح أيضاً بأن مدن اللاويين ثمانية وأربعين (يش ١٢ ، ٣٩) مع انه لم يعد إلا أربعاً وأربعين (يش ٢١ ، ٣ - ٣٩) .

ويشهد لذلك أيضاً ان باصر قد أفرزها (موسى) من سهم بني روايين مدينة للماجأ تكون للاويين كما أفرز (راموت) من سهم الجاديين وجولان من سهم المنسبين (تث ٤ ، ٤٣) .

وذكرت هذه المدن الثلاث ايضاً في (يش ٢٠ ، ٨) فلماذا لم تذكر « باصر » في الأصل العبراني في عداد الثمان وأربعين مدينة كما ذكر (راموت) و (جولان) والحاصل ان لزوم السقط في الأصل العبراني هاهنا من أوضح الواضحات ، وكذا في قول التوراة (تك ٤ ، ٨) وقال قاين لهاييل وكان بكونهم في الحقل ، وقام قاين الى هاييل أخيه فقتله ، انظر الأصل العبراني .

وزيادة على وضوح السقط والنقصان في هذا الكلام قد ذكرنا لك في الجزء الأول صحيفة ٣٧ كيف اضطرب في هذه العبارة المترجمون ، والنسخة السبعينية والنسخة السامرية ، وان هذه الموارد لتوضح لك وضوح الشمس في رابعة النهار ان مأخذ العهد القديم العبراني وخصوص التوراة لم يكن إلا نسخة وحيدة مغلوطة جداً قد اتبعوا غلطها فيما تداولوه عنها ، ولم يمدوا اليه يد التصحيح إلا في الحواشي وتركوا المتون على سقمها حرصاً على حفظ الاسم والصورة التي ظفروا بها بعد التلاشي ، وذلك لما هو المعروف من اضطراب أحوالهم ، كما شرحناه في المقدمة الخامسة عن كتبهم ، وتشهد به أحوالهم المشاهدة من انهم في امور ديانتهم بين تفريط فاحش ، وإفراط هو أفحش منه .

(المورد العاشر) زيادة الفقرات واعتراضها بين الكلام الذي لا ربط له بها ولا مناسبة فيها لمقامه حتى شوهدت وجه تاريخه المسوق له ، وذلك كالسادسة والسابعة من عاشر التثنية ، فإن عاشر التثنية بينما يذكر حديث موسى وكلامه في شأن صعوده الى جبل سيناء بعد واقعة العجل وما أمر الله به من تجديد اللوحين وافرأز بني لاوى لخدمة المسكن ، وحمل التابوت إذ قالت

بلا ربط ولا مناسبة وبني اسرائيل ناسعو مبارت بني يعاقان موساره شم
وبني اسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعاقان الى موساره هناك مت هرون
ويقابر شم ويكهن العازار بنو تحتايو ، مشم ناسعو هكد كداه مات هرون
وقبر هناك وكهن العازار ابنه بدله من هناك ارتحلوا الى الجد جداه ، ومن
هكد كداه يا طبائاه ارض نحلي مايم .

ومن الجد جداه الى يا طبائاه أرض أنهار ماء .

ومع ان هذه الفقرات في نفسها غلط صرف بملاحظة منازل بني اسرائيل
ومراحلهم بمقتضى الثالث والثلاثين من العدد المستقصى لذكر مراحل بني اسرائيل
ومنازلهم على التوالى والترتيب من مصر الى عربات مواب ، وسأذكر لك
محل الغرض من المنازل على مقتضى المرسوم فى الأصل العبرانى ففیه ٣٠
وارتحلوا من حشمناه ونزلوا بمسروت وارتحلوا من مسروت ونزلوا بني يعاقان
وارتحلوا من بني يعاقان ونزلوا بحر الجد جداد وارتحلوا من بحر الجد جداد ونزلوا
بياطبائاه وارتحلوا من ياطبائاه ونزلوا بعبرناه وارتحلوا من عبرناه ونزلوا
بعصين جابر وارتحلوا من عصين جابر ونزلوا بيرية صن هي قادش وارتحلوا
من قادش ونزلوا بجبل الهور بطرف أرض ادوم وصعد هارون الكاهن إلى
جبل الهور على قول الله ومات هناك ، وارتحلوا من جبل الهور ونزلوا بصلنه
الى آخر المنازل (انظر عد ٣٣ ، ٣ - ٤٣) .

فقول التثنية ان بني اسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعاقان الى موساره
مناقض لقول العدد انهم ارتحلوا من حشمناه الى مسروت ومنها الى بني يعاقان
ومنهم الى هور الجد جداد .

وكذا قول التثنية ان هارون مات وقبر في موساره ، فانه مناقض لقول التوراة
بأنه مات ودفن في جبل الهور (عد ٢٠ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٨ و ٣٩ وتث ٣٢ ، ٥) .
وكذا قول التثنية انهم ارتحلوا من موساره الى الجد جداد ومنه الى ياطبائاه

فانه مناقض لقول العدد انهم ارتحلوا من بني ياعقان الى حر الجدداد ومنه الى ياطباتاه ومنها الى عبرناه .

ومن الظرائف ان مترجم الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ أحس بأن ما ذكرناه عن التثنية إنما هو حشو زائد مخل لا ارتباط له بما قبله وما بعده ، فمأن عليه ان يحرف الكلام ويزيد فيه ما شاء هو اه فلعله يوم الثام الكلام فعمد الى الفقرتين اللتين ذكرناهما بأصلهما العبراني وترجمتهما فقال في الترجمة التي هي أشبه بالتشطير والتوشيح ما لفظه ، (ولما) شفعى في هارون أقام الى ان رحل بنو اسرائيل من ياروت بني ياعقان وموسيرا ، ومات هارون ثم ودفن وام العازرا ابنه مكانه لما رحلوا من ثم الى جدداد ومنها الى ياطباتا أرض ذات أودية ماء .

فانظر اليه وطابقه مع ما ذكرناه من الأصل العبراني لكي تعلم ان هذا المترجم كتب توراة جديدة ولم يتخلص من عدم الارتباط .
ثم نقول : لا يخفى على من راجع سفر التثنية انه قد اخذ في حديث اللوحين والعجل .

(المورد الحادى عشر) قد ذكرنا في الجزء الأول صحيفة ه ان الترجمة السبعينية للعهد القديم قد ترجمت بعناية سبعين أو اثنين وسبعين من علماء اليهود المنتخبين من الملة .

ونقول هاهنا بحسب القدر المتفق عليه من تاريخها ، والجامع المحصل من منقولاته انه لا بد أن يكون اجتماع هذا العدد المنتخب من أهل العصر الواحد حجة على أهل الكتاب في نقل كتابهم ، فانه راجع في الحقيقة الى انتخاب جامعة الملة وعناية رئاستها الدينية من دون توسط اضطهاد أو الجاء أو أدنى سبب للتغيير ، بل كان الحال يحث على الدقة والمحافظة على المطابقة كما يشهد لذلك اتفاق التاريخ على ان هذه الترجمة فازت في الملة اليهودية

ورئاستها العلمية الدينية بالإحتفال والقبول والإعتماد .
 وتتأكد الحجة بها على النصارى لأجل ما ذكره من اعتماد المسيح
 عليها وانه كان يخاطب اليهود الذين اجتمعوا يوم الخمسين من الترجمة السبعينية
 وكذا استفانوس المملوء بزعمهم من الروح القدس كان يخاطب اليهود منها ،
 وكذا الذين تشبثوا في البلاد ليكرزوا بالمسيح .
 وكذا المعلمين من قدماء النصارى (انظر أقلأيه ٣ ج ص ١٧٥ و ٢١٢
 و ٤ ج ص ٩٠ - ٩٢) .

ويشهد لذلك أيضاً اعتماد العهد الجديد عليها في ذكر الفقرات التي اختصت
 بها دون العبرانية كما سيأتى ذكره قريباً إن شاء الله .
 إذا عرفت ذلك فنقول : ان النسخة السبعينية هذه تشهد بوجود السقط
 والزيادة في النسخة العبرانية .

(أما شهادتها بوجود السقط والنقصان والغلط في العبرانية)
 فقد ذكرت فقرات كثيرة غير موجودة في الأصل العبرانى ، ولندكر
 لك بعضاً منها (وهذه هي) في سفر التكوين ٤ ، ٨ (تعال نخرج إلى الحقل)
 ١٠ ، ٢٤ (وارفكشاد ولد قينان وفينان ولد شالح) .
 وفي سفر اللاويين ١ ، ١٠ (ويضع يده على رأسه) ، ٣ ، ١٣ (امام
 الرب) ٧ ، ٣ (وكل الشحم الذى على الأحشاء) ١٩ ، ٢٣ (الذى يعطيكم الرب
 إلهكم) ٢١ ، ٥ (لميت) ٢٤ ، ٧ (وملحاً) .

وفي سفر العدد ٤ ، ١٤ (وياخذون ثوباً أرجوانياً ويغطون به المرحضة
 وقاعدتها ويضعون عليها غطاء من جلد نحس ويجعلونها على العتلة) ، ١٠ ، ٦
 (وإذا ضربتم هتافاً ثالثة ترتحل المحلات النازلة الى الغرب ، وإذا ضربتم هتافاً
 رابعة ترتحل المحلات النازلة الى الشمال) ، ١٤ ، ١٢ (وبيت أبيك) ، ٥ و ٤٥
 (فرجعوا الى المحلة) .

وفي سفر التثنية ٤ ، ٢ (اليوم) ١٧ ، ٢٠ (والجرجاشي) .
 وفي سفر يشوع ٢٤ ، ١٢ (إثني عشر ملكا للاموريين) .
 وفي سفر القضاة ١٦ ، ١٣ (أضعف وأصير كواحد من الناس) ١٩ ،
 ١٨ (لأنها كانت ميتة) ٢١ ، ١١ (واستبقوا العذارى ففعلوا هكذا) .
 وفي صموئيل الأول ١ ، ٥ (لأنه ليس لها ولد) ، و ١٨ (مع رجلها
 وشربت) ، ١٤ ، ٢٣ (وكل الشعب كان مع شاول نحو عشرة آلاف رجل
 وانتشر الحرب في كل مدينة من جبل افرام) ١٩ ، ٢٢ فاشتعل غضب شاول .
 وفي صموئيل الثاني ١٣ ، ٢١ (ولم يحزن روح امنون ابنه لأنه أحبه لأنه بكره)
 و ٢٧ (وصنع ابشالوم وليمة كوليمة الملك) ١٤ ، ٢٧ (وصارت امرأة لرجعام
 ابن سليمان فولدت له آيبا) و ٣٠ (وجاء عبيد يواب اليه وثيابهم ممزقة وقالوا
 قد أحرق عبيد ابشالوم الحقل بالنار) .

وفي الملوك الاول ١٨ ، ١٢ (وأنبيا السواري أربعائة) و ٣٠ (كلم
 ايليا التشتي أنبيا البعل قاتلا حيدوا الآن وأنا اقرب محرقتي فحادوا وذهبوا)
 ٢٢ ، ٣٥ (من الصباح الى المساء) .

وفي الملوك الثاني ١ ، ٢ (وذهبوا لكي يسألوا منه) و ٩ (رئيس الخمسين)
 ٩ ، ٢٨ (وجاءوا به) ١٠ ، ١٥ (فقال يا هو إن كان فهات يدك) .

وفي سفر (أيوب) ١ ، ٢١ كما حسن عند الرب هكذا فليكن ٢ ، ٩
 (بعد زمان طويل) .

وفي المزامير ١٤ ، ٤ (حناجرهم قبور مفتحة مكروا بالسنتهم سم
 الأفاعي في شفاههم وهؤلاء أفواههم مملوءة لعنة ومرارة وأرجلهم الى سفك
 الدماء سريعة البؤس والتعيس في سبلهم وطريق السلامة ما عرفوها وليس
 خوف الله أمام عيونهم) .

وصاحب الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ أدرج هذه الفقرات في الاصل
وجعل مزموها الثالث عشر في العدد ٧٣ ، ٢٨ (في أبواب ابنة صهيون) ،
١٤٥ ، ١٣ (الرب أمين في كل أقواله رحيم في كل أفعاله) و ٢١ (ونحن نبارك
الرب من الآن وإلى الأبد) .
وفي أمثال سليمان ١٦ ، ١١ (وإن كنت مجتهداً يأتي كينبوع حصادك)
وفي اشعيا ٥٣ ، (للموت) .

(وأما شهادة السبعينية بوجود الزيادة في الأصل العبراني)

فانها قد تركت كثيراً مما فيه فتركت من سفر اللاويين ٢٢ ، ٣١ (أنا
الرب) ، ومن سفر التثنية ٢٨ ، ٥ (الرض) .
ومن كتاب يشوع ١ ، ٢ لبني اسرائيل ، ١٠ (الخامسة عشرة بتمامها)
٢٠ (الرابعة والخامسة والسادسة بتمامهن) ٢٢ ، ١٢ (لما سمع بنو اسرائيل) ،
ومن صموئيل الاول ٢ (الثامنة بتمامها) ٤ ، ١٩ (خمسين ألف رجل) ١٣ (الاولى
كلها) ١٧ (الحادية والأربعين وكذا الخمسين وكذا الخامسة والخمسين إلى
الثامنة والخمسين) ١٨ (الاولى إلى لفظ الفلستيني من السادسة وكذا الثانية
عشرة) ٢٣ (الثانية عشرة بتمامها) .
ومن صموئيل الثاني ٣ ، ٨ (ليهودا) ٦ (الرابعة بتمامها) .
ومن الملوك الاول ٦ (الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة) ،
١٢ (الثانية والثالثة إلى لفظ يربعام) ١٤ ، ٣١ (واسم امه إلى آخرها) .
ومن كتاب عزرا ١ ، ٢٩ (عشر) .
ومن كتاب نحميا ٤ ، ٢٣ (كل واحد - إلى آخرها) ، ومن كتاب
أيوب ٢٧ ، ١٣ (لولا) ، ومن كتاب حزقيال ٢٦ ، ١٧ (التي كانت قوية
في البحر هي وسكانها) .

(وأما شهادة السبعينية بالغلط في الأصل العبراني)

فانها قد خالفته في امور ، ففي سفر اللاويين العبراني ١٩ ، ٢٦ (لاتأكلوا بالدم) ، وفي السبعينية (لاتأكلوا على الجبال) .
وفي سفر العدد العبراني ٤ ، ٣ ، ٢٣ و ٣٠ و ٣٥ و ٣٩ و ٤٣ و ٤٧ (ابن ثلاثين سنة) ، وفي السبعينية ابن خمس وعشرين سنة .
وفي المزامير العبرانية ٤٠ ، ٧ (اذنين حفرت لي) ، وقرء في السبعينية (جسداً هيأت لي) .

﴿ المورد الثاني عشر ﴾

(شهادة العهد الجديد على الأصل العبراني بالنقصان والتحريف)

(أما شهادته بالنقصان) : فقد جاء فيه (لكي يتم ما قيل بالانبياء انه سيدعى ناصرياً) مت ٢ ، ٢٣ .

وليس لهذا القول في كتب العهد الجديد عين ولا أثر ، وللتكاف هاهنا كلام لم يأت لقومه إلا بالإسراف في الحبر والقرطاس وعمل الطبع ، (فانظر به ٢ ج ص ٢٠٥ - ٢٠٧) .

وخالف التوراة العبرانية فزاد في طبقات النسب (قينان) بين ارفكشاد و شالح (لو) ٣٥٠٣ و ٣٦٠ . وللتكاف هاهنا كلام سيأتي قريباً إن شاء الله بيان ما فيه .

(وأما شهادته بالتحريف) : فقد ذكرنا ان الموجود في السابعة من المزمور الاربعين (اذنين حفرت لي) ، وفي الخامسة من عاشر العبرانيين (هيأت لي جسداً) .

والمتكلف يقول : ان قول العبرانيين (هيأت لي جسداً) نقل بالمعنى

لقول المزامير (اذنين حفرت لى) ، وتمحل لذلك بكلام طويل وتأويل بارد (فانظر به ٣ ج ص ٢٢٦ و ٢٢٧) تعرف شططه .

ويكفى فى رده ان النقل بالمعنى يلزم فيه ان يكون المعنى محفوظاً بمحدوده وإنما يكون التبديل بصورة الألفاظ ، إذن فأين (اذنين حفرت لى) وأين (هيات لى جسداً) ، ولو كان هذا التفاوت والتباين من النقل بالمعنى لما بقى فى الكلام اختلاف بل انسد باب اللوم على أكثر الذين يخطئون أو يكذبون فى نقلهم ، فيقال انه نقل بالمعنى .

واعلم ان الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ قد جمعت فى ترجمة المزامير بين الأمرين فذكرت هكذا (واعدت لى جسداً فتحت مسامعى) ، وفى ترجمة رسالة العبرانيين اقتصرت على قولها (واقتنيت لى جسماً) فزادت على الأصل العبرانى لى تتجه دعوى النقل بالمعنى .

(تمة) واعلم ان المترجمين من النصارى لم يجرؤوا على نهج غير مضطرب فلم يتبعوا الأصل العبرانى تماماً على ما فيه ، ولم يتبعوا حواشيه تماماً على ما فيها ، ولم يتبعوا النسخة السبعينية تماماً على ما فيها ، ولم يرفضوا النسخة السامرية تماماً ، بل استخرجوا بحسب أفكارهم وأغراضهم كتاباً ملفقاً لا يطابق بتمامه مطابقة تامة لواحد من هذه الاربعة ، ولقد كنا نحج بيان ذلك بالإستقصاء ، لو لا انه يودى إلى الطول الذى تبعد به المسافة عن المقصود ، بل هو جدير بأن نفرده فى رسالة مستقلة ، وفى الإشارة اليه هاهنا كفاية فانظر أقلأ الى ما ذكرناه من الموارد ، وراجع النسخة التى ذكرناها أولاً فى صدر الكتاب .

وانظر الجزء الأول من إظهار الحق ، وإن شئت فطابق بين الأصل العبرانى وحواشيه والترجمة السبعينية ، وبين تراجم النصارى للعهد القديم لى تعرف ان العهد القديم ليس له عندهم أصل يعتمد عليه ، وإنما هو كتاب

موهون للنظر في تصحيحه وتهذيبه مجال واسع ، لا يصد عن جماحه عنان التعصب والتستر . . .

وبذلك تعرف شطط المتكلف على قومه وكتبه في قوله (يه ١ ج ص ١٢٧) (لا يعول على التراجم بل المعول عليه والمرجع اليه هو التوراة العبرية التي حافظ عليها اليهود) .

وقوله (يه ٣ ج ص ٢١٦) (التوراة العبرية هي المعول عليها) ويه ٣ ج ص ٢٢٨ (ان المعتمد عليه هي التوراة) ، (أى العهد القديم) العبرية وعبارتها هي الحق .

(تنمة الصدر والتمهيد)

لا يخفى على غير القاصر ان الحقيقة إذا تداولت عليها قرون القدم ، وتقلب الأحوال كثر عليها اعتراض التاريخ ولغظه في الإختلاف والتعارض فلا يكاد المتعمق في سبر كتب التواريخ أن يرى حقيقة سلمت من هرج الإختلاف ومرجه .

نعم قد يفوز بالشهرة بعض كتب التاريخ لشهرة كاتبه ولو بنحو السلطنة والوزارة ، أو بموافقة لطباع العوام ، أو الأهواء ، أو العصبية القومية أو تعس الوقت ، ولو ان المؤرخ كان معروفاً بالضبط ، والتثبت لما ترجح تاريخه إلا بنحو من رجم الظنون التي تسكن اليها النفس إذا لم يطلع على ما يعارضه .

فلو ان بعض أقوال المؤرخين خالفت القرآن الكريم لما كان لذي عقل أن يعترض بها على القرآن ، فان التاريخ كيفما كان لا يمس الحججة القاطعة على كون القرآن الكريم كلام الله علام الغيوب ، بل إذا تمت الحججة عاد التاريخ المعارض من خرافات الضلال ، ولو فرضنا ان الحججة لم تتم لما عدا الحال

أن يكونا تاريخين متعارضين ، لا يحسن التحكم ببطلان أحدهما لأجل معارضة الآخر .

وبهذا تعرف شطط المتعرب في اعتراضه على القرآن الكريم بالتاريخ الأحادي المجهول .

ألا ترى ان العهد القديم تضمن التاريخ من خلق العالم إلى سبي بابل ، وان التاريخ من ذلك الحين إلى ميلاد المسيح معلوم ليس فيه خلاف يعتد به ومع ذلك فقد حكى (١) عن كتاب (جادلس روجر) انه ذكر اختلاف المؤرخين في ذلك إلى خمسة وعشرين قولاً من اليهود والنصارى وغيرهم وتزيد الأقوال بخلاف « اهيلز » ، (٢) لهم أيضاً ، وكل هذا الخلاف أو جله يرجع إلى مخالفة تاريخ العهد القديم وخصوص التوراة .

وأيضاً قد جاء في العهد القديم ان سليمان شرع ببناء بيت الرب في السنة الأربعةائة وثمانين من خروج بني اسرائيل من مصر (١ مل ٦ ، ١) وعن آدم كلارك (٣) مفسرهم انه نقل في ذلك إثني عشر تاريخاً لأهل الكتاب كلها متخالفة ، وأقلها ٣٣٠ سنة وأكثرها ٦٨٠ سنة وكلها مخالفة لتاريخ العهد القديم في بناء الهيكل وإتمامه . . (٤) .

(١) حكاة إظهار الحق مفصلاً في الجزء الثاني في الإختلاف الخامس من

الفصل الثاني من الباب الخامس .

(٢) نقله إظهار الحق أيضاً في المقام المذكور عن تفسيري هنري واسكات

(٣) نقله إظهار الحق في العدد ٣٧ من القسم الثاني من الفصل الثالث

من الباب الأول .

(٤) ففي العهد القديم ان سليمان أتم بناء الهيكل في السنة الحادية عشرة

لملكه (١ مل ٦ ، ٣٨) ، فيكون إتمامه سنة ٤٨٧ ، ولا يوافق شيء -

ومع ذلك كله لا يحسن الاعتراض على العهد القديم بمخالفة هؤلاء المؤرخين وإن كانوا من متبعيه ، لأنه لو قامت الحجة على كونه من الوحي الإلهي لكشف عن ضلالة هذه التواريخ بأجمعها ، وإذا لم تتم الحجة فهو تاريخ كأحد التواريخ يعارضها ، كما تعارضه لو لم ينحط عنها بمجهولية كاتبه وعصره وكثرة وقوع الغلط في كتابته وعبث التصرف به وتعرض الأهل في قلبه إلى حيث تميل .

وكيف كان فإن المصيبة الفادحة على الكتب المنسوبة إلى الوحي وعلى من ينسبها إليه ، إذا كان الكتاب الواحد متناقض التاريخ (٢) أو كانت نسخ الكتاب الواحد المشهود لها بالإعتبار متناقضة التاريخ (٣) أو كان بعض الكتب المذكورة مناقضاً لبعضها الآخر في التاريخ .

وقد ابتلى العهدان بالأقسام الثلاثة من التناقض في التاريخ .

(أما القسم الأول)

فقد جاء في التوراة عن قول الله لإبراهيم : اعلم علماً انه غريباً يكون نسلك في أرض ليست لهم ويستعبدونهم وينزلونهم أربعاً سنة ، وأيضاً الأمة يعبدونها ادينها أنا ، وبعد ذلك يخرجون بأملك عظيمة .

وفي الجليل الرابع يرجعون الى هنا (أى أرض كنعان) ، (تك

١٥ ، ١٣ - ١٦) وانظر ١٤٧ ، ٥ - ٨ .

وفي هذا الكلام دلالة واضحة على ان الأربعة سنة هي مدة الإستعباد والذلة في الغربية في الارض المذكورة التي يخرجون منها كما هو واضح الدلالة على ان الخروج بالأملك العظيمة إنما هو من أرض الغربية التي يستعبدون

- من التواريخ المشار إليها لتاريخ ابتداء البناء ، ولا لتاريخ اتمامه ، ولا يقارب واحداً منها .

فيها أربعائة سنة ، ولا ينطبق ذلك إلا على أرض مصر وخروجهم منها ،
 ويزيد في وضوح ذلك انه جعل الغاية لتلك الغربية ان بني اسرائيل يرجعون
 الى أرض كنعان ، فلا يمكن أن تكون أرض كنعان داخلة في الغربية
 والأرض المسوق لها الكلام .

هذا ثم ذكرت التوراة نفسها ان إقامة بني اسرائيل في مصر كانت أربعائة
 و ثلاثين سنة (خر ١٢ ، ٤٠ و ٤١) فتناقض تاريخها في المقامين بثلاثين ، ولا
 تتوهم ان سقوط الثلاثين سنة في التاريخ الاول كان لاجل اعتزازهم بعزة
 يوسف مدة حياته ، وذلك لأن عزتهم بحياة يوسف في مصر كانت فوق
 الثمانين سنة ، فإن يوسف وقف بين يدي فرعون وهو ابن ثلاثين سنة ، ثم
 مضت سبع سنين للنصب وجاء بنو اسرائيل الى مصر في السنة الاولى أو
 الثانية من سني الجوع (انظر تك ٤١ ، ٤٦ ، ٥٥ ، و ٤٧ ، ١٠ ، ١٨) ، ووات
 يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة (تك ٢٦ ، ٥٠) .

(فإن قلت) ان المتكلف قد وجه هذا الاختلاف (يه ٢ ج ص ١١٦ و
 ١١٧ و ٤ ج ص ٣ - ٨) بما حاصله ان مبدأ التحديد بالأربعائة و ثلاثين سنة
 كان من حين الوعد المذكور (تك ١٥ ، ١٣ - ١٦) عند دعوة ابراهيم
 وأمره بالخروج من أهله وعشيرته ، وان مبدأ الأربعائة سنة كان من
 ولادة إسحاق أو فطامه .

(قلت) ولماذا سرى اليك داء المتكلف فلم تلتفت الى ما في كلامه ، أم
 انك من أعدائه فأردت أن تنبهه على شططه . . أم تريد أن تدلنا على معرفة
 المرسلين الأمريكان الذين طبع كتابه بمعرفتهم .

إذن فاسمع ما فيه من الأغلط .

قال المتكلف (يه ٢ ج ص ١١٦ س ٥) نعم ان المولى سبحانه وتعالى
 قال : ان نسله (أي ابراهيم) يستعبد ٤٣٠ سنة ، ولكن كان هذا القول

وقت دعوته ، ولا شك انه من وقت دعوته واختياره الى خروج بني اسرائيل من مصر ٤٣٠ سنة .

ولا ينبغي أن يخفى عليك ان في كلامه أغلاطاً عديدة لا تخفى على صغار الناس (١) ان الكلام الذي فيه هذا العدد أعني ٤٣٠ سنة ليس فيه لفظ (نسله) ولا لفظ (يستعبد) وإنما لفظه في سفر الخروج ١٢ ، ٤٠ واقامة بني اسرائيل التي أقاموها في مصر أربعائة وثلاثين سنة ، ونصها في الأصل العبراني وموشب بني اسرائيل آشر يشبو بمصر ايم شلشيم شنه واربع مأوت شنه ، (٢) لم يجرى في التوراة الرائجة في دعوة ابراهيم وأمره بالخروج تعرض لشيء من هذا النحو أصلاً ، وإنما كان وعداً بالعظمة والبركة ، وانه تتبارك به جميع قبائل الأرض (انظر تك ١٢ ، ١ - ٤)

(٣) ان التحديد بهذه المدة كان في نص التوراة تحديداً لسكنى بني اسرائيل في مصر ، وبأى محاورة من محاورات العقلاء أو غيرهم يؤخذ مبدأ التاريخ والعدد من دعوة ابراهيم ، فإذا قال شخص : ان فلاناً عاش في الدنيا ثمانين سنة ، فاطلعت على غلطه ، وان فلاناً ما عاش في الدنيا إلا أربعين سنة ، أفقبل عذره لو قال ، اخذت مبدأ التاريخ من حين عزم جده على التزويج (٤) ان هذا القول لم يكن في وقت دعوة ابراهيم ، وإن كان له أصل فهو في عهد موسى بعد خروج بني اسرائيل من مصر ، (٥) ان دعوة ابراهيم واختياره كانا في اور الكلدانيين ، كما صرح به المتكلف (يه ٤ ج ص ٣) في أول جدوله الأيمن ، واعتمد فيه على سابع الأعمال ، وهذه الدعوة لا يعرف تاريخها من العهدين أصلاً ورأساً .

وكذا مدة مكث ابراهيم في حاران ، فمن أين يتيسر للتكلف هذا التطبيق الذي يدعيه حتى يقول بملء فيه (لا شك) .

ثم قال المتكلف في هذا المقام (س ٧ - ١٠) .

أما قوله : نسله يستعبد ٤٠٠ سنة ، فكان نزول هذا القول في وقت ولادة إسحاق ، أو في وقت فطامه عند حصول الخلاف بين سارة وبين هاجر (تك ٢١ ، ٨ - ١٢) .

ولا شك ان من وقت فطام إسحاق الى خروج بني اسرائيل من أرض مصر هو ٤٠٠ سنة .

ولا ينبغي أن يخفى عليك ان في هذا الكلام أيضاً أغلاطاً عديدة :

١ - ان نزول هذا القول على ابراهيم كان بحسب نقل توراتهم حينما شكا العقم وعدم الولد ، وذلك قبل ولادة اسماعيل التي هي قبل ولادة إسحاق بأربع عشرة سنة (فانظر تك ١٥ و ١٦) .

(٢) ان التردد بين ولادة إسحاق وبين فطامه يوجب اشتباه التاريخ بمقدار مدة رضاعه ولا يكون ذلك بحسب العادة أقل من سنتين ، وهذا التردد غلط منه ، فإن أصحابه يدعون اتقان التاريخ .

٣ - ان قوله أخيراً (ولا شك ان من وقت فطام إسحاق الى خروج بني اسرائيل من مصر هو ٤٠٠ سنة) هو مناقض لتردده في مبدأ المدة المذكورة بين ولادة إسحاق وفطامه ، ٤ - ومناقض لقوله (يه ٤ ج ص ٣ س ١١) ، لا شك انه كان من مولد إسحاق الى خروج بني اسرائيل من مصر ٤٠٠ سنة ، ولعل المتكلف إذا بهتته على هذا التناقض يقول لك : (لا يوجد في هذا أدنى تناقض فإن إسحاق فطموه في سنة ولادته أو شهرها) ، فلا تقبل مزاعمه التي يدعى تقدم الدنيا بها ، ولكن اعذره في عدم درايته بصراحة توراته إذ تقول وكبر الولد (أى إسحاق) وفطم وصنع ابراهيم وليمة كبيرة يوم فطام إسحاق ، وفي الأصل العبراني (ويكدل هيلد ويغامل) (تك ٢١ ، ٨) .

٥ - ان تقويم التوراة يقتضى ان المدة من مولد إسحاق الى دخول بني اسرائيل الى مصر تكون مائة وتسعين سنة ، وذلك لأنها من مولد إسحاق الى مولد

يعقوب ستون سنة (تك ٢٥ ، ٢٦) ، ومن ولادة يعقوب الى دخول بنيسه الى مصر مائة وثلاثون سنة (تك ٤٧ ، ٩) فإذا كانت إقامة بني اسرائيل مائتين وخمس عشرة سنة كما جزم به المتكلف (يه ٢ ج ص ١١٦ س ١٥ و ص ١١٧ س ٤ و ٤ ج ص ٨ س ٣) فيكون المجموع أربعمائة وخمس سنين ، فهل كتب في العهدين ان مدة رضاع اسحاق كانت خمس سنين ، وإذا كانت كذلك فكيف تتم الأربعمائة سنة على زعمه (يه ٤ ج ص ٣) في جدولته الذي على اليمين حيث جزم فيه بأن اقامتهم في مصر كانت مائتين وعشر سنين ، بل وكيف تتم على هذا إذا اخذ مبدأ الأربعمائة من ولادة اسحاق ، وتركنا لرضاعه حسب العادة سنتين ونحوهما ، فهذا مع ما تقدم عشر أغلاط .

١١ - زعم (يه ٢ ج ص ١١٦ س ١٦ - ١٨ و ٤ ج ص ٧ س ١٢ - ١٨) ان مبدأ الأربعمائة وثلاثين سنة كان من وقت الموعد الذي وعد الله به ابراهيم بالبركة عند خروجه من حاران وكان عمره حينئذ ٧٥ سنة (تك ١٢ ، ٣ و ٤ وهذا مناف لتصحیح (استفانوس) بأن ظهور الله لإبراهيم ودعوته التي وقع فيها هذا الموعد قد وقع حين كان ابراهيم فيما بين النهرين قبل ما سكن في حاران (فانظر ١ ع ٧ ، ٢ و ٣) ، ومناقض أيضاً لأخذه مبدأ التاريخ بهذه المدة من دعوة ابراهيم من اور الكلدانيين فيما بين النهرين قبل خروجه من حاران بخمس سنين حسبما صرح به في جدولته (يه ٤ ج ص ٣) معتمداً فيه على قول استفانوس (١ ع ٧ : ٢) ، كما اعتمد فيه أيضاً (يه ٤ ج ص ٨ س ٤ و ٥) على تقويم مرشد الطالبين .

١٢ - جزم المتكلف فيما أشرنا اليه بأن إقامة بني اسرائيل في مصر كانت مائتين وخمس عشرة سنة ، وهذا مناقض لجزمه في جدولته الأيمن المذكور بأنها كانت مائتين وعشر سنين .

ولم يكن هذا التناقض والغلط في الحساب والإضطراب في مبادئه .

التواريخ إلا الأمر يشير إليه المثل المشهور عند العوام (١٣) قد التجأ المتكلف في تكلفاته المتناقضة الى أن يزيد على عبارة سفر الخروج العبرانية ١٢ ، ٤٠ مثل الألفاظ التي زادت بها السامرية واليونانية وهي لفظة (وآبائهم) ولفظة (وأرض كنعان) فتكون العبارة هكذا (واقامة بني اسرائيل وآبائهم التي أقاموها في مصر وأرض كنعان اربعمائة وثلاثين سنة) ، وهذا غلط بحسب جدول المذكور واعتماده على تقويم مرشد الطالبين ، حيث جعلاً مبدأ المدة من دعوة ابراهيم في اور الكلدانيين .

بل يلزم على هذا ان يزيد على ذلك أيضاً لفظ (وحران) بل ان هذه الزيادة لازمة لهم على كل حال ، فإن يعقوب وبنيه قد سكنوا في حاران أكثر من ثلاثين سنة ، لأن يعقوب خدم (لابان) (بليثة ، وراحيل) أربع عشرة سنة قبل أن يرزق منها الأولاد (انظر تك ٢٩ ، ٢٠ - ٣٠) ثم ولدت له ليثة اربعة أولاد ، ثم توقفت عن الولادة (تك ٢٩ ، ٣١ - ٣٥) ثم ولدت ولدين وبعدهما بنتاً (تك ٣٠ ، ١٧ - ٢١) ، ثم ولدت راحيل يوسف (تك ٣٠ ، ٢٤) وحينما خرج يعقوب من حاران كانت بنته قابلة للتزويج (انظر تك ٢٤) وكان يوسف آخر أولاده يعرف الإستقبال وسجود التحية (تك ٣٠ ، ٧) ، وكان شمعون ولاوى ابناه قابلين للقتل والقتال (انظر تك ٣٤ ، ٢٥) فلا يمكن أن تنقص هذه المدة عن ثلاثين سنة .

فلماذا اهمل ذكر حاران مع انها كانت ليعقوب أرض غربة وخدمة وعبودية وذلة (انظر تك ٢٩ - ٣٢) ، (١٤) لما التجأ المتكلف الى ان يقدر في الأصل العبراني لفظ (وآبائهم) و (أرض كنعان) بل ولفظ (وحران) كما هو لازم له لم يكتب بذلك ، بل جعله (به ٢ ج ص ١١٧ س ٦ و ٤ ج ص ٤) من باب الإكتفاء الوارد في كلام العرب والقرآن الكريم ، وهذا غلط لأن الشرط في الإكتفاء أن تكون دلالة اللفظ الموجود وسوقه كافية في بيان

المحذوف المكتفي عنه والدلالة عليه ، كما يقتضيه لفظ الإكتفاء ، بل اعترف المتكلف بنفسه (يه ٤٠٤ ج ص ٤ س ٥ و ٤) بأن الإكتفاء هو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر كنعكته .

أقول : وليت شعري إذن فأى تلازم وارتباط يشعر به المقام ويقتضيه في عبارة سفر الحزوح بين بني اسرائيل وبين آبائهم وبين أرض مصر وبين أرض كنعان بل وحران .

أم تقول : كلما جاء لفظ بني اسرائيل يكون اكتفاء عن لفظ آبائهم ، وكلما جاء لفظ مصر يكون اكتفاء عن لفظ كنعان وحران ، إذن فقرت أعينهم بتاريخ توراتهم (١٥) ثم زاد المتكلف في الغلط حيث قاس دعواه في الإكتفاء والحذف بالحذف الذي تجلو مراده نورانية المقام في القرآن الكريم ، كأنهمناك عليه في الجزء الأول (صحيفة ٣٣٢ - ٣٥٥) ، مع ان ما نسلم فيه الحذف في القرآن الكريم إنما هو على وجه لو ذكر المحذوف لفات من الكلام نكته شريفة ، أو أدى إلى تطويل يمل في الكلام المتوسط فضلا عن الكلام السامي في البلاغة ، فانظر الأمثلة التي ذكرها في (يه ٤٤ ج ص ٥ و ٦) .

(مثل) يحكى ان صيباً انحصر على سطح بلا درج فأعيا عليه النزول ، فجاء بعض المغفلين وألقى اليه طرف الحبل وقال له : شده في وسطك ، فلما شده جذبه المغفل الى صحن الدار ، فلما وقع مات ، فقال المغفل متعجباً ومعتزراً : ان هذا الصبي قتله حضور أجله ، وإلا فقد اخرجت بهذا الحبل من البئر عشرين رجلاً سالمين .

(١٦) ثم أخشن المتكلف في الغلط المضحك (يه ٤٤ ج ص ٦) حيث اعترض على الآيات التي ذكرها من القرآن الكريم ، ثم قال ان كتاب الله منزله عن مثل هذه التقديرات الفاحشة .

(القسم الثاني في اختلاف نسخ التوراة في التاريخ)

مع ان كلا منها ما مشهود لها بالصحة والإعتبار عند اليهود والنصارى معاً
وأما مشهود لها بالصحة والإعتبار عند النصارى .

أما النسخة العبرانية فلا تحتاج دعواهم لإعتبارها الى بيان .

وأما النسخة السبعينية فقد ذكرنا في الصحيفة الخامسة من الجزء الأول
وجه اعتبارها ، وأشرنا اليه قريباً في صدر المورد الحادى عشر من التمهيد ،
وكله موافق للملخص اعتراف المتكلف (به ٣ ج ص ١٧٥ و ١٧٦ و ٤ ج
ص ٩٠ - ٩٣) .

وأما النسخة السامرية فقد ادعى المتكلف انها ذات خمسة أسفار موسى
التي نزلت باللغة العبرانية ، ولكنها مكتوبة بأحرف سامرية قديمة (انظر به
٣ ج ص ١٧٥ س ٢٢١ و ٢٣ و ص ١٧٦ س ٤ و ٥) ، وهذه الدعوى وإن
كانت ساقطة عند غير السامريين ولكنها اعتراف بصحة السامرية واعتبارها ،
دع عنك المتكلف في دعواه واعترافه ، ولكنه نقل (به ٤ ج ص ٦) عن
آدم كلارك قوله (ذهب كثير من العلماء الى أن ترجمة خمسة أسفار موسى
السامرية هي من أضبط التراجم وأقدمها) .

ونقل إظهار الحق في شواهد المقصد الأول من الباب الثاني عن المجلد
الثانى من تفسير محققهم المشهور (هورن) ما ملخصه : ان المحقق (هيلز)
أثبت بالأدلة القوية صحة السامرية ، وان (كنى كات) أورد ملاحظات
استنتج منها ان الحق ما عليه السامريون ، وان اليهود حرفوا التوراة قصداً ،
ونقل أيضاً عن المفسر المشهور (آدم كلارك) من الصفحة ٨١٧ من المجلد
الأول من تفسيره ان المحقق (كنى كات) يدعى صحة السامرية ، وان كثيراً

من الناس يفهمون ان أدلة (كنى كات) لا جواب لها ، ويجزمون بأن اليهود حرفوا لأجل عداوة السامرية .

وعنه أيضاً في المجلد الأول المذكور قوله يصر (هيوبي) إصراراً بليغاً على صحة السامرية .

ونقل إظهار الحق أيضاً في شواهد المقصد الثالث ان جامعي تفسير (هنري) و (اسكات) قالوا في عبارة في السامرية تخالف العبرانية (لا شك ان هذه العبارة صادقة) .

والمتكلف لم يسعه إنكار هذه النقول عن محققهم ومفسريهم ، والكثير منهم ، نعم التجأ الى شيء من أغاليط التاريخ ، ثم قال فيتضح للمتأمل ان عبارة التوراة العبرية هي صحيحة (انظر به ٣ ج ص ٢١٨ - ٢٢٤) .

إذا عرفت هذا فاعلم ان النسخة العبرانية وهاتين النسختين قد وقع فيما بينهما الإختلاف التاريخي ، ولندكر منه ثلاث موارد :

(الأول) قد سمعت المدة المذكورة في التوراة العبرانية لإقامة بني اسرائيل في مصر وهي ٤٣٠ سنة ، وعرفت أغلاط المتكلف في حساب التاريخ ، ودعوى الإكتفاء .

فاعلم بأنه قد خالفها الترجمة السامرية ، بل واليونانية ، كما اعترف به المتكلف (به ٤ ج ص ٤ س ١٧) ، أو السبعينية الاسكندرانية ، كما نقله عن آدم كلارك (به ٤ ج ص ٦ س ٢٢) فقد جاء فيها ما تعريبه (وإقامة بني اسرائيل وآبائهم في أرض مصر وكنعان أربعاً وثلاثون سنة) فاختلفت النسخة العبرانية مع هاتين النسختين في المدة التي أقامها بنو اسرائيل في أرض مصر .

وقد ذكرنا لك ان تقويم هاتين النسختين لا يتجه مع كون المبدأ التاريخي هو تغرب ابراهيم من أرض الكلدانيين مع كون إقامة بني اسرائيل في مصر ٢١٥ سنة ، كما ذكره المتكلف مراراً ، وعليه تقاويمهم لأن العدد حينئذ

يزيد على ٤٣٠ سنة بمقدار إقامة ابراهيم في حاران ، وقد زعم المتكلف في جدوليه وأصحابه في تقاويمهم انها كانت خمس سنين ، ومع ذلك يلزم انها تركتا ذكر حاران باعتبار إقامة ابراهيم فيها وإقامة يعقوب وبنيه أكثر من ثلاثين سنة ، وانها اهملتا ذلك قصوراً وتقصيراً ، فان حديث الإكتفاء في مثل هذا المقام عند من يعرف الإكتفاء مضحكة ومسخرة .

هذا ولو فرضوا ان إقامة بني اسرائيل في مصر ٢١٠ سنين كما زعمه المتكلف في جدوليه ، وبعض اليهود في كتاباتهم لما اتجه التقويم بكون المبدأ له تغرب ابراهيم في كنعان لأن العدد حينئذ ينقص خمس سنين ، فان ادعى مدع ان المبدأ له أول تغرب ابراهيم في حاران ، قلنا : من أين لهذا المدعى ان تغرب ابراهيم في حاران كان خمس سنين لكي يتم العدد ؟ وهل البناء عليه إلا بالتشبث بالتخمين الوهمي ، وإصلاح الفاسد المضطرب ، وتطبيق الحساب الضائع ، وإلا فلماذا تركتا ذكر حاران ، مع ذكرهما كنعان ومصر .

(الثاني) من موارد اختلاف النسخ الثلاث قد ذكرت النسخة العبرانية تاريخ الآباء من آدم الى ابراهيم فذكرت عمر الأب قبل ولادة الابن المذكور في السلسلة ، وذكرت باقي عمره بعد ولادة ذلك الابن (فانظر تك ٥ ، ٣ ، ٣٢ ، و ١١ ، ١٠ ، ٢٧) .

وقد خالفتها النسخة السامرية والسبعينية في ذلك اختلافاً فاحشاً ، كما تخالفتا بينهما كذلك . .

فلنذكر لك الجداول التي ذكرها المفسرون في تسجيل الاختلاف وذكرها المتكلف أيضاً (يه ٣ ج ص ٢١٣ و ٢١٦) .

وهذه صورتها بعد تصحيحنا للغلط المادى في عناوينها ، والغلط الرقوى في طبعها :

أعمارهم بعد ولادة ذلك الابن		أعمارهم عند ولادة الابن		أسماء آباء السلسلة قبل الطوفان	
سبعينية	سامرية	عبرية	سبعينية	سامرية	عبرية
٧٠٠	٨٠٠	٨٠٠	٢٣٠	١٣٠	١٣٠
٧٠٧	٨٠٧	٨٠٧	٢٠٥	١٠٥	١٠٥
٧١٥	٨١٥	٨١٥	١٩٠	٩٠	٩٠
٧٤٠	٨٤٠	٨٤٠	١٧٠	٧٠	٧٠
٧٣٠	٨٣٠	٨٣٠	١٦٥	٦٥	٦٥
٨٠٠	٧٨٥	٨٠٠	١٦٢	٦٢	١٦٢
٢٠٠	٣٠٠	٣٠٠	١٦٥	٦٥	٦٥
٧٨٢	٦٥٣	٧٨٢	١٨٧	٦٧	١٨٧
٥٩٥	٦٠٠	٥٩٥	١٨٨	٥٣	١٨٢
بعد الطوفان			عند الطوفان		
٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠
			٢٢٦٢	١٣٠٧	١٦٥٦

فانظر إلى هذا الإختلاف في الأعمار ، وفي تاريخ الطوفان من خلقة آدم .
والمتكلف لم يسعه في هذا الإختلاف الباهظ إلا تأييد التقويم العبراني
بتأييدات فارغة .

ويكفيك انه جعل من الأدلة القوية على صحة العبرانية ما توهمه (يه ٣
ج ص ٢١٥) حيث قال : ان السبعينية تقتضى تأخر ولادة البكر لآدم وشيث
الى ان مضى من عمرهما ٢٣٠ سنة و ٢٠٥ سنين ، وهذا يخجل بالنسبة بين وقت
النمو وبين مجموع عمريهما .

فهل كان أمر الله الذي قال اكثروا واملأوا الأرض ليس بضروري

في الجيل المتقدم ، وأنه صار ضرورياً في الأجيال التي بعده .
قلت : وكما ترى في هذا الدليل القوي من الغلط والجهل ، أما (أولاً)
فإن شيئاً لم يكن بكر آدم ، بل إن توراتهم تصرح بأن آدم ولد قايين وهابيل
قبل شيث ، بل مقتضاها أن قايين وله أولاداً كثيرين ثم صارت ولادة شيث
فانظر رابع التكوين .
وأيضاً لا يعرف من التوراة وغيرها من كتب وحيهم ان (انوش)
كان بكر شيث ، بل ان جميع آباء السلسلة لا يعرف من كتب العهدين انهم
كانوا اباكار آباثهم .

وقد سمعت ان شيئاً لم يكن بكر آدم .
وأيضاً بمقتضى التوراة ان ساماً لم يكن بكر نوح ، فانها تقول وكان
نوح ابن خمسمائة سنة وولد ساماً وحاماً ويافث (تك ٥ ، ٣٢) ، ولما كان
نوح ابن ستمائة سنة صار الطوفان (تك ٧ ، ٧) فلو كان سام بكر نوح لكان
عمره عند الطوفان مائة سنة ، ولكن توراتهم تقول : لما كان سام ابن مائة
سنة ولد ارفكشاد بعد الطوفان بستين (تك ١١ ، ١٠) ، وهذا يقتضى ان
ساماً تولد بعد ما مضى من عمر نوح خمسمائة وستين ، فالبكر إذن غير سام ،
وأيضاً يلزم النصارى أن لا يكون ابراهيم بكر أبيه ، فان توراتهم تقول : ان
تارح أباه عاش مائتين وخمس سنين ، وملت في حاران (تك ١١ ، ٣٢) وان
ابراهيم حينما خرج من حاران كان عمره خمساً وسبعين سنة (تك ١٢ ، ٤)
واستفانوسهم يقول : ان ابراهيم خرج من حاران بعد ما مات أبوه (ا ع
٧ ، ٤) فلا بد على هذا من أن تكون ولادته بعد ما مضى من عمر أبيه مائة
وثلاثون سنة ، والتوراة تقول : ان تارح ولد بنيه لسبعين سنة من
عمره (تك ١١ ، ٢٦) .

(فإن قيل) هب ان شيئاً وساماً و ابراهيم لم يكونوا اباكار آباثهم في

هذه السلسلة ، ولكن باقى رجال السلسلة كانوا ابكار آبائهم ، ويدل على ذلك ان التوراة بعد أن تذكر ولادة الولد المذكور فى السلسلة تقول فى شأن أبيه (وولد بنين وبنات) ، فيدل ذلك على ان الولد المذكور هو البكر ، وأيضاً ان البكورية لها أهمية وفضيلة ، فلا بد أن تكون سلسلة الآباء والعهد ومواليد الأنبياء فائزة بها .

(قلت) هذا واضح البطلان إذ لا دلالة فيما تشبث به ، كيف وقد قيلت هذه العبارة فى شأن آدم بعد ذكر ولادة شيث (تك ٥ ، ٣ - ٥) أيضاً قد دل العهد القديم على ان جماعة من الأنبياء وآباء سلسلة النبوات والعهد لم يكونوا ابكار آبائهم كما فى شيث ، وسام ، و ابراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ولاوى ، ويهوذا ، وفارص ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، وأكثر هؤلاء عيون هذه السلسلة .

وأيضاً ان الله العالم الحكيم قد تقتضى حكمته ان لا يربط سلسلة النبوة بالبكورية ، وان اجراء الحكمة أولى من اتباع عيسو فى بيعه بكوريته ليعقوب بأكلة من خبز وطبيخ وعدس (تك ٢٥ ، ٢٩ - ٣٤) .

(وأما ثانياً) فلو تجاهلنا وسلمنا ان آباء السلسلة هم ابكار آبائهم لقلمنا ان الحكمة التى اقتضت تأخر ولادة شيث مائة وثلاثين سنة ، وولادة انوش مائة وخمس سنين حسب التقويم العبرانى لا يمتنع أن تقتضى تأخر ولادتهما مائتين وثلاثين سنة ومائتين وخمس سنين حسب تقويم السبعينية ، وكلا المدتين لا تتفاوت كثيراً بالنسبة الى الوعد بالاثمار فى المناقاة وعدمها ، وبما ذكرناه تعرف غلط المتكلف فى قوله فى عنوان تقويم الجداول (قبل ولادة البكر) و (بعد ولادة البكر) ، وغلطه فى إهمال ذكر الطوفان لما قبل الستائة وما بعدها فى عمر نوح !

وهالك بقية الجداول فى تقويم الأعمار بعد الطوفان وقبل ولادة الابن

اختلاف العبرية والسبعينية والسامرية في الآباء والأعمار — ٤١ —

الواقع في السلسلة ، وانظر إلى الاختلاف فيها :

الأعمار : بعد الطوفان وقبل ولادة
الابن الواقع في السلسلة

بعد ولادة الابن الواقع
في السلسلة

الاسماء عبرية	سامرية	سبعينية	عبرية	سامرية	سبعينية
سام	٢	٢	٢	٢	٢
ارفكشاد	٣٥	٣٥	٤٠٣	٣٥	٤٠٠
قينان	١٣٠	١٣٠			٣٣٠
شالغ	٣٠	١٣٠	٤٠٣	١٣٠	٣٣٠
عابر	٣٤	١٣٤	٤٣٠	١٣٤	٢٧٠
فالغ	٣٠	١٣٠	٢٠٩	١٣٠	٢٠٩
رعو	٣٢	١٣٢	٢٠٧	١٣٢	٢٠٧
سروج	٣٠	١٣٠	٢٠٠	١٣٠	٢٠٠
ناحور	٢٩	٧٩	١١٩	٧٩	١٢٩
	٢٢٢	٧٧٢		٩٠٢	
ما قبل	١٦٥٦	١٣٠٧		٢٢٦٢	
الطوفان	١٨٧٨	٢٠٧٩		٣١٦٤	

فانظر الى هذه الأعداد والحواصل المختلفة بحسب النسخ من خلقة آدم إلى ولادة ناحور لتارح أبي ابراهيم .

واعلم انه لا يكاد يعرف من العهدين تاريخ ولادة ابراهيم من تارح إلا ان يعرف المقدار لمكث ابراهيم في حاران بعد موت أبيه ، كما يقوله استفانوس (ا ع ٧ ، ٤) .

وقد عرفت من هذه الجداول أيضا ان التوراة السبعينية قد خالفت
العبرانية والسامرية ، حيث زادت عليها في عدد الآباء (قينان) بين
ارفكشاد وشالح .

(القسم الثالث في اختلاف كتب العهدين في التاريخ)

ولنذكر من ذلك مقامين :

(الأول) قد جاء في الأناجيل في طرد النسب ما لفظه (شالح ابن قينان
ابن ارفكشاد) (لو ٣ ، ٣٥ و ٣٦) فوافق التوراة السبعينية في زيادة قينان
بين ارفكشاد وشالح) ، وخالف بذلك العبرانية والسامرية .
والمتكلف حاول التخلص من هذه الورطة فارتبك في التخليط ، وقال
(يه ٣ ج ص ٢١٢) ، ذهب البعض الى ان موسى لم يذكره (أى قينان)
لكن تكون الأجيال من آدم الى نوح عشرة ، ومن نوح الى ابراهيم عشرة
لتكون أعلق بالاذهان .

قلت : ان الوحي وموسى عليه السلام لم يكونا ليشوها وجه التاريخ
المسلسل ويهمل حقيقة قينان وتاريخه ويجعل ذلك عثرة في سبيل التصديق
بالوحي ، كل ذلك ليصفا الآباء صفاً شطرنجياً ، إذن قل كيف أقدم سبعون
من علماء اليهود المنتخبين من الملة فزادوا قينان وخالفوا إرادة الوحي وموسى
وكيف احتفل بترجمتهم عامة اليهود والمسيح والتلاميذ والأجيال القديمة من
النصارى ، ولماذا أقدم هؤلاء على تغيير وضع التوراة ونقض غرض الوحي
وموسى ، ولماذا رضى لهم قومهم واحتفلوا بترجمتهم ، أفلا تفهم من هذا
ان اليهود لا يتوقفون عن العبث بكتب الوحي إذا حسن في أهوائهم بل يكون
هذا العبث رائجاً مقبولاً في الملة .

ثم قال المتكلف : وذهب البعض إلى ان ارفكشاد كان أباً لشالح
طبيعياً ، ولقينان شرعياً .

قلت : أظن هذا التوجيه من تقدمت الدنيا بكشفه عن هذا الغيب ، وليت شعري إذا كان قينان ابناً شرعياً ، فلماذا أقدمته الترجمة السبعينية في سلسلة النسب والمواليد وجعلته مولوداً من ارفكشاد ووالداً لشالحتلاعبت بالتوراة وشوهدت التاريخ وشوشت التقويم بذكرها مقدار عمر قينان عند ما ولد شالحت ، وكيف رضيت لهم الملة ذلك وقبلت منهم ذلك ، مع انه تلاعب بكتاب الوحي بأمر غلطى .

دع عنك الملة اليهودية ، ولكن لماذا أقدمه إلهام لوقا في سلسلة الآباء عبثاً محضاً ومعثرة في التاريخ ، والتصديق بصحة التوراة العبرانية ، وتثبيتاً لغلط السبعينية وتحريفها .

ثم قال المتكلف : وذهب البعض الى أن قينان وشالحت اسمان يدلان على شخص واحد .

قلت : إذا فلماذا قبلت الملة اليهودية من السبعينية جعلها والداً حتى انها ذكرت عمر قينان عند ما ولد شالحت .

ولماذا لم يشر إلهام لوقا الى هذا الغلط ، ولا أقل من أن يجرى مجرى التوراة العبرانية ، بل جرى على غلط السبعينية ، وترك متبعيه يخبطون في عشواء ، إذ قال في طرد النسب وابن شالحت ابن قينان ابن ارفكشاد .

ثم قال المتكلف : وذهب كثيرون الى ان قينان لم يكن مذكوراً في الانجيل لوقا ، غير ان النساخ أخذوه من الترجمة السبعينية محاكاة لها .

قلت عجباً كيف سمح المتكلف أن ينطق بشهادة الكثيرين على ان كتب وحيهم كانت ملعبة للنساخ وأرهام الآراء ، فلماذا انفقت النسخ والنساخ على هذه في الانجيل المتواتر بزعم المتكلف .

ثم مع نقل هؤلاء الكثيرين كيف يتجه للمتكلف أن يقول (يه ٢ ج ص ٢٥٤) ، قال المفسرون : ان قينان هو لقب لا ارفكشاد . .

أفلمت ترى ان هذا الاضطراب في الشطط إنما هو من الاوهام التي
منها الغرور بأن تصلح الفاسد بالافسد . . .

وبعد هذا كله فمأعنى قول المتكف (يه ٢ ج ص ٢٥٤) على انه قرىء في
بعض النسخ من التوراة قبنان قبل ارفكشاد ، أترأه يعنى بذلك قبنان ابن
انوش وهو الثالث من ولد آدم في السلسلة ، كيف وهو مذكور في جميع نسخ
التوراة في الاجيال التي قبل الطوفان .

أم انه يعنى بذلك أمر لم يفهمه هو ولا غيره ، أم يريد بذلك ان
الغلط في العهدين غير عزيز ، فلا عيب إذا وقع فيه انجيل لوقا ، ولعله لذلك
عقبه بقوله (وعلى كل حال فالأمر سهل) .

أفلا تقول له : انا يكفيننا مثل هذا الاستسهال في عدم الاعتناء
بالعهدين بل لا عذر لنا عند الله في الاعتماد على كتب يستسهل فيها مثل ذلك .
(المقام الثاني) من اختلاف العهدين في التاريخ : فقد عرفت من تقويم
التوراة العبرانية ان المدة من دخول ابراهيم الى أرض كنعان الى حين دخول
بنى اسرائيل الى مصر تكون مائتين وخمس عشرة سنة ، وقد عرفت نصها على
ان إقامة بنى اسرائيل في مصر كانت أربعمئة وثلاثين سنة .
وتدل ايضاً على ان نزول الشريعة والناموس كان ابتداءه في مصر في
سنة الخروج منها (خر ١٢) .

ثم جاء جميع ما في سفر الخروج في السنة الاولى لخروجهم من
مصر قبل أن يشتغلوا بعمل المسكن الذي تم ، واقيم في أول السنة الثانية
(خر ٤٠ ، ١٧) .

ثم جاءت الشريعة المذكورة في سفر اللاويين ، وعشر أبواب من
سفر العدد في السنة الثانية قبل أن يمضى منها شهر وعشرون يوماً (انظر لا
٢٧ ، ٣٤ ، وعد ١٠ ، ١٩) .

وقد انتظم في هذا أكثر شريعة التوراة ونواميسها حسبها هو موجود في التوراة الراجعة ، فيكون من دخول ابراهيم أرض كنعان الى هذه الغاية ستمائة وسبع وأربعين سنة .

ثم جاء باقى الشريعة متدرجاً الى السنة الأربعين لخروجهم من مصر فكلم بها موسى بنى إسرائيل فى سفر التثنية (تك ١ ، ٣) ، وكان غالب سفر التثنية تكراراً لبيان الشريعة المتقدمة ، ولذا سمته الترجمة السبعينية بذلك ، وان أحكام الكهنوت وشرائعه وتأبيده كلها قد جاءت فى سفر الخروج وسفر اللاويين قبل أن تمض لخروجهم من مصر سنة ونصف ، وهاك جداول الحساب بمقتضى تقويم التوراة :

سنة	
٢٥	من دخول ابراهيم كنعان الى ولادة اسحاق (تك ١٢ ، ٤ و ٥ ، ٢١) .
٦٠	ومن ولادة اسحاق الى ولادة يعقوب (تك ٢٥ ، ٢٦) .
١٣٠	ومن ولادة يعقوب الى دخوله مع بنيه الى مصر (تك ٤٧ ، ٩) .
٤٣٠	وإقامة بنى إسرائيل فى أرض مصر (خر ١٢ ، ٤٠) .
١	شريعة سفر الخروج ونواميسه .
١	شريعة سفر اللاويين ، وعشر أبواب من سفر العدد ونواميسها .
٦٤٧	
٢٨	باقى الناموس الى ختامه عند تثنية بيانه .
٦٨٥	

وبمقتضى التوراة ان ابراهيم توفاه الله بعد ما خرج من حاران بمائة سنة (انظر تك ١٢ ، ٤ ، و ٧ ، ٢٥) .

وعلى هذا فالزمان الفاصل بين مواعيد الله لإبراهيم حينما تجلى له وبين

ابتداء الناموس الذي نزل على موسى لا يمكن أن يكون أقل من خمسمائة وخمس وأربعين سنة . .

إذا عرفت هذا فقد جاء عن بولس في ثالث غلاطية ١٦ ، وأما المواعيد فقيمت في ابراهيم وفي نسله ، لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد ، وفي نسلك الذي هو المسيح ١٧ ، وإنما أقول هذا : ان الناموس الذي صار بعد أربعمائة وثلاثين سنة لا ينسخ عهداً قد سبق فتمكن من الله ، وأقل اختلاف يفرض بين هذا الكلام وبين التقويم المتقدم عن التوراة العبرانية هو مائة وخمس عشرة سنة .

قال المتكلف (يه ٤ ج ص ٧ و ٨) ما ملخصه ان الموعد المشار اليه في كلام بولس هو الوعد الذي وعد الله به ابراهيم (تك ١٢ ، ٣) عند ما أمره بالتغرب عن وطنه وعشيرته ، ومن هذا الموعد الى نزول الشريعة ٤٣٠ سنة لأن عمر ابراهيم حينئذ كان ٧٥ سنة، ومنه الى دخول بني اسرائيل مصر ٢١٥ وأقاموا في مصر ٢١٥ يكون المجموع الى نزول الشريعة ٤٣٠ سنة، إنتهى ملخصاً قلت : قد أوضحنا لك قريباً في القسم الأول من أقسام الإختلاف الثلاثة كيف قد تقلب المتكلف في التناقض في هذا المقام وقلق في أغلاطه ، فراجعها الى الغلط الرابع عشر واكفنا مؤنة التكرار ، ولكننا نوضح لك هاهنا انه لو فرضنا ان إقامة بني اسرائيل في مصر كانت ٢١٥ سنة أو ٢١٠ سنين كما تقلب به المتكلف لما أمكن أيضاً انطباق الكلام الذي ذكرناه عن غلاطية على موعد من مواعيد الله لابراهيم المذكورة في التوراة لا من حيث المعنى ولا من حيث التقويم أصلاً ورأساً .

فلنذكر لك ما جاء في التوراة من مواعيد الله وعموده لابراهيم .
(فالموعد الأول) وهو الذي عناه المتكلف وعينه في كلامه جاء في (تك ١٢ ، ٢ و ٣) وليس فيه ذكر للنسل الذي ذكر في كلام غلاطية أصلاً ، وتاريخ

هذا الموعد اما عند خروج ابراهيم من حاران حينما كان عمر ابراهيم ٧٥ سنة كما زعم المتكلف هاهنا .

وأما عند خروجه مما بين النهرين أى (اور الكلدانيين) على قول استفانوس (اع ٧ ، ٣ - ٤) ، وعلى زعم المتكلف أيضاً في أول جدولته كما تقدم ، وبمقتضى تقويم المتكلف في جدوليه يوافق السبعين من عمر ابراهيم .

(الموعد الثاني) بعد اعتزال لوط عن ابراهيم وبعد رجوعهم من مصر وعند ما أقام ابراهيم في حبرون وهو (تك ١٣ ، ١٥ و ١٦) ، وذلك بعد دخول ابراهيم الى أرض كنعان بسنين ، والنصارى يقولون في تواريخهم : انها كانت خمس سنين أو أربع .

وصريح هذا الوعد ان المراد من النسل هم الكثيرون الذين يعسر عددهم كتراب الأرض .

(الموعد الثالث) بعد ذلك وبعد حرب ابراهيم مع الملوك (تك ١٥ ، ١٩ - ٥) ، وصريحه أيضاً ان المراد من النسل الكثيرون الذين يعسر عددهم والذين يستعبدون وينزلون في مصر .

(العهد الرابع) لما كان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة (تك ١٧ ، ٨ و ٧) وهو صريح أيضاً في ان المراد من النسل هم الكثيرون في أجيالهم . وكذا (العهد الخامس) فانه بهذا التاريخ وهذا المعنى (تك ١٧ ، ٩ - ١٣) . (العهد السادس) حينما عزم ابراهيم على ذبح اسحاق قرباناً (تك ٢٢ ، ١٦ - ١٩) وهو أيضاً صريح في ان المراد من النسل هم الكثيرون ، الذين هم كنجوم السماء وكالرمال .

وليس في هذه المواعيد لفظ (في نسلك) الذى يتشبهت به كلام غلاطية إلا في الموعد الأخير ، ولكن ما شئت فابذل جهدك وسعيك في تطبيق

كلام غلاطية المنسوب إلى بولس على أحد المواعيد التي ذكرناها من حيث اللفظ أو المعنى أو التاريخ .

أما الوعد الأول فليس فيه ذكر للنسل أصلاً ، وأما المواعيد الأربعة التي بعده فليس فيها لفظ (في نسلك) ، بل ذكر النسل بعبارة أخرى صريحة في ان المراد من النسل هم الكثيرون في أجيالهم .

وأما الوعد السادس فانه وإن كان فيه لفظ (في نسلك) لكنه صريح في ان المراد من النسل هم الكثيرون كنجوم السماء وكالرمل ، ولا يمكن تطبيق تقويمه على كلام غلاطيه ، فاذن ليس في التوراة كلام ينطبق عليه الكلام الذي سمعته عن غلاطيه لا من حيث المعنى ولا من حيث التقويم حتى بالتقويم الذي اضطرب في دعاويه المتكلف ، مضافاً الى انه جاء أيضاً في الرسائل المنسوبة إلى بولس ما هو صريح في ان المراد من النسل في مواعيد ابراهيم هم الكثيرون ، وان زعم ان المراد منهم أولاد الموعد لا أولاد الجسد ، (فانظر رو ٩ ، ٧ و ٨) ، وأظن ان كاتب رسالة رومية لم يطلع على رسالة غلاطية أو بالعكس .

والحاصل ان كلام غلاطية زيادة على غلطه في المعنى فهو مناقض لتقويم التوراة كما ذكرناه أولاً .

(المقام الثالث) من اختلاف العهدين جاء في انجيل متى قوله :
(٢٧ ، ٩ و ١٠) حينئذ تم ما قيل بارميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المشمن الذي ثمنوه من بني اسرائيل وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرني الرب .

هذا مع ان هذا المنقول لا يوجد في كتاب ارميا ، نعم يوجد له مشابه في بعض المفردات في كتاب زكريا وهو قوله (١١ ، ١٢ و ١٣) فوزنوا اجرقي ثلاثين من فضة فقال لي الرب ألقها إلى الفخارى الثمن الكريم الذي ثمنت

عليهم فأخذت الثلاثين الفضة وأرسلتها الى الفخارى في بيت الرب ، وأنت ترى انه لا مماثلة من حيث المعنى ولا التركيب بين ما ذكرنا عن متى وما ذكرناه عن زكريا ، وإنما توجد المماثلة بين بعض المفردات مثل : ثلاثين ، وفضة وثمن ، والذي ، والرب .

فإن أغمضنا عن مسخ التركيب والمعنى فقد غلط كاتب الانجيل في نسبته الى ارميا وهو في كتاب زكريا ، أو غلط كتاب العهد القديم إذ جعلوه في كتاب زكريا وهو من كتاب ارميا ، وإن أغمضنا عن الغلط في النسبة ، فقد غلط كاتب الانجيل في مسخ التركيب ، وتبديل الإسم ، أو غلط العهد القديم في نقل الكلام على وجهه .

نقل إظهار الحق في الشاهد التاسع والعشرين من المقصد الثاني من الباب الثاني عن كتاب (وارد كاتك) عن كتاب (مستر جويل) ان متى غلط فكتب (ارميا) موضع زكريا .

وعن (هورن) في تفسيره اعترافه بأن في هذا النقل اشكالا جداً من اجل عدم وجوده في ارميا وعدم مطابقته لما في زكريا . ونقل عن بعض المحققين بناءهم على احد امرين . اما تبديل الكتاب لزكريا بارميا غلطاً . واما ان لفظ ارميا الحقه الكتاب غلطاً ، ثم قوى هورن هذا الأخير ونقل إظهار الحق عن بعض مفسريهم انه وجهه بالوجه الأول .

وعن ابن سابط ان بعض قسيسيهم اعترف بأن متى كتب هذا اعتماداً على حفظه بدون مراجعة للكتب فوق في الغلط ، وقال بعضهم ، لعل زكريا يكون مسمى بارميا أيضاً .

والمتكلف (به ٣ ح ص ٢٧١) من شدة عناده للحق ، أو من كثرة علمه نسب إظهار الحق الى الهذيان حيث نقل الحيص والبيص من علماء النصرى في هذا المقام .

وليت شعري لماذا حمل على إظهار الحق قصاص علماء النصارى ومفسريهم
إذ انطقوا في اضطرابهم ببعض الصواب الباهظ لضلال الأهواء ، فهل يقول
المتكلف ان عدل الله وقداسته ومقته للخطيئة والخطأ والخبث والغلط أقتضى
ان يكون إظهار الحق قادياً لمتى والمفسرين .

دع هذا فإن المتكلف (به ٣ ج ص ٢٧٢) زاد في الخبط والإضطراب
في هذا المقام ، فزعم (أولاً) ان من اصطلاحات علماء اليهود القديمة انهم
كانوا يقسمون الكتب المقدسة إلى ثلاثة أقسام : (القسم الأول) شريعة
موسى ، وكانوا يسمونها الشريعة ، (والقسم الثاني) المزامير ، (والقسم
الثالث) قسم الأنبياء ويسمى ارميا ، من اطلاق الجزء على الكل ، وسبب
تسمية قسم الأنبياء بأرميا هو انهم ذكروا نبواته أول الأنبياء على هذا الترتيب
وهو ارميا وحزقيال وأشعيا ، ثم نبوات الإثني عشر نبياً صغيراً .

(قلت) يحكى ان بعض الكذابين أوصى ولده وقال له : إذا كذبت
فاستشهد بالأموات ، كيف وان الموجود من العهد القديم العبراني هو انهم
ذكروا بعد أسفار التوراة حصتين سموا الأولى (نبيايم - اشونيم) - أي
الأنبياء الأولين - وهي ستة كتب أولها كتاب يوشع وآخرها الملوك الثاني ،
وسموا الحصة الثانية (نبيايم احرونيم) - أي الأنبياء الآخرين - وهي خمسة
عشر كتاباً أولها كتاب اشعيا وآخرها كتاب ملاخي .

ثم ذكروا بعد ذلك حصة سموها (كتوبيم) وهي ثلاثة عشر كتاباً
أولها المزامير (تهلیم) وآخرها أخبار الأيام الثاني .

فليس في العهد القديم العبراني حصة أولها كتاب ارميا ، ولا حصة
تسمى ارميا ، واليهود لا يعرفون ذلك عن سلفهم ، وانجيل متى لم يقل
بالأنبياء بل قال (بأرميا النبي القائل) وهذا كالصراحة بإرادته كتاباً واحداً
ولو خادعنا نفوسنا وسلنا دعوى المتكلف في اصطلاحات اليهود القديمة ،

وأعرضنا عن دلالة اللفظ لقلنا ان انجيل متى لم يجر على هذا الإصطلاح المكذوب ، بدليل انه قال (مت ٢٧ ، ٣٥) « لكي يتم ما قيل بالنبي ، وهو يعنى بذلك كتاب المزامير ، فإن قسم المزامير لا يسمى عند اليهود بالنبي ولا الانبياء لا في الإصطلاح المكذوب ، ولا في الإصطلاح المعروف بل يسمى (تهليم) .

(فإن قلت) ان استشهاد انجيل متى بما ذكرته عن المزامير غير ثابت بل ذهب بعض المفسرين الى ان الفقرة المشار اليها يجب حذفها لانها ليست في المتن وإنما هي مأخوذة من انجيل يوحنا (١٩ ، ٢٤) ولذا جعلوها في انجيل متى بين خطين هلايين .

(قلت - أولاً -) ان المتكلف يعترف (به ٣ ج ص ٢٧٤) بأن هذه الفقرة في انجيل متى ثابتة في النسخ المعتبرة والقراءات الصحيحة .
و (ثانياً) امك لم تأت في هذا بشيء إلا انك جلبت على الانجيل مصيبة اخرى وهي أن تكون مثل هذه الفقرة الطويلة زائدة فيه من عبث التصرف .
وزعم المتكلف (ثانياً) ان كلمة (ارميا) تكتب باللغة اليونانية (ايريو) وكلمة زكريا (زيرو) بتغيير الالف إلى زاي فقط فنشأ هذا الاختلاف .
قلت : إذن فيحق أن يصنع التنوير والإحتفال لإتقان الانجيل في لغته وكتابه ، وللتكلف في رؤياه النيوية .

وزعم (ثالثاً) بأن البعض ذهب الى ان ارميا هو الذي تكلم بهذه الكلمات وان زكريا نقل عنه .

(قلت) دع عنك ان سوق الكلام في كتاب زكريا يأبى ذلك ويبطل هذه الدعوى ، ولكن كان على هذا البعض إذ تلبأ من هواه بهذا الغيب ان يتم الإصلاح لنقل انجيله فيتنبأ ويقول : ان العبارة الاصلية لا ارميا موافقة لعبارة متى ، وان الخطأ وقع في نقل زكريا .

(المقام الرابع) وأيضاً جاء في العهد القديم ان (بلعام) هو ابن (بعور) بالعين قبل الواو (عد ٢٢، ٥ و تث ٢٣، ٤ و يش ١٣، ٢٢ و مى ٦، ٥).
وجاء في العهد الجديد (بلعام) ابن (بصور) بالصاد قبل الواو ،
(٢ بط ٢، ١٥).

ولا تصغ الى اعتذار المتكلف في مثل هذا بتقارب الحروف فان الفرق في الخط العبرانى بين العين والصاد من أوضح ما يكون في الفرق بين الحروف إلا أن يقول : ان كاتب العهد الجديد لا يحسن ان يميز ما بين الحروف ، فقل له : إذن فقد وقع كتابة العهد القديم بمثل ذلك ، حيث اعتذرت عن اشتباههم مراراً بتقارب الحروف ، فلماذا قسم الطالع للعهدين بالكتابة الذين لا يميزون بين الحروف .

ولا تلتفت الى نبواته الا هوائية إذا ادعى باطلا ان (بعور) لما تزوج أو لما نبت لحيته ، أو لما شاب ، أو لما ارتفع بعد الضعة ، أو لما انضع بعد الرفة صار اسمه (بصور) بالصاد ، كما يلتجأ الى مثل هذا الخبط عندما يضيق به الخناق كما ادعاه (يه ٢ ج ص ١٢٨) ، لما سمي العهد القديم ام سليمان النبي مرة « بت شبع بنت اليعام » (٢ صم ١١، ٣) ، ومرة « بت شوع بنت عميثيل » (١ اى ٣، ٥) ، وادعاه أيضاً في كتابه في كثير من اختلاف العهد القديم .

(المقام الخامس) في اختلاف ذات الاناجيل فيما بينها في التاريخ ، ولنكتف من ذلك بما ذكرناه في الجزء الاول صحيفة ٢٠٥ - ٢٣٢ فراجعه ، فانه يشتمل أيضاً على القسم الاول وهو اختلاف ذات الكتاب انواعه في تاريخه
(المقام السادس) في اختلاف كتب العهد القديم فيما بينها في التاريخ جاء في سفر الملوك الثانى ٨، ٢٦ ابن اثنتين وعشرين سنة اخزيا هو عند ملكه وسنة واحدة ملك بأورشليم واسم امه عثليا بنت عمرى ملك اسرائيل ، وجاء

في سفر الأيام الثاني ٢٢، ٢٢ ابن اثنتين وأربعين سنة اخزيا هو عند ملكه
وسنة واحدة ملك بأورشليم واسم امه عثليا بنت عمري .

فزاد تاريخ سفر الأيام على تاريخ سفر الملوك عشرين سنة ، مع ان ما
في سفر الايام لا يكاد أن يصح لنص العهد القديم على ان أباه يهورام مات
وهو ابن أربعين سنة ، وان اخزيا صار ملكا سنة موت أبيه (فانظر ٢ مل
١٧، ٨ و ٢٥ ، و ٢ مل ٢١ ، ٢٠) وعلى هذا يلزم أن يكون اخزيا أكبر
من أبيه بستين .

قال المتكلف (به ١ ج ص ٢٨٢) المراد بقوله (يعني الايام الثاني ٢٢ ، ٢)
اثنتين وأربعين سنة - أي من دولته - وأنه صار للدولة التي هو منها ٤٢ سنة
وكان عمره نحو اثنتين وعشرين سنة .

قلنا سألنا المتكلف في دعواه التي لا يرتضيها لنفسه كل مؤرخ يعرف
من لحن الكلام والتاريخ موطن قدمه ، ودعه يرضى مثل ذلك لا ببيانه
وكتب وحيه ، وإن خالفه أسلوب كل التاريخ المذكور في العهد القديم ، ولكن
قل أي وقت من السولة يأخذه مبدأ للإثنتين وأربعين سنة ، فإن كان ابتداء
دولة أبيه يهورام فإنه يكون ابن ثمان سنين ، وإن كان ابتداء دولة جده
يهوشافاط فإنه يكون ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وإن كان ابتداء دولة جد أبيه
آسا فإنه يكون ابن أربع وسبعين سنة ، أم يقول : ان الوحي انتهى
سنة من السنين فجعلها مبدأ للتاريخ ، وعلى كل حال فلا غلط ، ولا
خبط ولا اختلاف .

ثم قال (ص ١٨٣) ثانياً قرأ عوضاً عن ٤٢ سنة ٢٢ وعليه فلا لزوم إلى
التأويل ، وسبب اختلاف القراءة هو ان العبرانيين كانوا يستعملون الاحرف
للدلالة على الاعداد ، وبما انه يوجد تشابه بين الحرف الدال على العدد ٢
والحرف الدال على العدد ٤ نشأ هذا الاختلاف في القراءة وهو أمر نادر جداً

في كتاب الله وهو يكاد أن يكون كالمعدوم .

قلت (أولاً) ان اليهود وإن كانوا ربما يشيرون الى العدد بالحروف ولكنه لا أثر لذلك في متن العهد القديم العبراني ، بل ان جميع أعداده المذكورة باللفظ الصريح حتى في هذا المقام ، إلا ان يقول المتكلف ان المتن العبراني كالحرباء يبرز كل زمان بلون .

(وثانياً) ان إشارتهم الى العدد إنما هي بحروف (ا ب ج د) الكبير الذي تكون فيه مراتب العدد محفوظة في ذات الحرف لا بموقعه في الصف ، كما هو في الإشارة بالأرقام .

فالتكلف غاط في قوله (تشابه الحرف الدال على العدد ٢ والحرف الدال على العدد ٤) بل الإشتباه في مثل المقام يكون بين الحرف الدال على عشرين وهو الكاف ، والحرف الدال على أربعين وهو الميم .

(وثالثاً) ان الباء والدال والكاف والميم في الخط العبراني متباعدة في الشكل كتباعدتها في الخط العربي أو أكثر فلا يشتبه بها إلا من لا يميز من الخط إلا السواد على البياض ، فقررت عين المتكلف بكتبه وكتبها وقرأتها وحملتها ، (ورابعاً) ان قوله وهذا نادر جداً في كتاب الله إنما هو قول من لا خبرة له في كتابه أو قول من لا يبالي بدعائه الوقتية وإن قدم وأخر ما ينقضها ، كيف لا وقد تشبث باشتباه الحروف وتقاربها في الإعتذار عن كثير من أغلاط العهدين (فانظر الجزء الأول صحيفة ٢١١ س ٥ - ٧) كما اعتذر بذلك (به ١ ج ص ١٨٠) عن اختلاف العهد القديم في نحو تاريخ وتحرير ، وبنعة وينعة ، ويهوعدو ويعره ، على انا قد ذكرنا لك في التمهيد ان الحواشي قد ذكرت من أغلاط الحروف في المتن العبري ما يزيد على الألف مع انها قد أهملت من ذلك الكثير ، ولكن المتكلف لا يبالي ان يقول مع ذلك ، وعلى كل حال فلا اشتباه بالحروف في كتاب الله .

(وأيضاً) جاء في الملوك الثاني ٢٤ ، ٨ ابن ثمانى عشرة سنة يهويakin عند ملكه وثلاثة أشهر ملك بأورشليم .

وجاء في الأيام الثاني (٣٦ ، ٩) ابن ثمانى سنين يهويakin عند ملكه وثلاثة أشهر وعشرة أيام ملك بأورشليم ، فاختلف التاريخان في عمره عند ملكه بعشر سنين .

وقال المتكف (به ١ ج ص ١٨٣) لما كان عمره ثمانى سنين أشركه معه والده في الحكم ليمرنه ويدربه على السياسة والإدارة ، ومع ذلك فلم يملك رسمياً إلا لما كان عمره ثمانى عشرة سنة .

قلت : دع عنك ان هذه الدعوى تقول بلا أثر يشهد لها وإنما أوردتها على اللسان والقلم ذلك الروح المذكور (١ مل ٢٢ ، ٢٢ ، و ٢ أى ١٨ ، ٢١) ولكن ما يصنع المتكف والمرسلون الامريكان بقول الأيام الثاني ٣٦ ، ٥ ابن خمس وعشرين يهوياقيم عند ملكه وإحدى عشر سنة ملك بأورشليم ، وملك يهويakin ابنه عوضه ٩ ابن ثمانى سنين يهويakin عند ملكه وثلاثة أشهر وعشرة أيام ملك بأورشليم .

وطابق أنت هذه العبارات مع ٢ مل ٢٣ ، ٣٦ ، و ٦٢٤ و ٨ فانه لو كان المراد كما يزعمه المتكف هاهنا لكان نبيه ووجيه قد غلطا في قولها ان يهويakin ملك عوض أبيه ، بل كان عليهما ان يقولوا (معه) وغلطا في قولها ان يهويakin ملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، بل كان عليهما ان يقولوا عشر سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، فلا يصح لسفر الايام إلا أن يريد في جميع كلامه ملك يهويakin الرسمى بعد أبيه .

(المقام السابع) في اختلاف كتب العهدين فيما بينها في التاريخ ، جاء في صموئيل الثاني ٢٣ ، ٨ هذه أسماء الأبطال الذين لداود ، يوشيب بشبث التحكموني رئيس الثلاثة هو هز قناته على ثمان مائة قتيل دفعة واحدة ٩ وبعده

الغاززا ابن ددى ابن اخوخى ١١ ، وبعده شمة ابن اجى هارارى ، فاجتمع
الفلسطينيون جيشاً وكانت هناك قطعة مملوءة عدساً .

وجاء فى الايام الاول فى هذا الموضوع ١١ ، ١١ وهذا عدد الابطال
الذين لداود ياشا بعام ابن حكمونى رئيس الثوالت هو هز - رحه على ثلاث مائة
قتيل دفعة واحدة ١٢ ، وبعده الغاززا ابن دودو الاخوخى ١٣ ، والفلسطينيون
اجتمعوا هناك للحرب ، وكانت قطعة الحقل مملوءة شعيراً فاختلف الكتابان
فى نقل القصة الواحدة فى امور (١) يوشيب بشبت ، وباشبعام (٢) التحكمونى
ابن حكمونى (٣) ثمان مائة قتيل دفعة واحدة ثلاث مائة قتيل دفعة واحدة ،
(٤) ددى ابن اخوخى ، دودو الاخوخى (٥) مملوءة عدساً ، مملوءة شعيراً .
وحاصل ما عند المتكلف فى هذه الورطة ثلاث دعاو تزيد فى الطنبور
نغمة (١) ان العلم قد يكون مركباً من اسم فاعل وجار ومجرور فان بشبت
الرابض فى مكانه (٢) ان أحد النبيين ذكر ٣٠٠ عدد المقتولين ، والثانى ذكر
٨٠٠ عدد المقتولين مع الجرحى والهاربين (٣) ان يكون العددان فى حادثتين
مختلفتين (انظر به ١ ج ص ١٨٤ و ٣ ج ص ٢٢٩) .

فنقول (أولاً) : هب ان بشبت علم مركب ، ولكن ما وجه التوفيق
بذلك بينه وبين يوشيب وبين ياشبعام ، وما وجه التوفيق بين وصفه بالتحكمونى
وبين جعله ابن حكمونى .

(وثانياً) ان كلا الكتابين قالا ٣٠٠ و ٨٠٠ قتيل دفعة واحدة ولفظ
ذلك فى الاصل العبرانى فى كلا الكتابين (حالال) وهو القتييل (انظر ت
١ ، ٢١ و ٣ و ٦ ، واصم ١ ، ٣١ و ٨ ، و ١٠ اى ٨ ، ١٠) فهل يقول المتكلف
ان أحد النبيين جهل الحقيقة فعد الجرحى والهاربين من قسم القتلى ، ولعله
يقول ذلك لى يحامى عن كتبه المملوءة غلطاً والتي لا تعرف الانبياء ولا
يعرف الانبياء صورتها المستحدثة .

(وثالثاً) ان كل من يفهم ما يقول وما يسمع وما يقرء ليعلم ان المراد من صموئيل الثاني (٢٣، ٨ - ٣٩) هو المراد من الايام الاول (١١، ١٠ - ٤٧) كما يعلم ان العازار ابن ددى ابن اخو حى هو الذى قيل فيه العازار ابن دودو الاخو حى ، وان العدس هو الذى قيل فيه شعير .

وكما يعلم أيضاً من صموئيل الثاني ٢٣، ٢٥ (بان شمة الحرودى) هو المذكور فى الايام الاول ١١، ٢٧ (شموت الهرورى) و (حالص الفلطي) ٢٦٢ هو (حالص الفلوني) ٢٧ و (خالب ابن بعنة) ٢٩ هو خالد ابن بعنة ٣٠ و (هدى من اودية جاعش) ٣٠ هو (حورى) ٣٢ و (اخيام ابن شاراد الارارى) ٣٣ هو (اخيام ابن ساكار الهرادى) ٣٥ ، ولو قابلت (٢ صم ٢٣، ٢٤ - ٣٩ مع ١ اى ١١، ٢٦ - ٤٧) لوجدت الاختلاف الفاحش فى الاسماء ، مع ان المقامين متصديان لذكر أمر واحد ، ولا يخفى عليك ان هذا كله من الغلط الذى أشرنا اليه آنفاً .

(المقام الثامن) فى اختلاف الكتاب الواحد من العهد القديم ، جاء فى الملوك الثاني (١٧، ١) ان اخزيا ابن اخاب ملك اسرائيل مات وملك عوضه أخوه يهورام ابن اخاب فى السنة الثانية ليهورام ابن يهو شافاط ملك يهودا ، وجاء فيه أيضاً (١٦، ٨) وفى السنة الخامسة ليهورام ابن اخاب ملك اسرائيل ويهو شافاط ملك يهوذا ملك يهورام ابن يهو شافاط ملك يهودا وإذا كان يهورام ابن يهو شافاط قد ملك فى السنة الخامسة لملك يهورام ابن اخاب فكيف يكون يهورام ابن اخاب ملك فى السنة الثانية لملك يهورام ابن يهو شافاط ودع باقى المناقضات فى الملوك الثاني ، وبينه وبين الايام الثاني فى تاريخ هذين الملكين ويهو شافاط ، ودع المترجمين يسقطون ويحرفون ما شاؤوا حيث لا يقبل منهم ولا يجديهم .

وقد أدى بنا التطويل فى هذا المقام إلى السأم ، وفى هذا الانموذج

كفاية ، وليس الغرض من هذا المقام هو الإستقصاء فإنه يحتاج الى كتاب براسه ، بل وليس الغرض بيان أغلاط المتكلف في كل ما أجاب به إظهار الحق ، ولعلنا نستطرد في المباحث الآتية كثيراً من ذلك إن شاء الله .

* * *

فلنشرع بعون الله فيما هو المقصود في الفصل الرابع الذي قدمنا لأجله هذا التمهيد ، قال الله جل اسمه في سورة (حم فصلت ٨ قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ٩ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ١٠ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ١١ فقضن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم .

واعترض المتعرب (ذ) ٤٤ على هذه الآيات باعتراضين (الأول) زعمه انه يتحصل من الآيات الكريمة المذكورة ان خالق الأرض والسموات كان في ثمانية أيام (وذلك لمكان يومين وأربعة أيام ويومين) ثم زعم انه منقوض في سبعة مواضع من القرآن بما معناه انه (جل شأنه) خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لا ثمانية .

قلت : لا يخفى ان الجبال جزء من الأرض التي خلقت في يومين وهي مخلوقة بخاق الأرض ولكن جرى التنصيص على ذكرها للإمتنان بجعلها على الأرض لما فيها من الفوائد ودفع المضار ، كما أشرنا اليه في الجزء الأول صحيفة ٣٧٩ - ٣٨١ ، ولم يقل جل اسمه : (وخلق فيها رواسي) بل قال : (وجعل فيها رواسي) وذلك لئلا يتوهم ان خلق الجبال كان منفصلاً عن خاق الأرض في اليومين ، بل لينبه على ان الجبال من المخلوق في اليومين وجرى التنصيص عليها للإمتنان بحكمتها الظاهرة فيكون ذكر جعل الجبال بمنزلة الإعادة لذكر الخاق

المتقدم في الآية الأولى ، لأن جعل الجبال كان من جملتها ، وهذا مما لا ينبغي أن يخفى ، فيكون قوله تعالى في الآية الثانية : (وجعل فيها رواسي من فوقها بمنزلة قوله تعالى خلقها مع جبالها الراسية النافعة ، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ، فيكون اليومان داخليين في الأربعة فتم فائدة التفصيل والبيان والتجدد بالقدرة والإمتنان بقوله تعالى : (خلق الأرض في يومين) وبيانه جل شأنه بقوله تعالى : (انه خلقها وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام) .

الإعترض الثاني : هو ان الآيات المذكورة تدل على ان خلق السموات كان بعد خلق الأرض ، فزعم انه منقوض بقوله تعالى في سورة النازعات ٢٧ (وأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ٢٨ رفع سمكها فسويها ٢٩ وأغطش ليلها وأخرج ضيئها ٣٠ والأرض بعد ذلك دحاهها ٣١ أخرج منها مائها ومرعاهها ٣٢ والجبال أرسبها ٣٣ متاعاً لكم ولأنعامكم) .

قلت : منشأ توهم المتعرب في زعمه هذا أمران (أحدهما) توهمه ان قول الله جل شأنه : (ثم استوى الى السماء) معطوف ومرتب على قوله تبارك اسمه : (وبارك فيها وقدر فيها أقواتها) وليس كما توهم ، بل انه معطوف على قوله تعالى : (خلق الأرض في يومين) .

(وثانيهما) توهمه ان قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاهها) ، بمعنى أنشأ خلقها ، وليس كما توهم ، بل ان معنى قوله تعالى : (دحاهها) مهدها وأعددها للسكنى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وأخرج منها مائها ومرعاهها متاعاً للناس ولأنعامهم .

ولو اعتمدنا على الهيئة الجديدة لفهمنا من قوله تعالى : دحاهها انه سخرها للحركة الاينية في الدوران على الشمس بعد أن خلق الشمس في جملة السموات وأودع فيها القوة الجاذبة فيكون قوله تعالى : (أخرج منها مائها ومرعاهها)

حالاً من الضمير البارز في (دحاها) ، كما انه يكون على المعنى الأول بدلاً من قوله تعالى : (دحاها) .

فيكون حاصل الآيات السابقة هو ان الله جلت قدرته خلق الأرض وأنشأها في يومين ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين ، وخلق الأرض وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة تامة في العدد وإن كانت مفصولة بوقوع خلق السموات بين خلق الأرض وبين البركة فيها وتقدير أقواتها .

ومما يرشد من نفس الآيات الى أن يومى خلق الأرض مفصولان عن يومى البركة فيها وتقدير أقواتها هو قوله تعالى : (سواء للسائلين) أى أربعة تامة العدد فيما يتعلق بالأرض وإن كانت مفصولة بخلق السموات كقوله تعالى في سورة البقرة ١٩٢ : (ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) أى كاملة في العدد وإن كانت مفصولة بمدة الرجوع الى الوطن .

(فإن قلت) فلماذا لم يجر البيان على نسق التكوين والتقدير ، (قات) ليجرى البيان والإمتنان في النظام الأرضي في تكوينها وتقدير أقواتها مطرداً في نسق واحد ، وينتظم فيه التقدير بأربعة أيام ، فإنه لا يخفى ان اذهان عامة البشر أقرب الى الإلتفات الى تأثير النعم الأرضية في قوام حياتهم وقرار تعيشهم ، وأما النعم السماوية فلا يلتفت الى حقيقة مداخلتها في ذلك بما لها من التسبيب إلا الخواص .

(فإن قلت) فد قدمت ان خلق الجبال كان في جملة خلق الأرض في اليومين قبل خلق السموات .

إذن فماذا تقول في قوله تعالى في السادسة من الآيات الأخيرة (والجبال أرسبها) ، أفليس ذلك يدل على ان خلق الجبال كان بعد خلق السماء ، (قلت) ان إرساء الجبال ليس بمعنى خلقها بل بمعنى تثبيتها وإعطائها قوة الشبات

في محالها حينما تحتاج الى ذلك بواسطة الصوامد أو حركة الارض عند دحوا الارض وتقدير أقاتها إذ كان من ذلك ان اودع بقدرته في جوفها المواد البخارية والنارية السيارة لتوليد معادنها ونباتها وتصعيد مياهها ، ففتح الله الجبال قوة إرسائها فلا يززعها ويلاشيها ما قدر الله خروجه منها من المواد البخارية والنارية السيارة في جوف الارض لكي تدوم بذلك حكمة خلقها كما أشرنا اليه في الجزء الأول صحيفة (٣٨٠ و ٣٨١) وجعلها راسية عند مادحا الارض بالحركة الوضعية أو الاينية فدبت فيها الحرارة السيارة وتوجهت الى الخروج من الجبال ، أو لهذا ولانها لا تنهال بواسطة الحركة وتزعزع من مكانها وذلك اما بقوة كافية في ذلك كله ، أو بأن جعل في طبيعتها الميل الى مركز الارض كما تقوله الفلسفة القديمة أو بحبسها بإحاطة الهواء الثقيل المطلق كما يقال في الفلسفة الجديدة (إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) ، ولعل ما الى نحو هذه الحركة يشير قوله تعالى في سورة النمل ٩٠ (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) .

واعترض المتكلف على الآيات السابقة من سورة فصلت أيضاً فقال (به ٢ ج ص ١٠٨) ومن طالع الاصحاح الاول من سفر التكوين وجد أغلاطاً جمّة في عبارة القرآن .

ففي اليوم الأول خلق الله النور وفي اليوم الثاني خلق الله الجلد وفي اليوم الثالث خلق الله الارض وجعلها تنبت العشب وفي اليوم الرابع خلق الشمس وفي اليوم الخامس خلق الله الطيور والزحافات وفي اليوم السادس خلق الله البهائم والوحوش وغيرها وفي اليوم السابع خلق الله الإنسان ، كما هو مذكور بالتفصيل في الاصحاح الاول من سفر التكوين .

قلت (أولاً) ان أردت أن تعرف حال التورية التي يعترض بها فانظر

الى ما ذكرنا في الصدر والتمهيد مع ما أشرنا اليه في الجزء الأول لكي تعرف ما هي عليه من تعدد مواليدها ومسمياتها ، ونشؤها ، وأحوالها ، واسقامها وإنكار المفسرين المدققين لمضامينها وصراحتها ، وشهادة جملة من المفسرين بزيادتها ونقصانها ، واعراض قارئها ومترجميها عن صورتها المشوهة بالغلط والنقصان . ودع عنك ما ذكرنا في متفرقات الكتاب مما تتيقن منه بأن هذه الصورة الموجودة لا تعرف كايام الله موسى عليه السلام ولا يعرفها .

(وثانياً) ان أردت ان تعرف مقدار معرفة المعترض فانظر الى جهله بتوراته فانها تقول : ان اليوم الثالث قال الله فيه لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد وتظهر اليابسة ، وكان كذلك ودعى الله اليابسة أرضاً ، وجمع المياه بحاراً (تك ١ ، ٩ و ١٠) ، وهذا لا يدل إلا على ان الارض كانت مخلوقة موجودة ولكنها مغمورة بالمياه ، فأمر الله المياه ان تنحسر عنها لكي تظهر بعد الإنفجار .

وزيادة على ذلك ان توراته قد ذكرت قبل ذلك ان الارض كانت خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفرف على وجه المياه ، وقال الله ليكن نور ، ودعا الله النور نهاراً والظلمة ليلاً ، وهو اليوم الأول (انظر تك ١ ، ٢ - ٦) ، وهذا يدل على ان الأرض مخلوقة قبل خلق النور في اليوم الأول .

وان قوله وفي اليوم السابع خلق الله الإنسان إنما هو أيضاً جهل بهراحة توراته في هذا المقام وغيره ، فانها تقول ان الله خلق الإنسان في اليوم السادس (تك ١ ، ٢٦ - ٣١) ، وان الله تعالى فرغ في اليوم السابع واستراح من عمله (تك ٢ ، ٢ و ٣) وتقول في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحار وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع (خر ٢٠ ، ١١ و ٢٣ ، ١٧) .

(وثالثاً) ان أردت أن تعرف تنافي التوراة واضطرابها في المقام الذي

يعترض به فاعرف ذلك أقل من أربعة موارد :

(١) قد تقدم ان توراته تدل على ان الأرض كانت خربة وخالية قبل خلق النور الذى حدث منه اليوم الاول وانها فى اليوم الثالث ظهرت من تحت الماء بسبب اجتماع المياه الى مكان واحد ، وهذا مناف لقولها فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله فى اليوم السابع .

وقولها هذه تولدات السموات والأرض عند خلقها (تك ٢ ، ١ ، ٤) فانها لم تؤرخ خلق الارض ، بل مقتضاها ان خلق الارض قبل الستة أيام ، وقبل خلق النور الذى تميزت به الأيام .

(٢) وإذا كان خلق الارض هكذا وظهورها من الماء فى اليوم الثالث وذكرت خلق السماء فى اليوم الثانى ، فهذا معاً مناف لقولها هذه توأيد السموات والارض عند خلقها بيوم عمل الرب الاله الارض والسموات ، فكيف تجمع خلقهما بيوم واحد مع انها تذكره فى أيام متفرقة .

(٣) ذكرت ان الله جلت قدرته فى اليوم الأول خلق النور وفصل بين النور والظلمة ودعا النور نهراً ، والظلام ليلاً وكان مساء وكان صباح ، وهذا مناف لقولها ان الله فى اليوم الرابع خلق الانوار لتفصل بين الليل والنهار ولتجزم على الليل والنهار وتفصل بين النور والظلمة (تك ١ ، ٤ - ١٩) .

(٤) ذكرت ان الله أنبت العشب والبقل والشجر المثمر فى اليوم الذى عمل فيه الارض بأن أظهرها من تحت الماء وهو اليوم الثالث (تك ١ ، ٩ - ١٣) وهذا مناف لقولها كل شجر البرية لم يكن بعد فى الارض وكل عشب البرية لم يلبث بعد فى الارض ، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض ، ولا كان إنسان ليعمل الأرض .

فإن هذا الكلام يدل على ان نبات الشجر كان موقوفاً على وجود الإنسان الذى يعمل الارض ، وهى تذكر ان الإنسان لم يخلق إلا فى اليوم السادس ،

فأين قولها ان الشجر نبت في اليوم الثالث .

هذا مضافاً الى كونها تذكر ان السموات تفصل بين مياه ومياه من فوقها وتحتها (تك ١ ، ٦ - ٨) مع ان المتكلف وقومه المعتمدين على الهيئة الجديدة يعدون هذا من الخرافات .

وأيضاً صريح هذا المقام ان الله خلق النور والسموات والشمس والقمر والكواكب والعالم الأرضي من نبات وشجر وحيوان هذا كله وفيما بين خلقه وبين خلق آدم خمسة أيام ، وقبل ذلك لم يكن ، وغالب قوم المتكلف يعدون هذا أيضاً من الخرافات .

أفبهذا الكتاب وهذه المعرفة وهذا المقام المتناقض المرفوض في مضامينه يعترض المتكلف على القرآن الكريم ، نعم ولعله بسبب هذه المعارف يتوقع من قومه مرتبة الاسقفية الكبرى .

* * *

وقال الله تعالى في سورة الحجر ٢٧ : (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) ، وفي سورة الرحمن ١٤ وخلق الجن من نار من نار .

فقال المتكلف فيما قال (يه ٢ ج ص ٨٢) والحق هو ما ورد في كتاب الله من انه لا يوجد سوى الملائكة الاخير والملائكة الاشرار أو أرواح طاهرة وأرواح شريرة ، ولا وجود لشيء يقال له جن ، فالإعتقاد بوجود جن هو من الإعتقادات الوثنية .

قلنا : فاستمع لما في العهدين مما هو من هذا الذي نفي المتكلف وجوده وجعله من الاعتقادات الوثنية .

ففي التوراة لا تلتفتوا الى الجن ولا تطلبوا التوابع فتنجسوا بهم (لا ١٩ ، ٣١) والنفس التي تلتفت الى الجن والتوابع لتزني ورائهم اجعل وجهي ضد تلك النفس .

وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فانه يقتل (لا ٢٠، ٦ و ٢٧)
لا يوجد فيك ، ولا من يسأل جانا أو تابعة ، ولا من يستشير الموتى
(تث ١٨ ، ١٠ و ١١) .

وفي تاريخ منسى ملك يهوذا انه استخدم جانا وتوابع (٢ مل ٢١ ،
٦ و ٢ اى ٣٣ ، ٦) .

وانظر الى حديث صاحبة الجان مع شاول (١ صم ٢٨ ، ٣ - ١٩ و ١
اى ١٠ ، ١٣) ، وإسم الجان في الأصل العبرانى (اوب) و (اوبت) وإسم
التابعة (يدعنى) والتوابع (يدعنيم) .

وأما العهد الجديد فقد ذكر ان الأرواح النجسة حينما نظرت المسيح
خرت له وصرخت قائلة : أنت ابن الله (مر ٣ ، ١١) ، وصرخ الروح
النجس قائلا : آه ما لنا ولك يا يسوع الناصرى أتيت لتهلكنا أنا أعرف
ملك قدوس الله فانتهره يسوع قائلا : اخرج و اخرج (مر ١ ، ٢٣ - ٢٥)
واخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه أو لم يدعهم
يقولون أنهم عرفوه (مر ١ ، ٣٤ و لو ٤ ، ٤١) وان الروح النجس والشياطين
لما رأى المسيح قال : ما لنا ولك يا يسوع ابن الله أجمت إلى هنا قبل اوقت
لتعذبنا ، وطلبوا منه أن لا يأمرهم بالذهاب الى الهاوية وان يأذن لهم بالذهاب
الى قطيع الخنازير فأذن لهم وذهبوا اليه (انظر مت ٨ ، ٢٨ - ٣٣ و مر ٥ ، ٦
- ١٤ و لو ٨ ، ٢٨ ، ٣٤) .

فانظر الى الصفات التي أثبتتها العهد الجديد للإرواح النجسة ، واعلم انه
كلما جاء في العهد الجديد المعرب في حديث الأرواح النجسة بلفظ شيطان
وشياطين فقد ترجموه بالعبرانية بلفظ (شد ، وشديم) فظهر لك من العهدين
ان الجان المذكور في العهد القديم هو نوع الجان ، والروح النجس وشيطان
و شد وشديم او اودة في العهد الجديد هم أشرار الجان ، وبذلك تعرف انه

قد أخطأ سايل (ق) ص ١٤٤ فى قوله لا يختلف مذهب المسلمين فى الجن عما يذهب اليه اليهود فى نوع من الأرواح الخبيثة يطلقون عليه اسم (شديم) ، وأما الشيطان الذى هو ابليس فقد ترجموه فى العهد الجديد بالعبرانية بلفظ (شطن) كما جاء بهذا اللفظ فى العهد القديم العبرانى (٢ صم ٢٤ ، ١ وى ١ ، ٦ و٧ و٨ و١٩ و١٢ ، ٢ و١ ، ٢ و٣ و٤ و٦ و٧ و٨ و٩ ، ١٠٩ و ٦ ، و زك ٣ ، ١ و ٢) .

وأما خلق الجن من نار فهو أمر ممكن ولا طريق لاثباته ونفيه إلا من جهة الوحي الالهى وقد اخبر الوحي بحقيقته فلا مساغ لانكاره خصوصاً للنصرانى ، فقد جاء فى العهدين ما يخرس لسانه عن الاعتراض فى ذلك ففيهما الصانع ملائكته رياحاً ، وخدامه ناراً ملتتهبة أو لهيب نار (مز ١٠٤ ، ٤ و عب ١ ، ٧) .

فالقرآن الكريم ميز الجن من الملائكة ، وعين ان الجن هم المخلوقون من نار ، فبين بذلك ما اختلط فى العهدين فى اسم الملائكة فجعلنا منهم من خلق من نار ، ومنهم أشرار (مز ٧٨ ، ٤٩) ، ومنهم من طرحوا فى جهنم (٢ بط ٢ ، ٤) مقيدى الى يوم القضاء (يه ٦) .
فالذين سماهم المتكلف تبعاً لعهديه بالملائكة الأشرار والأرواح الشريرة هم قسم من الجن الذى يذكره القرآن الكريم .

{ بيلى والتكلف والأرواح النجسة }

ذكر إظهار الحق فى الوجه الرابع عشر من الفصل الرابع من الباب الأول نقلًا عن ص ٣٢٣ من الكتاب المطبوع سنة ١٨٥٠ م تصنيف (بيلى) من محققى البروتستانت ما لفظه ، ولا نقول فى الأشياء التى هى أجنبية من الدين صراحة لكن يقال فى الأشياء التى اختلطت بالمقصود اتفاقاً قولاً ما ،

ومن هذه الاشياء تسلطن الجن ، والذين يفهمون ان هذا الرأى الغلط كان عاماً فى ذلك الزمان فوق فيه مؤلفوا الاناجيل واليهود الذين كانوا فى ذلك الزمان ، فلا بد أن يقبل هذا الأمر ولا خوف منه فى صدق الملة المسيحية لائن هذه المسألة ليست من المسائل التى جاء بها عيسى بل اختلطت بالاقوال المسيحية اتفاقاً بسبب كونها رأياً عاماً فى تلك المملكة وذلك الزمان ، وإصلاح رأى الناس فى تأثير الأرواح ليس جزءاً من الرسالة ولا علاقة له بالشهادة بوجه ما إنتهى .

والمتكلف لم يرتض ترجمة إظهار الحق لقول ببلى فترجمه هو به ٢ ج ص ١١٧ بقوله يلزم التمييز بينما كان غرض الدعوة الرسولية وبين ما كان أجنبياً خارجاً عنها أو ما اتصل بها عرضاً واتفاقاً ، أما القضايا الخارجة عن الدين فلا لزوم الى الكلام عليها ، غير ان القضايا التى اتصلت بها عرضاً فيلزم الإشارة اليها فأقول من هذه القضايا تسلطن الأرواح النجسة ، أما من جهة حقيقتها فلا يمكننى الفصل فى هذه القضية فانه فوق طاقى وضيق المقام يمنعنى عن إيراد أدلة كل فريق فى هذه المسألة ، والأمر الذى اريد التنبيه عليه هو انه لو سلمنا بقول من ذهب الى ان هذا الرأى كان شائعاً فى تلك الأزمنة وكان خطأ ، وان كتبه العهد الجديد جاروا مؤلفى اليهود فى ذلك العصر وتكلموا على هذه القضية حسب اصطلاحهم وعاداتهم وطرق مخاطباتهم وأفكارهم فلا يخشى من ذلك على صدق وصحة الديانة المسيحية ، فان المسيح لم يأت بهذا التعليم فى الدنيا بل انه ظهر فى النصوص المسيحية عرضاً واتفاقاً بصفة انه كان رأياً موجوداً فى ذلك العصر وفى تلك البلاد التى كان يهدى الناس فيها ولم يكن من اختصاصات الوحي تنظيم وترتيب آراء الناس بخصوص تأثير الجواهر الروحية فى الأجسام الحيوانية ، وعلى كل حال فلا ارتباط بينه وبين الشهادات الإلهية ، فانه إذا أعيد للأخرس الأبكم قوة النطق والبيان فلا يهمننا معرفة

سبب هذا الحرس ، فالمرض كان حقيقياً والشفاء كان واقعياً ، ولا يهم إذا كان توضيح الناس لهذا السبب حقيقياً أم لا ، وإنما الأمر الحقيقي الواقعي هو التغيير الذي حصل للمريض على كل حال لأنه كان مشاهداً بالعيان لا يحتاج الى برهان ، إنتهى بلفظه .

قلت : ولم يحصل لي الأصل من كتاب بيبي لأعرف أى الترجمتين أصح ولكن القدر المتيقن منهما ان فريقاً من النصارى ينكرون صحة ما فى الاناجيل فيما شخنت به من أحاديث الأرواح النجسة وشؤونها مع المسيح ، ولهم على ذلك أدلة ، وان كتبة العهد الجديد قد جاروا بها مؤلفى اليهود وتكلموا حسب عاداتهم وأفكارهم ، وان (بيبي) لا يمكنه الفصل فى حقيقة ذلك ، فانه فوق طاقته

وليت شعرى إذا كان بيبي نصرانياً يقول : بأن الاناجيل كتبها الرسل بوحى الروح القدس فلماذا لم يمكنه الفصل فى هذه القضية ، وفى أى شيء تنفع كتب الوحي إذا لم تنفع صراحتها التى ملئت أطرافها فى هذا الموضوع كيف لا وقد ذكرت الاناجيل بتكرارها ان الأرواح النجسة ترى وتخبر للمسيح وتعرفه ، وتهرخ ، وتخطبه ، وتخاف من اهلا كه لها ، وتتكلم ، وتسكت بأمره ، ويأمرها بأن لا تظهر انها عرفته ، وتخاف من الذهاب الى الهاوية ، وتستأذن منه لذهابها الى قطيع الخنازير وتخبره انها لجيون أى جماعة كثيرة فأذن لها ، وخرجت الى الخنازير كما ذكرنا لك طرفاً من ذلك ، وقد جعل كتبة الاناجيل هذه التفاصيل الضافية حجة وبرهاناً لدعوة المسيح ، فقل لبيبي : واولئك المنكرين إذا كان رسلك الملممون قد ملأوا أناجيلهم بهذه الحكايات المفصلة وهى أكاذيب لا حقيقة لها ، فماذا تكون العلامة على ما يصدقون فيه ؟ .

وكيف لنا إذا بتصديقهم فى حكايات شفاء المسيح للإمراض ؟ ومن أين

نعلم ان المرض كان حقيقياً والشفاء كان واقعياً ؟ وهم قد عنونوا حكايات المرض والشفاء بهذه الحكايات التي تقولون انها كاذيب ، وأى شيء يخشى منه على صدق الديانة المسيحية وصحتها أكثر من أن تكون كتب وحيمها وقانونها الاساسى فى حجتها وبرهانها وتعليمها قد ملئت بهذه الاكاذيب ، وإذ كانوا قد جاروا بها أفكار اليهود ، فبالحرى أن يكونوا فى باقى الاناجيل وكتب العهد الجديد قد جاروا أهوائهم وأهواء الامم الذين حاولوا التراس عليهم بوسيلة الرياسة الدينية كما يشهد لذلك العاشر والحادى عشر والخامس عشر من الاعمال ، وكثير من كلمات الرسائل المنسوبة لبولس .

ومن أو هن او هن إعتذار (يبلى) عن هذه الحكايات بقوله ، ولم يكن من اختصاصات اوحى تنظيم وترتيب آراء الناس بخصوص تأثير الجواهر الروحية فى الاجسام الحيوانية ، فان هذا الاعتذار إنما يخرج عن الغش والغلط لو لم تذكر الاناجيل من هذه الحكايات شيئاً ، واعترض المعترض على كونها لم تصلح بتعليمها آراء الناس فى وهم القول بتأثير الجواهر الروحية ، واما على ما أطنبت بتكراره فى هذه الحكايات فعلى زعمهم تكون قد أكدت فساد آراء الناس ولفقت من أوهامهم الفاسدة أكاذيب كثيرة جعلتها البرهان على صحة الديانة المسيحية وأساس تعليمها .

فيا أيها الأخ المسلم لا يؤمنك اعتراض المتكلف وأمثاله بأوهامهم على القرآن الكريم ، فان نكايه أوهامهم على كتب وحيمهم وأساس دينهم أشد وأشد (شنشنة أعرفها من اخزم) ، ولا تنشدنى قول الشاعر :

(لا تقل دارها بشرقى نجد كل نجد للعامرة دار)

وإذ قد سمعت ما ذكرناه أولاً عن العمدين فانك تعرف ما فى قول المتكلف ، (فالإعتقاد بوجود جن هو من الإعتقادات الوثنية) ولو لا التحرج من سوء القالة لذكرنا شطراً مما قد اخذ من الإعتقادات الوثنية ، ولكننا

قد كفيينا مؤنة ذلك بالكتب التي أشار إليها في صدر كتاب الوثنية والنصرانية.

* * *

وقال الله جل اسمه في سورة البقرة ٢٨ : (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ٢٩ وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ٣٠ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ٣١ قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) .

فاعترض المتعرب (ذ) ٨٨ - ٩٠ على هذه الآيات باعتراضات متعددة ، وكذا المتكلف (به ٢ ج ص ١٠ و ١١) ، وربما اشتركا في الاعتراض فاكتمى بنسبته إلى أحدهما ورده ، وإن شئت فانظر إلى كلاميهما في كتابيهما .
قال المتعرب انه عنى بالخليفة آدم لكنه لم يقل لمن أراد أن يجعله خليفة وأنت تعلم انه لم يكن على الأرض مخلوق قبله حتى يخلفه فيها ويلزم من هذا ان الله أراد أن يستخلفه عن نفسه .

قلت كان المتعرب افتري عليك بدعوى العلم بأنه لم يكن على الأرض مخلوق قبل آدم لأجل غروره بخرافة مذهب (داروين) أو بمضمون توراته الذي لا يقبله حتى الكثير من قومه وهي ان السموات والأرض وما فيهن خلقت كلها فيما بين خمسة أيام قبل خلق آدم .

ولكن لنا أن نجادله بكتبه ونقول له : ان توراتك لم تذكر ان خلق الملائكة كان بعد خلق آدم ، بل اما أن يكون في اليوم الثالث أو الرابع أو قبل ذلك ، فلماذا لا يكون آدم خليفة في الأرض بدلا عن الملائكة الأشرار ، والذين لم يحفظوا رياستهم وأخطأوا فلم يشفق الله عليهم ،

بل طرحهم في جهنم بقيود أبدية الى يوم الدينونة ، كما سيأتي عن كتبه ، وهذا كاف في دحض باطله ، وستسمع إن شاء الله اعلام الحق .

وقال أيضاً على النسق غير انه تعالى لما عزم على خلقه نوى أن يجعله في الجنة يأكل منها رغداً ولو لم يعصمه لم يحبطه الى الارض ليكون خليفة فيها ، فقوله : انه جاعله في الارض خليفة وهو ينوى أن يجعله في الجنة فيه نظر ، وحاصل كلامه الإعتراض على جعله خليفة في الارض مع إسكانه في الجنة ونهيه عما يسبب خروجه منها .

قلنا (أولاً) لنا أن نقول ان الله قال ذلك باعتبار سابق علمه بما يصير اليه أمر آدم في سكناه في الأرض .

وقد أوضحنا لك في الجزء الأول (صحيفة ٥٧ و ٥٨) ان آدم لم تصدر منه المعصية القبيحة المانعة لوظيفة الخلافة ، ان اريد بالخلقة معنى النبوة والرئاسة الدينية ، وان الله بكل شيء عليم لا يغيب عن سابق علمه شيء ، (وثانياً) لنا أيضاً أن نقول : ان الجنة المذكورة كانت من جنان الدنيا ، كما جاء عن أهل بيت النبوة ، وذهب اليه جمع من المفسرين ، ولا حجة بقول بعض المفسرين على القرآن إذ قالوا انها جنة السماء ولا دلالة في قوله تعالى : (اهبطوا ، واهبطا منها) لجريان هذا الإستعمال في الإنتقال من مكان الى مكان فقد قال تعالى في سورة البقرة ٥٨ : (اهبطوا مصرأ) بل هو استعمال متعارف حتى في التوراة إذ تقول : فانهجر ابرام الى مصر (تك ١٢ ، ١٠) ، انزلوا الى هناك (يهني مصر) ، فنزل عشرة (يعني إلى مصر) ، (تك ٢٤ ، ٢ و ٣) .

وقال المتكلف في الإعتراض على الآية الاولى ، وهذه العبارة ناطقة بأن المولى سبحانه وتعالى استشار الملائكة في خلق آدم فاعترضوا عليه وهو خطأ فان كتاب الله يعلمنا ان المولى سبحانه وتعالى غني عن ذلك ، ثم قال :

فأقوال الوحي ناطقة بأنه لم يستشر ولن يستشير .

قلنا : ليس هذا من الإستشارة في شيء ، فان كل من يفهم الكلام يعلم ان الإستشارة لا تكون بمثل الاخبار المؤكد بهذا التأكيد ، وإنما هو تفضل منه تعالى باعلام ملائكته بآثار حكمته وقدرته .

وقد جاء في العهد القديم ان السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء (عا ٣ ، ٧) ، بل هو أبعد من الاستشارة ونحوها من قول التوراة ، فقال الرب : هل اخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله (تك ١٨ ، ١٧) ، وحاشا للقرآن الكريم كلام الله أن يجيء فيه مثل قول التوراة ، ان صرخة سدوم وعمورة قد كثرت ، وخطيئتهم قد عظمت جداً ، انزل وارى هل كصخرتهم الآتية إلى عملوا كلها وإلا فاعلم (تك ١٨ و ٢١) . وإن أراد المتكف أن يعرف الكلام الدال على نسبة الاستشارة والخيرة والضعف الى الله جل شأنه فلينظر الى العهد القديم الذي يقول فاسمع إذن كلام الرب قد رأيت السيد الرب جالسا على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه ويساره فقال الرب : من يغوى اخاب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد فقال هذا هكذا وقال ذلك هكذا فخرج الروح ووقف أمام الرب وقال : أنا اغويه فقال له بماذا ؟ فقال اخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه فقال : انك تغويه وتقتدر فاخرج وافعل هكذا (١ مل ٢٢ ، ١٩ - ٢٣ ، و ٢ أي ١٨ ، ١٨ - ٢٢) .

والمتكف يعظم العهد القديم المشتمل على أمثال هذه الخرافة الكفرية ويسميه كلام الله السميع العليم ، ثم يقول على القرآن ببواعث هواه ، ويعترض عليه بجهله .

ويقول : ان كتاب الله يعلمنا ان الملائكة هم خدامه المعصومون عن الخطأ والزلل ، أما عبارة القرآن فتفيد انهم اقترفوا أربعة معاص ،

كما قال علماء المسلمين .

قلت : يا عجبا ولا عجب من مثل المتكف والمتعرب فان الذى يسميانه كتاب الله وكلام الله السميع العليم هو الذى يقول : ان الله ينسب الى ملائكته حماقة (اى ١٤ ، ١٨) .

ويقول أيضاً جيش ملائكة أشرار (من ٧٨ ، ٤٩) وان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء (٢ بط ٤ ، ٢) ، والملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام (يه ٦) فأين تكون من كتابهم عصمة الملائكة ، وان عبارة القرآن لا تفيد ان الملائكة اقترفوا أربعة معاصى ، ولا قال بذلك علماء المسلمين ، فاستمع إلى ذلك :

فانه قال ان فيما حكاه القرآن من قول الملائكة إنكار على الله فيما يفعله وهو من أعظم المعاصى .

قلت : ليس فى هذا الكلام شىء من الإنكار على الله وإنما هو سؤال عن وجه الحكمة فى خلقه للإنسان مع انه قد ينبعث من بعض أفراد الفساد وسفك الدماء ، ولهذا أجابهم الله بقوله : (إني أعلم ما لا تعلمون) من وجوه الحكمة والصلاح فى خلق هذا النوع وما سيظهر منه من قداسة الأنبياء والأولياء وحسن عبادتهم وإخلاصهم بالرغبة والاختيار المرغم لدواعى الهوى ووساوس الشيطان وبواعث الطبيعة البشرية ، واو كان كلامهم اعتراضاً على الله لقال لهم الله عالم الغيب والشهادة ما أتمم والاعتراض على خالقكم القادر القاهر ، وإن شئت فقابل كلام الملائكة ، هذا مع ما تذكره التوراة عن قول ابراهيم لله جل شأنه : أفتملك الصديق مع الأثيم عسى أن يكون خمسون صديقاً فى المدينة ؟ أفتملك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين صديقاً الذين فيه

حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر لتيت الصديق مع الأثيم فيكون الصديق كالأثيم اذ يان كل الارض لا يصنع عدلا (تك ١٨ ، ٢٣ - ٢٦) ، وقس أيضاً كلام الملائكة مع ما تذكره التوراة في قولها فرجع موسى الى الرب وقال ياسيد لماذا أسأت الى هذا الشعب ؟ لماذا أرسلتني (خر ٥ ، ٢٢) فقال موسى للرب لماذا أسأت الى عبدك ؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينك حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب على العلي حبلت بجميع هذا الشعب أو لعل ولدته (عد ١١ ، ١١ و ١٢) ونادى (اى ايليا) الى الرب وقال : أيها الرب إلهي ايضاً الى الأرملة التي أنا نازل معها أسأت باماتك ابنها (مل ١٧ ، ٢٠) ، ودع عنك ما ينسب به سفر أيوب الى أيوب وحاشاه من عظام الكفر في الاعتراض على الله ككونه جل شأنه نزع حقه ولفق فوق إثمه حتى طلب المحاكاة معه ، فراجع الأقوال المنسوبة الى أيوب وحاشاه .

وقال المتكف : ان الملائكة في كلامهم هذا قد اقترفوا الغيبة في حق من يجعله الله خليفة بأن ذكروا مثالبه .

قلت المراد من قول الله جل شأنه : (إني جاعل في الارض خليفة) هو اخبار الملائكة بخلق جنس البشر ، اما لأنهم يخلفون من كان قبلهم في الارض من خلق الله ، أو لأن أصلهم وداعيتهم الى الله وهو آدم خليفة عليهم ومؤدب لهم على الطاعة ، فاقضى الحال ان الملائكة يسألون عن وجه الحكمة في خلق هذا النوع مع انه يكون فيه من يفسد ويسفك الدماء . فلم يقصدوا بذلك جميع النوع البشرى ولا خصوص أصلهم وداعيتهم الى الله ، فليس في قولهم هذا شيئاً من الغيبة المحرمة بالعقل أو الشرائع ، فانهم لم يعنوا بما قالوه شخصاً معيناً أو أشخاصاً معينين ، بل قالوا ذلك لما علوه من الله بأن الجنس البشرى تقتضى طبيعته أن يكون فيه من يفسد ويسفك الدماء ، فهم لم يقصدوا بما قالوه الا العنوان الكلى المبهم المجمل بمقتضى الإبهام في تأثير إقتضاء الطبيعة

البشرية الذي يجوز على كل واحد من البشر مع فرض عدم المانع ويمتنع عن كل واحد مع وجود المانع ، وهذا ليس من الغيبة في شيء فانه إذا قال شخص ان في جنس البشر من يكون فاسقاً لم يقل عاقل أو متشرع بأن هذا الشخص قد اغتاب ، بل لا يتأثر من كلامه أحد من البشر حتى الفساق في نفس الأمر وذلك لأنه لم يوجه باللفظ قصده حتى بمعونة القرائن الى ذات معينة ، أو جماعة معينين أو محصورين .

فكذا قول الملائكة فانهم قصدوا أمراً طبيعياً ، هذا مضافاً الى ان الملائكة لو قصدوا اناساً معينين من المتهمين بالفسق والفجور الهاتكين بفسادهم لأستأروهم لم يكن مثل ذلك من الغيبة المحرمة القبيحة أصلاً ، مضافاً الى ان شريعة تحريم الغيبة من العقل والشرع إنما هي شريعة إصلاحية اجتماعية تمد الستر فيما بين البشر وتمنع ما يضر بالإجتماع البشري ، فلا يجرى حكمها مع الملائكة خصوصاً إذا ذكروا شيئاً من فسق الفساق تنفراً منه واستقباحاً له ، فهل يقول عاقل أو متشرع بأنك اغتبت و فعلت حراماً إذا شكوت الى الله ظالمك و ذكرت له ظلمه ، وإذا ذكرت لله فسق الفاسق ليغفر له أو ليهديه أو لينتقم منه .

وليت شعري اذا كان المتكف يجعل قول الملائكة من الغيبة المحرمة ، فماذا يصنع بكتابه العهد الجديد ، فإنك تقدر أن تؤلف منه من الكلام المنسوب للمسيح والتلاميذ كتاباً بقدر الانجيل أو أكثر كله في غيبة الكتبة والفريسيين وبنى اسرائيل والمسيح والتلاميذ ومريم المجدلية وجماعة من المؤمنين بالمسيح .

وقال المتكف في كلامهم (أى الملائكة) : العجب وتركية النفس بذكر مناقبها .

قلنا : لم يمكن الغرض من بيان تسييحهم وتقديسهم هو الافتخار به ،

ولكن ضرورة السؤال عن وجه الحكمة في خلق البشر اقتضت ذكره ، وليس هذا من العجب وتزكية النفس خصوصاً حال كونهم أذكيا معصومين لا يعصون الله ولا يفرطون في وظائفهم من العبادة ، ولئن كان هذا من العجب وتزكية النفس الممقوتة ، فماذا يقال في القول المنسوب لليسع بعد الذم للرعاة أنا باب الخراف أنا الراعي الصالح ، أما أنا فاني الراعي الصالح (يو ١٠ ، ٧-١٥) مع انه أنكرك على من سماه صالحاً وقال له : لماذا تدعونني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله (انظر مت ٩ و مر ١٠ و لو ١٨) ، وماذا يقال في القول المنسوب لداود يكافأني الرب حسب برى حسب طهارة يدي يرد على لاني حفظت طرق الرب ولم أعص إلهي لأن جميع أحكامه امامي وفرائضه لا احيد عنها (٢ صم ٢٢ ، ٢١ - ٢٤) .

والاقوال المنسوبة الى بولس في الافتخار بالاعمال والمراتب العالية وان امتزجت في الاثناء بالتصوف البارد والتواضع السخيف (فانظر الى الاصحاح السادس والحادي عشر والثاني عشر من كورنتوش الثانية) .
وقال المتكلف : وفيه أيضاً (أى في كلام الملائكة) انهم قالوا ما قالوه من نسبة الافساد والسفك رجماً بالظن وإلا شاركوا المولى سبحانه وتعالى في علم الغيب .

قلنا : لا هذا ولا هذا بل قالوه بعلم موهوب لهم من الله جل شأنه .
وقال المتكلف (يه ٢ ج ص ١٢) ان القرآن نسب الى المولى تعجيز الملائكة بطريق الاحتيال .

قلت : لا يدل سوق القرآن على ارادة تعجيز الملائكة ، بل انما يدل على ان الله بين لهم الحكمة في خلقه لنوع البشر على لسان آدم ببيان من يخلق من ذريته من الانبياء والاولياء .

وحاصل ذلك ان الله جل اسمه تفضل على ملائكته بإعلامهم بأنه جاعل

في الارض خليفة ، فاستفسروا عن وجه الحكمة في ذلك وان كانوا يعلمون
اجمالا ان الله هو العليم الحكيم .

فأبان جل شأنه لهم وجه الحكمة على لسان آدم وخصه بذلك تكريماً له
وتنويهاً بارتفاعه هو وكثير من بنيه عن النقائص العارضة للطبيعة البشرية من
آثار الشهوة والغضب (وعلم آدم الأسماء كلها) أسماء ذريته من الأنبياء
والأصفياء بما يكونون عليه من القدس والطهارة والطاعة لله والجهاد في سبيله
وتحمل الأذى والمتاعب الشديدة في ارشاد عباده واعلاء دعوة الحق وحسن
صبرهم ورضاهم فيما يلقونه من الاضطهاد في الدعوة الى الحق والصلاح كل ذلك
بالطوع والرغبة على رغم الشهوة والغضب المودعين في الطبيعة البشرية (ثم
عرضهم) أي هؤلاء الصفوة وهم أشباح نورانية (على الملائكة فقال انبؤني
بأسماء هؤلاء) وما هم عليه من صفات القدس والكمال الإختياري (إن) ادعيتم
العلم و (كنتم صادقين) في دعواه (قالوا سبحانك) تقدست عن الشريك
والشبيه ، لك العلم وحدك لا شريك لك و (لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت
العليم) بالغائبات (الحكيم) فيما تفعل ، (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) وما
هم عليه من الكمالات القدسية الباهرة الباهظة لشهوات الطبيعة البشرية الكاسرة
لسورات غضبها (فلما أنبأهم بأسمائهم) واتضح للملائكة وجه الحكمة في خلق
النوع الإنساني (قال) جل شأنه : (ألم أقل لكم) واعلمكم (إنني أعلم غيب
السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) ومن كان له هذا العلم
لا يفوت حكمته شيء من الغائبات عنكم .

هذا ملخص ما جاء عن أهل بيت النبوة في تفسير الآيات ، وهل
تراه ناظراً الى تعجيز الملائكة ، وإذا احطت خبراً بما قلناه تعرف شطط المتعرب
فيما قاله في هذا المقام فانه شريك المتكلف في اعتراضاته .

وقال الله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) .

فاعترض المتكف (به ٢ ج ص ١٢) بأن القرآن نسب الى الله جل اسمه انه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم وحاشا لله القدوس أن يأمر بالسجود لغير ذاته العلية ، قال في سفر الخروج (٣٤ ، ١٤) لا تسجد لإله آخر ، وكتاب الوحي الإلهي يحرم السجود لغير المولى من المخلوقات مهما كانت درجاتهم .

قلنا : لنا أن نقول ان المحرم إنما هو سجود العبادة لا سجود التحية والإكرام ، وسجود الملائكة لآدم كان من القسم الثاني ، وتوراة المتكف إنما نعت عن القسم الأول لقولها لا تسجد لإله آخر ومعناه لا تسجد لشيء غير الله بعنوان السجود للإله والعبادة له ، ولا حجة من كتب المتكف على تحريم السجود لغير الله إذا كان بعنوان التحية والإكرام ، بل في كتب المتكف حجة على جوازه كما يستنتج ذلك منها من مقدمتين : (الأولى) سجود الانبياء لغير الله ، و(الثانية) ان عمل الانبياء حجة على جواز ما يفعلونه . أما المقدمة الأولى : فقد ذكرت ان ابراهيم خليل الله سجد لشعب الأرض بنى حث مرتين (تك ٢٣ ، ٧ و ١٢) وقد كان هؤلاء غير مؤمنين .

وسجد يعقوب النبي لعيسوا سبع مرات الى الأرض ، وسجد أيضاً نسائه وأولاده (تك ٣٣ ، ٣-٧) .

وموسى كليم الله خرج لإستقبال حميه فسجد وقبل له ، وفي الاصل العبراني « ويشتحوا ويشق - لو » (خر ١٨ ، ٧) .

وسجد داود النبي ثلاث مرات لما ودع ناثان ابن شاول (١ صم ٢٠ ، ٢١) وسجد لشاول (١ صم ٢٤ ، ٨) ، وسجد ناثان النبي لداود النبي (١ مل ١ ، ٢٣) ، وسجد سليمان النبي لأمه (١ مل ٢ ، ١٩) .

وزيادة على ذلك ان يوسف سجد أمام وجه يعقوب (تك ٤٨ ، ١٢) وسجدت ايجابل لداود (١ صم ٥ ، ٢٣) ، وكذا بثشبع (١ مل ١ ، ١٦) .

ولم يذكر ان هذين النبيين منعنا عن السجود لها .
وأما المقدمة الثانية فان الاناجيل تذكر ان اليهود اعترضوا على المسيح
بأن كل تلاميذه من الزرع في يوم السبت وهو محرم فاحتج على جواز ذلك
بأن كل داود من خبز التقدمة الذي لا يحل إلا للكهننة (مت ١٢ ، ١ - ٩
ومر ٢ ولو ٦) .

أم تقول : دعنا من احتجاج المسيح ، فان هؤلاء الأنبياء كلهم قد
عصوا وأخطأوا في هذا السجود لغير الله وإن كان بعنوان التحية والإكرام
لا بعنوان العبادة .

إذا فلماذا لم تتعرض كتب وحكيم لتوبيخهم على ذلك لا تصريحاً ولا
تلويحاً ولا إشارة ؟ .

ولنا أن نقول : ان سجود الملائكة كان شكراً لله وتمجيذاً له على خلقه
لآدم أبي الأنبياء والأصفياء والأولياء لأجل ما لهم من عظيم الشأن وشرف
المنزلة ، فيعود السجود الذي هو لله بالتكريم والتبجيل لآدم ، ولأجل ذلك
نسب السجود لآدم باعتبار غايته المطلوبة ، وليس كذلك ما يذكره العهد
القديم في سجود ابراهيم ومن ذكرناهم من الأنبياء .

فتدبر ما قلناه ، وراجع كلام المتكلف ، وقل ما شئت في تمجيده
على معرفته وأمانته .

* * *

وقال الله تعالى في سورة الاعراف فيما اقتص من حديث آدم وحواء
وأكلهما من الشجرة ٢١ (وناديهما ربهما ألم أنهما عن تلكا الشجرة وأقل لكما
إن الشيطان لكما عدو مبين ٢٢ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين) .

فاعترض المتكلف (يه ٢ ج ص ٤٦) على ذلك بمخالفته لما في توراته

(تك ٣ ، ٨ - ٢٠) .

وعلى قوله تعالى : (ألم أنهما عن تلكا الشجرة) وعلى حكايته جل اسمه
لقول آدم وحواء : (ربنا اننا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين) ، ثم ذكر المتكلف كلام توراته في ذلك الشأن ، ولكن
شذبه وهذبه ، وأنى له .

فلنقله بنصه وهو قولها في آدم وحواء فسمعا صوت الإله متمشياً (عب
متهلخ) في الجنة عند ربح النهار فاختماً آدم من وجه الرب الإله في وسط شجر
الجنة فنأدى الرب الإله آدم وقال : أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة
فخشيت لأنى عريان فاختمت فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من
الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها .

ولعل المتكلف أنكر على مضمون القرآن دلالة على ان الله العليم علم
بأكل آدم وحواء من الشجرة بعلمه الذى لا يغيب عنه شيء بدون استعلام
واستخبار ، والمتكلف لا يرضى بذلك ، لأن توراته تدل على ان الله جل اسمه
(واستغفره) يحتاج الى الاستعلام من آدم بقوله جل شأنه أين أنت من أعلمك
هل أكلت ؟ ولا يرضى المتكلف من القرآن إلا أن يقول (متمشياً في الجنة
عند ربح النهار) لى يفهم القارىء ان ذلك التمشى لأجل الإستراحة والتنفس
فى طيب الوقت وصفاء الجنة ، وان آدم وحواء (سمعا صوت الإله متمشياً)
لدى يفهم القارىء انها سمعاً وطىء الاقدام أو ترنم الطرب فى التمشى ، وان
آدم اختبأ لى يتأكد مضمون هذه التهجيمات بأن آدم كان يعرف ان
الإختباء بشجر الجنة يستره عن الله جل شأنه ، ولاجل هذا سأله أين أنت ،
من أعلمك ؟ هل أكلت .

ولكن ليعلم المتكلف فيسخط أو يرضى ان القرآن يعد حقائق هذه
الكلمات كفرة وإلحاداً وجحوداً لله إله الحق ، ويعد مجازاتها جهلاً وضلالاً .

ويسعد بذلك التوراة الحقيقة في استغاثتها من ذلك .

وأما عدم ذكر التوراة الراجعة لتوبة آدم فذلك لعادة رباها عليها آباؤها
وكاتبوها في انهم يذكرون خطايا الانبياء ولا يذكرون توبتهم ، فهل يراها
المتكلف ذكرت توبة نوح كما يزعم مما ذكرته (تك ٩ ، ٢١) ، أو توبة اسحاق
مما ذكرته (تك ٢٦ ، ٧) ، أو توبة يعقوب مما ذكرته (تك ٢٧ ، ١٨ - ٣٥)
أو توبة موسى مما ذكرته (خر ٤ ، ١٠ - ١٤ ، ٥ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٣٢ و عد
١١ ، ١١ - ١٥) ، أو توبة هارون مما ذكرته (خر ٣٢ ، ١ - ٧) ، أم يقول
المتكلف : ان هؤلاء ما تابوا ولكن تساهل الله معهم فأبقاهم على وظيفة
النبوة ولوازم القداسة ، حاشا لله القدوس الحكيم العليم من ذلك
سبحانه وتعالى شأنه .

* * *

وقال الله تعالى في سورة الاعراف ١٨٩ و ١٩٠ : (هو الذي خلقكم
من نفس واحدة) « الآيات » ، وقد ذكرناهما في الجزء الأول وذكرنا في
شأنهما ما يبطل تشبثات المتكلف لا وهامه (به ١ ج ص ١١ و ٢ ج ص ٥٩ و
٦٠) فانظر الى الصحيفة ٥٩ - ٦١ .

* * *

وقال الله تعالى في سورة المائدة ٣٠ : (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق
إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما
يتقبل الله من المتقين ٣٣ فتوعدت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين
٣٤ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه
فقال يا ويلتى أعمزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى
فأصبح من النادمين) .

فقال المتكلف (به ٢ ج ص ٤٣) وقول القرآن : ان الغراب علم قايين

كيفية دفن أخيه مأخوذ من خرافات اليهود القديمة ، وهل يتصور ان قايين كان يجهل هذا الأمر ، وكان يرى مدة حياته الذبائح تقدم لله ، وهل يعقل انه لم ير في مدة حياته الطويلة ان دفن الطير أو الحيوان ومواراته في التراب يكون واقياً في الارض وقد آتى الله الانسان عقلا به يعقل .

قلت : لماذا لا يتصور ان قاييل كان يجهل دفن الموتى وقد كان لم ير ميتاً ولا دفناً ، ومن قال : ان الذبائح التي كانت تقدم لله كانت تدفن ، ومن يقول ان قاييل رأى في مدة حياته الى حين قتله هايبيل من يدفن الطير ، وما الغاية في دفن الطير أو الحيوان ، ومن فعل ذلك وبمقتضى التوراة ان قاييل كان إذ ذاك رابعاً لثلاثة من البشر آدم ، وحواء ، وهايبيل ، وان هذه الواقعة حدثت قبل أن يولد شيث ، وقبل أن يمضى من العمر لآدم مائة وثلاثون سنة فانظر (تك ٤ و ٣٥) فهل يكون عمر قاييل حينئذ ثلاثمائة أو أربعمائة سنة بين ألوف من البشر المتمدنين ، وقد دربه الدنيا بجوادثها وتربى في المكاتب ليكرس نفسه مبشراً لأهل نحلته ولو كان كذلك وكان معترضاً بجماعة من المرسلين الامريكان لجوزنا في عقله عدم الوصول الى ما لم يره ولم يحدث في الدنيا ، فانا نرى من الناس من شذت عقولهم وأبصارهم عما هو نصب أعينهم في كتبهم التي يدرسونها ويعتمدون عليها ويدعون اليها ، ولا تزيدك غير ذلك .

وقال المتكلف في هذا المقام (ص ٤٢) ثم ان مراعاة القران للسجع مقدمة على الحقائق فقال قاييل لأنه على وزن هايبيل .

قلت : ليس في القرآن الكريم ذكر للفظ قاييل أو هايبيل ، والمتكلف في اغراضه وشؤنه معذور في ذلك ، ولا تبخل بالعدر أيضاً على المرسلين الاميركان الذين طبع كتابه بمعرفتهم .

* * *

وذكر الله جل جلاله في سورة هود ٢٧ - ٣٩ نحواً من شأن نوح وقومه

في دعوته ونصحه لهم وتمردهم وطغيانهم على دعوة الحق .

فاعترض المتكاف على ذلك (يه ٦ ج ص ٦٥) بقوله : لم يرد في كتاب الوحي الإلهي خبر عن هذه المجادلة ، ولم يرد في التوراة ان أرادل الناس اتبعوا نوحاً .

قلت : ان من منحه الله شيئاً من الفهم والشعور ليعلم من العادة وفلسفة الحقائق ان النبي الذي يقيم في دعوة الحق والوعظ والنصيحة بمآت من السنين بين قوم كفرة متجبرين ، ويجزم يقيناً ان شأن هذا النبي لا ينقضى مع قومه بالصمت والسكوت بل لا بد فيه من المكالمات الكثيرة ، والرد والبدل ، والدعوة والجحود ، والوعظ والهزم ، والنصيحة والسخرية . والإحتجاج والجدل ، والبرهان والمكابرة ، والحجة والغناد ، وليس هذا المقام مما قال فيه الشاعر :

حواجبنا تقضى الحوائج بيننا فنحن سكوت والهوى يتكلم

أفلا ترى ان مدير القرية إذا أراد أن يبدل فيها قانوناً واحداً عموماً ، أو يؤسس هذا القانون الواحد كم يحدث فيها من الانقلاب والمجادلات والمكالمات ، فما ظنك بدعوة النبي الى التوحيد والصلاح ، وماذا ينبغي أن يصدر من العتاة في رد الدعوة الدائمة والنصح المستمر من النبي الأمين في الدعوة ، المجاهد في سبيل الله ، وما يبدر منهم ليحافظوا على وثيقتهم وعوائد ضلالهم ، فأعزني رشدك لحظة وانظر في التوراة الرائجة التي سلكت في قصصها مسلك التاريخ الساذج ، فهل تراها ذكرت في شأن نوح وقومه ما يليق بحوادث يوم واحد في الدعوة والوعظ وجوابهما ، وهل ذكرت في هذا الشأن إلا ان أبناء الله رأوا بنات الناس حسنات فاختزنوا لانفسهم نساء ، فقال الرب : لا يدين روجي في الانسان الى الابد تكون أيامه مائة وعشرين سنة .

كان في الأرض طغاة في تلك الأيام وبنات الناس ولدن الجبابرة ، ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر ، فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه فقال : احو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته مع البهائم والدبابات وطيور السماء لأنى حزنت انى عملتهم ، وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب وفسدت الارض وامتألت ظلماً ، فقال الله لنوح اصنع فلكاً الى آخره ، هذا ما في التوراة في شأن نوح وقومه مع حذف التكرار والفضول فانظر (تك ٦ ، ١ - ١٤) .

ومع هذا فهل يحسن من أقل العقلاء أن يقول : ان هذه هي تمام الحوادث في أيام نوح وشؤون دعوته ووعظه ونصحه لقومه ، ولم يصدر كلام لا من نوح ولا من قومه لا في الدعوة ولا في الجحود ، ولا في الوعظ ولا في الاصرار ، ولا في النصيح ولا في العناد ، فلم يوبخهم نوح ولم يضجروا منه ولم يجادلوه ولم يستهزؤا به .

حتى ان من نقل من ذلك شيئاً يقول له المتكلف اسكت فان التوراة لم تذكر من ذلك شيئاً مع انها أطنبت في بيان حزن الله وتأسفه في قلبه . . أين العقول ؟ أين الرشد ؟ أين الأدب ؟ .

فهل ترى ذا أدب يقدر أن يرد بالتوراة تاريخاً من التواريخ إذا ذكر سيرة طويلة في تاريخ نوح مع قومه في دعوته ، نعم له في قانون الأدب أن يطالب المؤرخ بمسند ما يذكره .

وأما رده بأن التوراة الرائجة لم تذكر ذلك فان الأدب والأديب والفهم والفاهم لينكرونه ، أى انكار ، ويهتفون مع المؤرخ في قوله وما على الحقائق إذا كان توراتكم الرائجة ، وحاشا الحقيقة خرساء في هذا الشأن إلا عن ذكر حزن الله وتأسفه في قلبه .

والمتكلف يعترض علي القرآن كلام الله بإهمال توراته للحقائق اللازمة

إذا ذكر بعضها حسب مقتضى الحال في مقام الوعظ والتذكير والحجة كما هو شأنه لا سفاسف السيرة وخرافات الاعتقاد وفضائح الأنبياء والأولياء .
 نعم للتكلف أن يطالب بالحجة على كون القرآن كلام الله لكي يتيقن بحقيقة ما يذكره ولكنه هوى به عاصف الهوى عن ذلك في مكان صحيح .
 وبما ذكرنا تعرف شططه أيضاً في قوله ولم يرد في التوراة ان أراذل الناس اتبعوا نوحاً ، كما تعرف ان حجته على انكار ذلك بقول التوراة ان الله أغرقهم بالطوفان إنما هي حجة واهية .

فأنا لو خطر في خيالنا الاعتماد على التوراة الرائجة لقلنا : يجوز أن يكون هؤلاء الصفوة الأفاضل الذين سماهم الطغاة بالأراذل لم يدركوا زمان الطوفان بل ماتوا بأجلهم أو أماتهم اضطهاد الكفر ، فان الدعوة والإيمان والطوفان لم تكن حادثة يوم وليلة ، بل استمرت الدعوة مآت من السنين حتى جاء أمر الله بالطوفان .

(غرق ابن نوح في الطوفان)

وقال الله تعالى في سورة هود ٤٤ : (ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ٤٥ قال سأوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا طاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ٤٧ ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ٤٨ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين .

والتكلف (به ٢ ج ص ٦٦) ينكر هذا كله تشبهاً بغمغة توراته الرائجة في تاريخها المدمج وسيرتها البتراء .

وقد اعترض (ص ٦٥) علي بعض المفسرين في تسميتهم لابن نوح

المشار اليه بكنعان وقال هذا غلط مبين ، وأظن ذلك لكون توراته تذكر ان ابن حام ابن نوح اسمه كنعان ، فكان المتكلف يقول : ان كنعان ابن حام اخذ امتيازاً بهذا الاسم من أول الدنيا ، فلم يقدر نوح أن يتعدى قانون الأسماء ليسمى ابنه كنعان ، فيا لهفاه على الأُذُب على ان ذلك لا يمس القرآن في شيء .

واعترض أيضاً على قول نوح (رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق) وافترى على القرآن بنسبة التأوه لنوح .

ثم صار يتبجح بما يذكرك كتابه عن عالي لما أخبره صموئيل بما يحل بولديه لأجل شرهما وما يحل بيته من البوار حيث قال : هو الرب ما يحسن في عينيه يعمل ، وصار يطالب نوحاً بما يزعمه من تسليم عالي لأمر الله حسب عادة الأتقياء .

قلت : قد قدمنا لك في الجزء الأول صحيفة ٦٢ و ٦٣ انه ليس في قول نوح اعتراض على الله ، ولا منافاة للتسليم لإرادته وإنما استفهم عن حقيقة الوعد السابق بنجاة أهله فقال : ان ابني من أهلي وان وعدك الحق ، وعقب سؤاله بالاذعان بالحكمة والرضا والتسليم .

ولو ان المتكلف يشعر بما قرئت به كتبه كبار الأنبياء لما تعرض للإفتخار بتسليم (عالي) الذي ليس بنبي ، ولكنه كأنه لا يدري لكي يتحذر من أن يقول له نقاد الأدب وزعماء البحث إذن فكيف تقول كتبكم ان موسى كلم الله يقول لله : لماذا أسأت الى هذا الشعب ؟ لماذا أسأت الى عبدك ؟ وان ايليا يقول أ إلى الأرملة التي أنا عندها أسأت أيضاً بإماتتك ابنها ، وان ارميا النبي يقول يا أيها السيد الرب حقاً انك خداع خادعت هذا الشعب واورشليم قائلاً يكون سلام وقد بلغ السيف النفس ، وان المسيح يقول وهو على الصليب إلهي إلهي لماذا شبقنتني (أي تركنتني) ؟ ولماذا شحن كتاب أيوب بنسبته لا يوب

كلمات الجزع والاعتراض على قضاء الله الى حد الكفر .
 وقال الله جل اسمه في سورة العنكبوت ١٣ : (ولقد أرسلنا نوحاً إلى
 قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) .
 فاعترض المتكلف على ذلك (به ٢ ج ص ١٠٢) بأن التوراة تقول
 ان عمر نوح هو ٩٥٠ سنة من دون زيادة ما قبل الرسالة وما بعد الطوفان
 كما يقتضيه القرآن .

قلت : قد ذكرنا لك في تنمة الصدر مبلغ اعتبار التوراة السبعينية في
 الامة اليهودية وعلو شأنها في الملة النصرانية ، بل كانت هي الشاهد لها في
 الدعوة وبشارة الرسالة ، كما ان النسخة العبرانية عندهم هي الاصل المعتمد
 والسند والمستند ، وبذلك تكون النسختان متكافئتين في الاعتبار متزاملتين
 عندهم في محل الصحة على اسم التوراة الواحد ومعناها المتحد ، فنقول : إذن
 ان التوراة بهاتين النسختين وذاتها بهذين الزين أو الزيتين قد اضطربت
 وتلونت في مقادير العدد وألفاظه في التاريخ والشريعة أخش اختلاف ، كما
 ذكرنا لك في أعمار الآباء وعمر اللاوى في خدمة المسكن ، وزد على ذلك
 مخالفة النسخة السامرية التي قال جمع من محققى النصارى ومفسريهم بصحتها
 واعتبارها ، دع عنك هذا كله ولكن النسخة العبرانية قد ذكرنا لك اضطرابها
 في التاريخ ومقادير السنين على وجه بينا لك في تنمة الصدر انه كما رام المتكلف
 أن يصلحه بمعونة معرفة المرسلين الاميركان فلم يستطع إلا مواساة توراته
 في الإضطراب والإختلاف .

فقل للمتكلف : أبهذه التوراة ذات النشو المجهول والسكاتب المغلاط
 تريد أن تعارض القرآن الكريم ؟ لا ، ولا واحداً من كتب التاريخ ، أيها
 المتكلف ألم يسمح أدبك أو انصافك أن تجهل القرآن بمخالفته للتوراة الواجبة
 في صف النسخة السبعينية إذ كان يرتلها المسيح عليه السلام ، كما تقولون في

خطابه ويدرسها الرسل والقديما كما تقولون لاحتجاجهم لا ، ولا منة ولا إحسان وإنما هو هو ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين وذكرى للمؤمنين ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

* * *

(شأن ابراهيم والكواكب)

وقد كرر المتكلف (به ٢ ج ص ٤٥) اعتراضه على الآيات التي ذكرت ذلك في سورة الانعام ٧٥-٧٨ : وقد قدمنا لك الكلام في ذلك مستوفى في الجزء الأول (صحيفة ٧٣ و ٧٤) .

* * *

وقال الله تعالى في سورة البقرة ٢٦٠ : (ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) .

فقال المتكلف (به ٢ ج ص ٣٠ و ٣١) ما ملخصه أجمع علماء الاسلام على ان الذي حاج ابراهيم هو نمرود ابن كنعان الجبار ، ولا شك ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم اتخذ هذه القصة من الخرافات اليهودية التي كانت متداولة في عصره ، والتوراة منزهة عن مثل هذه الخرافات ، على ان نمرود لم يكن معاصراً لابراهيم بل يعلم من سفر التكوين انه كان بين نمرود و ابراهيم نحو ثلاثمائة سنة ، فأقوال القرآن هي من الخرافات الملفقة .

قلت (أولاً) : ان التوراة الرائجة لا يحتمل شأنها أن تذكر مثل هذه الحجة الباهرة وتمجد الله ورسوله بذكر واقعتها ، وإنما توقفت لأن تقتصر على واقعتين في تاريخ ما بين الطوفان وهجرة ابراهيم (الواقعة الاولى) ان نوحاً

شرب الخمر وسكر وتعري في خبائه فأبصر حام عورته وأخبر ساماً ويافت فلما استيقظ نوح من نخره لعن كنعان (تك ٩ ، ٢١ - ٢٥) ، (الواقعة الثانية) ان بنى آدم عزموا على أن يبنوا مدينة وبرجا فنزل الرب لينظر المدينة والبرج وقال : هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتدائهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كلما ينوون أن يعملوه ، هلم نزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض (تك ١١ ، ٥ - ٨) .

و (ثانياً) ان الذى سماه المسلمون) هو نمرود ابن كنعان ، وقالوا هم وغيرهم من المؤرخين ان (نمرود) اسم يسمى به ملوك تلك البلاد كما يسمى كل واحد من ملوك الفرس (كسرى) وكل واحد من ملوك الروم (قيصر) كما سمي به العهد الجديد اوغسطس (لو ٢ ، ١ و طيباروس لو ٣ ، ١ و كلوديسوس ع ١١ ، ٢٨) ، وكما سمي العهد القديم ملوك مصر (فرعون) فسمى بذلك صاحب ابراهيم (تك ١٢ ، ١٥ - ٢٠) ، وصاحب يوسف (تك ٤١ ، ١ - ٥٥) وصاحب موسى (خر ١ - ١٥ ، ٢٠) ، وصهر سليمان (١ اي ٣ ، ١) ، ومعاصر ارميا (ار ٤٤ ، ٣٠) ، وان نمرود ابن كنعان لا يلزم أن يكون هو المذكور في توراة المتكلف .

(وثالثاً) سلمنا ذلك ولكن التوراة ذكرت ان الذين نجوا بالفلك من الطوفان هم ثمانية من البشر : نوح وامراته وبنوه الثلاثة ونسائهم (تك ٨ ، ١٨) .

وذكرت في اولاد حام (كوشا) وذكرت ان بنى كوش سبا ، وحويلة وسبته ، ورعمة ، وسبتكا ، وان بنى رعمه شبا وددان ، وبعدا كاه ذكرت ان كوشا ولد نمرود الذى ابتداء يكون جباراً فى الأرض ، وكان ابتداء مملكته بابل ، وارك ، وأكد ، وكنه فى أرض شنعار فانظر (تك ١٠ ، ٦ - ١١) وتصحيح عبارة التوراة يقتضى أن يكون نمرود من اولاد كوش باواسطة ،

وهبه كان ولده بلا واسطة ، ولكن كم ينبغي أن يكون من السنين بين الطوفان وبين موت نمرود بحسب أعمار تلك الأديار ومواليدها ، أقلم تذكر التوراة إن أعمار تلك الطبقات كانت خمسمائة وما يقاربها (تك ١١ ، ١٢ - ١٨) ، فمن أقرب الممكنات العادية أن يعيش ولد (كوش) الى ما بعد الطوفان بأربعمائة سنة أو أكثر .

وإذا أخذنا مولد إبراهيم بحسب التوراة العبرانية (تك ١١ ، ١٠ - ٣٢ و ١٢ ، ٤ و ٧ ، ٤) وجدناه أبعد ما يكون فيه عن الطوفان نحو ثلاثمائة واثنين وخمسين سنة أو ثلاثمائة وستين سنة .

وحاصل ذلك ان تقاويم التوراة العبرانية في ذلك الوقت تقتضى أن يكون نمرود المذكور في التوراة قد أدرك في عمره المعتاد مدة طويلة وسنين عديدة من عمر إبراهيم ، كما اتفق بحسب تقويمها ان إبراهيم أدركه جميع آبائه الذين هم بعد الطوفان مدة طويلة ما عدا نوحا وفالغ ، إذا عرفت هذا فقل للمتكلف : ان نمرود الذى ذكره المسلمون هو النمرود ابن كنعان أحد الناردة الكثيرين لا خصوص من ذكرته توراتك .

وهبه هو فإن أبعد مدة تقولها توراتك العبرانية بين الطوفان ومولد إبراهيم هي ٣٥٢ أو ٣٦٠ سنة فإذا جعلنا بين إبراهيم وبين نمرود المذكور في التوراة ثلاث مائة سنة كما تزعم ، فقل : متى كانت ولادة كوش من حام ومتى كانت ولادة نمرود ؟ ومتى كان تملكه على بابل وأرك وأكد وكنه في أرض شنعار ؟ ومتى تمصرت البلاد بعد الطوفان ؟ أفقول بإلهامك ومعرفة المرسلين الامريكان أن ولادة كوش كانت بعد الطوفان بسنة ، وولادة نمرود كانت بعد الطوفان بسبعة عشرة سنة ثم ملك البلاد الممصرة ومات بعد الطوفان بنحو ٥٢ أو ٦٠ سنة ، فكان بينه وبين إبراهيم ٣٠٠ سنة ، ولكن المتكلف لا يبالي من أن يقول مثل ذلك فيخالف كتبه .

أو ليس هو الذى قال (يه ٣ ج ص ٢١٧) اقتضت عناية الله الإلهية أن يبقى نوح حتى رأى ابراهيم فأخبره عن الطوفان وعن أعمال الله معه وغير ذلك فنقل ابراهيم هذه القصص الإلهية وأعلمهم إرادة الله .

فلم يبال فى ذلك بمخالفة كتبه التى يعول عليها فإن توراته تقول ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلاث مائة وخمسين سنة (تك ٩ ، ٢٨) ، وتقويم العبرانية يقول بحسابه : ان ولادة تارح أبى ابراهيم لمائتين واثنتين وعشرين سنة من الطوفان ، وكانت أيام تارح مائتين وخمس سنين ومات فى حاران (تك ١١ - ٣٢) ، وان ابراهيم لما خرج من حاران كان ابن خمس وسبعين سنة (تك ١٢ ، ٤) .

والعهد الجديد يقول : ان ابراهيم خرج من حاران بعد ما مات أبوه (ع ١ ، ٧) فان فرضنا انه خرج من حاران فى سنة موت أبيه فلا بد أن يكون مولده لمائة وثلاثين سنة من مولد أبيه تارح ، فيكون مولد ابراهيم لسنة ثلاث مائة واثنين وخمسين سنة من الطوفان ، فيكون مولده بعد موت نوح بستين ، فأين تكون رؤية نوح لإبراهيم واخباره عن الطوفان وأعمال الله معه .

وقال الله تعالى فى سورة البقرة ٢٦٢ : (وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعيًا) . فاعترض المتكلف (يه ٢ ج ص ٣٣ و ٣٤) على هذه الآية بأن عبارة القرآن ناطقة بوقوع الشك من ابراهيم فى قدرة الله تعالى ، وتشبهت لذلك برواية من الأحاد .

قلنا : وقد ذكرنا لك فى الجزء الأول صحيفة ٧٥ و ٧٦ ان قول ابراهيم (بلى ولكن ليطمئن قلبى) لصريح على رغم أنف الغباوة والعناد بأن إبراهيم

مؤمن بهذه الحقيقة لا شك له فيها ولكنه طلب تأييد العقل بالحس ليحصل له الإطمئنان باليقين الكامل ، إذ لا شك ان العقل إذا تأيد بالحس كان المعلوم أوقع في النفس وأثبت في اليقين من المعقول الصنف .

وذكرنا لك أيضاً ان الرواية يكفي في ردها مخالفتها لصراحة القرآن الكريم وطلبنا منك المقايسة في الدلالة على الإيمان والشك بين قول ابراهيم : (بلي ولكن ليطمئن قلبي) ، وبين حكاية التوراة لقول ابراهيم أيضاً ففيها وقال أنا الرب الذي اخرجك من اور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها ، فقال : أيها السيد الرب بماذا أعلم اني أرثها (تك ١٥ ، ٧ و ٨) أفترى هذا الكلام يعطى راحة من الإيمان والتصديق بوعد الله في أمر جرت عليه سنة الله في عباده وبلاده من توريثه أرض قوم لآخرين ، أم يعطى انه لا يحصل العلم بمجرد قول الله ووعدته وإنما يحصل العلم بشيء آخر ، كما قيل : بماذا أعلم اني أرثها .

هب ان المتكلف لا يفهم القرآن ولا اللغة العربية ، أو انه يتحامل لتعصبه على القرآن بالإفتراء توهما لرواج ذلك عند بعض الأوباش ، ولكنه ألم يكن يدرى بأن في توراته مثل هذا الذي يفضحه عند المقايسة ، ولعمر الأديب لو أراد أن يدل على ما في توراته من الخلل لما أحسن التنبيه بمثل هذا التعريض .

وأظرف شيء مع ذلك انه يقول : ان كتاب الله يعلمنا بأن ابراهيم لم يشك في قدرة الله مطلقاً ، إذن فالتوراة التي ذكرت هذا الكلام كتاب من ؟ وهل ترى المتكلف يقول : ان قول ابراهيم (بماذا أعلم) ليس شكاً في قدرة الله وإنما هو شك في صدقه جل شأنه في وعده ، نعم يقول ولا يبالي ، ولا نقل ان المتكلف لا يعلم بهذا الكلام من توراته ، فإنه نقل منها هذا المقام برهته ، ولكنه ستر بذيل أمانته قولها (بماذا أعلم اني أرثها) .

وحاصل هذا المقام هو ان الله تبارك اسمه قال لابراهيم أعطيك هذه الأرض لترثها فقال ابراهيم : بماذا أعلم اني أرثها ؟ فقال له : خذ لي عجلاً ثلثية وعنزاً ثلثية وكبشاً ثلثياً وبيامة وحمامة فأخذها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه ، وأما الطير فلم يشقه ، ثم غابت الشمس فصارت العتمة وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع ، في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً لنسلك اعطى هذه الأرض (تك ١٥ ، ١ - ١٩) ، فانظر وقل إذا كان وعد الله لا يوجب العلم بصدقه حتى يقول ابراهيم : (بماذا أعلم اني أرثها) ، فما وجه الدلالة في قطع الحيوانات وظهور الدخان والنار بين قطعها ، فإن كان ابراهيم يخاف خلف الوعد والندم والحزن والتأسف في القلب على صدور الوعد ، فإن هذا العمل لا يوجب له العلم بعدم الندامة ولا فائدة فيه .

أو تقول مثل ما قال المتكلم في هذا المقام ، فهذه الذبيحة هي لتأييد العهد الذي عقده الله مع ابراهيم فكانت عادة اليهود بل الامم أيضاً عند ابرام عهد يذبحون الذبيحة إشارة الى ان من ينكث العهد يحل به سيف العدل الإلهي فالمولى سبحانه وتعالى تفضل وأعطاه هذه العلامة لتأييد العهد وتثبيت إيمانه وان الله سينجز ما وعده به .

إذن فهل حصل العلم بعقد الميثاق وتثبيت العهد بهذه العادة الاممية بسبب اشارتها الى جعلها سيف العدل الإلهي حوالة على الناكث ؟ أم لم يحصل ؟ ولماذا يحصل فإن من لا يصدق بوعد لا يؤتمن على اوفاء بعنده .

والتوراة لم تذكر حصول العلم بواسطة هذا العهد ، ولعلها تقول ان قانون الفداء لم يترك وثوقاً بمراقبة سيف العدل الإلهي ، إذ لعل العدل والقداسة وبغض الخطيئة والنكث للعهد تكون سبباً لأن يكون ابراهيم فادياً وإن استعني فيحمل عليه قصاص الناكث للعهد غفرانك اللهم جل شامك

وتعاليت عما يقولون .

ثم اعترض المتكلف على حديث الطيور في الآية الكريمة ودلائلها على حياتها واجتماع أوصالها بعد التفرق ، فقال : هذه الأقوال ليست من الأغلاط الفاحشة بل من الخرافات الخارجة عن حد المعقول .

قلت : إن كان لك إلمام بمعرفة أحوال المتكلف فأبني لي عن منشأ هذا الكلام هل هو هذيان مبرسم ، أو نفثة باح بها كامن الإلحاد وإنكار المعاد وقدرة الله ، وانطواء الاعتقاد على ان عود الأجسام والتسامها بعد تفرق أجزائها خارج عن حد المعقول ، وكيف يكون ذلك والمتكلف والمرسلون الأمريكان يدعون انهم أتباع المسيح الذي هو والعهد الجديد أيضاً يحتاجان على وقوع القيامة وعود الأجسام بعد تفرقها ، وينوهان بقدرة الله ، وهم يدهون انهم رسل الدين المسيحي لا رسل (داروين) .

وقال الله جل اسمه في سورة الانعام ٧٤ : (وإذ قال ابراهيم لآبيه آزر أتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين) .

فاعترض المتكلف (به ٢ ج ص ٤٤) على تسمية القرآن أبا ابراهيم (آزر) مع ان التوراة سمته (تارح) (تك ١١ ، ٢٦) ، وبأن تارح ما كان يعبد الأصنام بدليل انه هاجر مع ابراهيم الى حاران ، فلو لم يكن تقيماً لما ترك وطنه وهو عزيز عنده .

قلنا : ان آزر معرب اليعازر ، ومنه قول المتنبي : (أو كان صادف رأس آزر سيفه) حيث أراد منه اليعازر الذي يذكر انجيل يوحنا ان المسيح أحياه من الموت ، فيجوز أن يكون لفظ اليعازر لقباً لتارح فإن معناه (الله عون) فسمى القرآن تارح بلقبه .

ودعوى ان تارح لم يكن يعبد الأصنام إنما هي من المتكلف دعوى لا شاهد عليها إلا التخمين المعارض بأقوى منه ، فان (لابان) ابن بتوئيل ابن

ناحور أخى ابراهيم كان فى حاران يعبد الأصنام انظر (تك ٣١ ، ١٩ و ٣٠)
وهذا يعطى أن بيت ابراهيم لم يكونوا فى حاران أبرياء من عبادة الاصنام ،
ويؤيد ذلك ان ابراهيم هاجر عن أهله من حاران ولم يتبعه إلا لوط وساره
ويجوز أن يكون تارح هاجر من وطنه حباً لإبراهيم وفراراً بولده من
كيد عبدة الاوثان ، وهذا مما يقدم عليه الاب الشفيق وإن لم يكن على دين ولده .
ولنا أن نقول ان آزر المذكور فى القرآن لم يكن أباً لإبراهيم حقيقة ، وإنما هو
حسب قول التوراة اليعازر الدمشقي ملك بيت ابراهيم أو ابنه المتاهل لورثة
ابراهيم (تك ١٥ ، ٢ - ٤) فسماه القرآن أباً لإبراهيم حسب الاصطلاح الجارى
فى القديم من تسمية القيم بالأمور (أباً) وان كان عبداً أو رعية ، فعن قول
يوسف الله جعلنى أباً لفرعون (تك ٤٥ ، ٨) .

وعن قول ميخا للغلام اللاوى : كن لى أباً (قض ١٧ ، ١٠) ، وعن
قول الدانيين لذلك الغلام أيضاً : كن لنا أباً (قض ١٨ ، ١٩) ، وربما يشير
تضريح القرآن باسم آزر الا انه احتراز عن الأب الحقيقي .

وقال الله تعالى فى سورة التوبة ١١٥ : (وما كان استغفار ابراهيم
لا يبه الا عن موعدة وعدھا اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان
ابراهيم لاواه حليم) .

فاعترض المتكلف (يه ٢ ج ص ٦٠) بأنه حاشا لإبراهيم أن يستغفر
له ، فإنه يعرف انه لا تنفع الشفاعة بعد الموت ، وبأن أباً إبراهيم ما كان
مشركاً ولا عدواً لله .

قلنا : ان قوله تعالى : (فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه) كاف فى بيان
بطلان الاعتراض وكاشف عن ان الاستغفار كان لرجاء الايمان فيكون المراد
من الاستغفار هو طلب التوفيق للإيمان الذى هو سبب المغفرة ، ولكن
جل اسمه لا يلجى المعاند ، ولا يوفق الا من هو أهل ، فلما تبين لإبراهيم

عناد أبيه ، ويأس من إيمانه تبره منه ، كما هو وظيفة الأنبياء والأولياء بل وسائر المؤمنين فلم يقل لله ولا يقول لإبراهيم ولا غيره من الأنبياء في شأن من يعبد الوثن ، والآن ان غفرت خطيئتهم وإلا فاعني من كتابك الذي كتبت (خر ٣٢ ، ٣٢) ، هذا وقد تقدم الكلام بأن أبا ابراهيم المذكور ما كان مشركاً .

وقال الله تعالى في سورة هود ٧٢ : (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيد ٧٣ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط ٧٤ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق) .

واعترض عليه المتكلف (يه ٢ ج ص ٦٦) بمخالفته لما ذكر في توراته التي عرفت حالها (تك ١٨ ، ١ - ١٦) ، وأنموذج اعتراضاته في ذلك هو اعتراضه على نقله ان الملائكة لم يأكلوا حيث ان توراتهم تقول انهم أكلوا . قلت : ويظهر وجه اعتراضه بقول توراته ، وظهر له الرب وإذا ثلاثة رجال ، الى أن قالت : فجاء الملاكان الى سدوم فصنع لهما لوط ضيافة وخبزاً فطيراً فأكلا (تك ١٨ ، ١ - ١٩ ، ٤) وهي وإن اضطربت في العدد لكنها لا تخفي دلالتها على ان الملاكين الذين جاء الى سدوم هما الذين جاؤا الى ابراهيم وأكلوا تحت الشجرة من ضيافته وذهبوا نحو سدوم .

ويتضح وجه اعتراضه بقول عهده الجديد في الملائكة ، أليس جميعهم أرواحاً (عب ١ ، ١٤) .

وباحتجاج أناجيله على ان أبناء القيامة لا يتزوجون بكونهم مثل الملائكة (مت ٢٢ ، ٣٠ و مر ١٢ ، ٢٥ و لو ٢٠ ، ٣٦) .

واعترض المتكلف أيضاً على القرآن وقال (يه ٢ ج ص ٦٧ س ٢٢) عدم تعيين عدد الرجال يدل على الجهل يعني بذلك عدد الرسل الذين أرسلهم الله الى ابراهيم .

قلت : وقد قدمنا لك ان القرآن الكريم لم يدخل شؤنه مدخل التاريخ بل لا يتعرض في نصه وبيانه إلا لما كان مهما في الغرض المقصود ولا مداخلة هاهنا في الغرض للنص على كون الرسل ثلاثة أو عشرة ، فاكتمى بالإشارة إلى الحقيقة بصيغة الجمع وضميره الدالين على انهم لا ينقصون عن ثلاثة .

ولا تعجب من سخافة كلام المتكاف في اعتراضه هذا ، ولكن تبصر فيما جناه بهذا الاعتراض على نفسه وعلى كتابه وعلى قومه ، إذ حمل المتبع على أن ينظر في توراته فيرى خبطها في هذا المقام ، فانها بينما تقول ان هؤلاء الرسل ثلاثة رجال وقاموا وتطلعوا نحو سدوم ، وانصرفوا من هناك وذهبوا نحو سدوم (تك ١٨ ، ٢ ، ١٦ و ٢٢) أذابها قد قالت وجاء الملاك الاثنان إلى سدوم (تك ١٩ ، ١) فانقلب الثلاثة اثنين .

ثم قالت أيضا في مخاطبة لوط لهؤلاء الاثنين وجوابهما له ، فقال لها لوط : لا ياسيد هو ذا عبدك ، وجد نعمة في عينك عظمت لطفك فقال له قد رفعت وجهك ، أنا لا اقلب المدينة ، أنا لا أستطيع ان أفعل شيئا حتى تجيء إلى هناك (تك ١٩ ، ١٨ - ٢٣) فانقلب الاثنان واحداً ، وحق للمتكاف أن يفخر بتوراته ويقول ان الناس من هذا المقام أخذوا علم الحساب ووضعوا اصوله واستخرجوا قواعد الجبر والمقابلة .

ولعل المتكاف يقول : ان هذا المقام من مجاهرة التوراة بالثاوث ، فنقول له : ان توراتك ثلثت وثلثت ووحدت موضوعا واحداً من الملائكة ، وان المعروف منكم وعن تقدمكم بعقيدة الثاوث كالبراهمة والبوذيين وغيرهم من الامم القديمة (١) إنما هو التثليث في الذات الإلهية تعالى الله عن ذلك ، فتجعلونه واحداً ذا أقانيم ثلاثة ، وعليه جرت مزاعمك (به ٤ ج ص ٢٤٥ -

(١) انظر كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٧ - ٢٣ .

(٣٠١) ، ولا نسمع عنكم ولا عن قبلكم دعوى الجمع بين التثليث والتثنية والتوحيد حتى في الملائكة .

فإن زعم المتكلف كزاعم الرسالة المنسوبة لعبد المسيح ان التوراة أرادت بذلك الثالوث الإلهي وذكرت أقانيمه الثلاثة .

قلنا له : إذن فقل ان البرهان لك من توراةك على ذلك هو ان ابراهيم عرف انهم اقانيم الإله الثلاثة ، ولذلك دعاهم لأن يسندوا قلوبهم بكسرة خبز فأكلوا تحت الشجرة ، وبعد ما انقلب هؤلاء الثلاثة إثنين أكلا عند لوط من ضيافته والخبز الفطير ، وبعد ما انقلب الاثنان الى واحد صار لا يقدر على أن يفعل شيئاً حتى يجيء لوط الى صوغر .

ومن أين يجد أهل علم اللاهوت في الاحتجاج على الألوهية أحسن من يجد هذه الصفات فانظر (تك ١٨ و ١٩) .

وقال الله جل اسمه في سورة الصافات في شأن ابراهيم وابنه ١٠٠ (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) .

فاعترض المتكلف (به ٢ ج ص ١٠٦) بأن هذا لم يكن في الرؤيا بل ان الله أمره بذلك كما في التوراة .

قلت : غاية ما في التوراة على ما فيها ، انها قالت ان الله امتحن ابراهيم فقال له : يا ابراهيم فقال : ها أنا ، فقال : خذ ابنك وحيدك الى آخره (تك ٢٢ ، ١ ، ٢) ولم تصرح بأن هذا كان في يقظة أو رؤيا ، وان جملة من نبوات ابراهيم وكلام الله وخطابه معه قد كانت في الرؤيا والمنام انظر (تك ١٥ ، ١٠ - ١٠ ، ١٢ و ١٧) .

فالقرآن أوضح الحقيقة على خلاف إبهام التوراة لها .

وقال الله تبارك اسمه في سورة البقرة ١١٩ : (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلياً وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن

طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ١٢١ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل .

والمتكلم ينكر ذلك ويقول (يه ٢، ج ص ٢٣) ، وكتاب الوحي الإلهي يعلننا ان ابراهيم لم يتوجه مطلقاً الى الكعبة ، ولا الى بلاد العرب ، ثم ذكر ما ذكرته توراته في سيرة ابراهيم المجتلة ، ثم قال والحقيقة هي ان الكعبة بيت زحل .

قلت : ليس في التوراة الرائجة ما يدل على ان ابراهيم لم يتوجه مطلقاً الى الكعبة ولا الى بلاد العرب ، وغاية ما فيها انها لم تذكر بصراحتها سفر ابراهيم الى مكة ، وغاية ما تعرضت له من أحوال ابراهيم إنما هو وخلاته التي هاجر فيها بعائلته وثقله وبيته ، وإنما كان ذهابه الى مكة من سفر يلاته الخصوصية ، ولم تتعرض التوراة الرائجة لهذا النوع من السفرات ، كما أهملت ذكر شؤنه وأحواله ونشوئه وتربيته فيما بين النهرين وقد قضى من ذلك شطراً وافياً من عمره وهو مؤمن بل نبي بين وثنيين لا بد أن تجرى لهم معه شئون مهمة ، وكما أهملت ذكر شؤنه في حاران أيضاً .

أفتري إذا قال بعض المؤرخين ان ابراهيم سافر وهو فيما بين النهرين الى اليمن أو عمان أو سافر وهو في حاران الى ناحية الشمال فهل يحسن من ذى أدب ان يرده بخلو التوراة من ذلك كلا .

(فان قلت) : ان الذي يدعى من سفر ابراهيم الى مكة وبناء البيت أمر مهم لا ينبغي للتوراة ان تهمله إذا كان له أصل ، (قلت) إنما (أولاً) فان توراة حلقياً أو غيره مشغولة بما هو أهم من ذلك عندها وهو التسجيل على رحلة ابراهيم الى (مصر ، وجرار) لكي تجرى وظيفتها في ذكر قصة فرعون وأبي مالك مع ابراهيم ، فتمجد ابراهيم بذلك انظر (تك ١٢ ، ١١ - ٢٠ ،

(وأما ثانياً) فإن هذه التوراة إنما هي كما بانها بنى اسرائيل إذ حرصوا على أن يجعلوا نصيباً لغيرهم في توحيد الله وعبادته وشريعته ونبوته ، فكيف تسمح ان تذكر بناء ابراهيم واسماعيل للبيت مع ما فيه من الفضل والرفعة للإسماعيليين ، وان كاتب الايام الاول لم يدعه الحق على الإسماعيليين أن ينسبهم الى أبيهم بل سماهم الهاجريين (١ اى ٥ ، ١٠ و ١٩ و ٢٠) وسرى هذا الوباء حتى الى كاتب رسالة غلاطية فصار يضرب مثله في الرفعة والضعفة بابن سارة وابن هاجر (غل ٤ ، ٢٢ - ٣١) .

ويدلك على ذلك ان هذه التوراة ذكرت أولاد اسماعيل فقامت ووقعت في الحبط ، فانها لما تعرضت لذكر الذين اشتروا يوسف من اخوته وباعوه في مصر ذكرت ما ملخصه ، وإذا قافلة اسماعيليين ذاهب الى مصر فقال يهوذا : تعالوا نبيعه للإسماعيليين واجتاز رجال مديانيون تجار فسمحوا يوسف من البئر وباعوه للإسماعيليين فأتوا بيوسف الى مصر ، والمديانيون باعوه في مصر لفوطيفار (تك ٣٧ ، ٢٥ - ٣٦) .

ثم قالت : ويوسف انزل الى مصر واشتراه فوطيفار من يد الإسماعيليين فانظر الى هذا الحبط والجهل بأنساب أولاد ابراهيم ، فإن هؤلاء الجماعة نسبتهم هذه التوراة مرة الى اسماعيل بن ابراهيم من هاجر ، ونسبتهم مرة الى مديان ، وإن كان المراد به ابن ابراهيم فهو مديان ابن ابراهيم من قطورة ونسبتهم مرة ثالثة الى مدان ، وإن كان ابن ابراهيم فهو مدان ابن ابراهيم من قطورة أيضاً شقيق مديان .

(وأما ثالثاً) فإن امة العرب بأسرها متسلمين في أجيالهم على نقلهم ان الكعبة الشريفة هي بناء ابراهيم واسماعيل ، وقل ما يتفق لحقيقة أن يتواتر نقلها بمثل هذا التواتر فهو حجة مرغمة للخصم ، ولا يمنع من ذلك ان العرب أخيراً وضعوا فيه الأصنام لما تلاشت من بينهم حقيقة الحنيفية مله ابراهيم

فانقلبوا الى الوثنية والشرك ، كما هو الوباء العام الذي لم تسلم منه امة إلا امتنا
المرحومة ثبتها الله على توحيد وطاعته ، فإن بني اسرائيل شعب الله وابنه
البكر بقول توراتهم قد جعلوا الأصنام في بيت المقدس مراراً عديدة لما انقلبوا
في وثنيتهم بل اخربوا بيت المقدس واتهبوه .

(وأما رابعاً) فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طالما هتف بين
العرب بأن الكعبة بناء ابراهيم ، وتلا عليهم الآيات المصروفة بذلك ، فلو
كان في ذلك خدشة لصالوا على دعوته بذلك وجعلوه برهاناً على تكذيبه في
دعوته الثقيلة على أهوائهم ، ولم يلتجئوا الى المكابرة بنسبة الجنون الى
قدسه مع انهم كانوا يعاملونه من حيث الكالات معاملتهم لأكل البشر وأعقلهم
(فإن قلت) : انهم عرب خالون من المعارف ، فتروج فيهم مثل هذه الدعوى
(قلت) : ان كل من له إلمام بفلسفة القبائل ومعرفة أحوال العرب يعلم ان
لهم المعرفة التامة في تاريخ قديمهم وآثار آبائهم وأسباب شرفهم ، بل كان ذلك
من أهم معارفهم عندهم الرائجة بينهم .

ولا تغل : ان رواج ذلك سهل بين الاسماعيليين لأنه يتعلق بمجدهم ،
وذلك لأن القحطانيين لو وجدوا أدنى سبيل لمنعه لمنعهم ولم يتركوا الاسماعيليين
يفخرون عليهم بذلك ، فانهم من قديم الدهر وحديثه لا يزالون يفاخرون
الاسماعيليين وينافرونهم .

ومن ذلك تعلم ان تسليم القحطانيين لهذه الحقيقة برهان كاف على انها
لا تختلج فيها الأوهام إلا إذا أقحمتها العصبية وقلة المبالاة .

ولئن علقت نفسك بإهمال التوراة الرائجة لهذه الحقيقة ، ولم يزح ما
قدمناه شكوك شبهاتك ، فلا تحتفل بإهمال التوراة ، فإن العهد الجديد يشهد
بأنها قد اهملت أهم تاريخ ابراهيم وأزم شؤنه بالذكر فيما هي بصدده ،
وهو بدء الدعوة وظهور الله له في أرض الكلدانيين فيما بين النهرين ،

وأمره له بالهجرة من وطنه .

فقد جاء في أعمال الرسل كتاب إلهام المسيحيين عن استفانوس المذكور انه مملوء من الإيمان والروح القدس والقوة بحيث يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب (١٠ ع ٦ ، ٥ - ٩) انه قال : ظهر إله المجد لأبينا ابراهيم وهو فيما بين النهرين قبل ما سكن في حاران وقال له : اخرج من أرضك ومن عشيرتك وهلم الى الأرض التي أريك ، حينئذ خرج من أرض الكلدانيين وسكن في حاران (١ ع ٧ ، ٢ - ٥) .

ومع ذلك فإن التوراة لم تذكر ان الله دعى ابراهيم فيما بين النهرين للهجرة ، وإنما ذكرت ان تارح اخذ ابرام ابنه ولوطاً وساراي كخته فخرجوا من اور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان فأتوا الى حاران وأقاموا هناك ومات فيها تارح (تك ١١ ، ٣١ و ٣٢) .

ثم قالت بعد ذلك : وقال الرب لإبراهيم اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك ، فذهب ابرام كما قال له الرب وذهب معه لوط ، وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران فأخذ ابرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلکا في حاران (تك ١٢ ، ١ - ٦) ، وهي صريحة في ان ما تذكره من دعوة الله لابراهيم كان في حاران .

وحيثما يقتضى العهد الجديد ان التوراة الرائجة لا تخلو من أحد أمرين أما انها حرقت الواقعة الواحدة . والدعوة التي كانت في أرض الكلدانيين فجعلتها واقعة في حاران ، وأما انها أهملت ذكر الدعوة التي وقعت أولاً في أرض الكلدانيين مع انها ألزم بالذکر ، وزادت على ذلك بأن مسخت الحقيقة ونسبت الهجرة الى تصرف تارح ، ومع هذا لا يصح للنصراني أن يتشبث بهذه التوراة على إنكار حقيقة إذا لم تفز بذکرها حتى لو فوضنا سلامتها من الخلل من غير هذه الجهة .

والمتعرب ايضاً ليج في انكار مجيء اسماعيل الى مكة وانكر على سائل قوله في أول مقاله في بلاد العرب وتهامة ان اسماعيل بن ابراهيم توطنها فقال (تقد) ص ٧ ليس هذا بثبت لأن في فلسطين موضعاً يسمى عربية ايضاً ، وبعد فإن التوراة قد عينت موضع سكنى اسماعيل وهو في غير بلاد العرب (تك ٢١ ، ١٤ ، ٢٥ ، ١٢ - ١٨) .

ثم قال ايضاً (ذ) ص ١٠ و ١١) ما حاصله ان قول العرب لن اسماعيل سكن مكة مردود بأن التوراة التي لا نعلم بوجود هذا الشخص إلا منها تقول : انه لما طرد من بيت أبيه سكن في برية قاران وهي بيرية سينا بين مصر وبلاد شموذ ، وتقول في موضع آخر : انه نزل امام اخوته ، وهؤلاء كانوا بأرض كنعان من الشام ، ولم يكن امامهم مما يلي جزيرة العرب سوى بلاد شموذ ، وتقول في موضع ثالث : انه لما مات أبوه أتى ودفنه في مغارة المكفلية بقرية اربيع من كنعان ، وبينها وبين مكة مسافة لا يقطعها الراكب المجد في أقل من عشرة أيام .

قلت : إذا كانت توراته قد عينت موضع سكنى اسماعيل فيما أشار إليه حيث ذكرت انه بيرية قاران ، وهو يقول : انها بيرية سينا بين مصر وبلاد شموذ .

إذا فما وجه قوله : ان في فلسطين موضعاً يسمى عربيه ، ومن المعلوم ان بيرية سينا أجنبية عن فلسطين ، وهل تشبته باسم هذه العربية إلا غلط في غلط .

وأما قوله : (لا نعلم بوجود اسماعيل إلا من التوراة) فهو من أخص الخس الخس ، فلو ان حلقياً لم يأت شاطن بكتاب وحيد سماه التوراة لما انحط اسماعيل عن شهرته أقل قليل ، كيف وها بنوه الذين يفخرون به في أجيالهم قد ملأوا جزيرة العرب وأذعن لهم بذلك صاحبهم وخصمهم في المفاخرات

ولم يك اسماعيل كملكى صاروق بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداية أيام له ولا نهاية حياة حتى لا يعرف إلا من إلهام رسالة العبرانيين ٧ ، ٣ .
 وأما قوله : ان التوراة تصرح بأن اسماعيل سكن في برية فاران فهو مردود بأن اختلاف التوراة في التاريخ واغلاطها فيه ، وعلى الخصوص فيما يتعلق بابراهيم ودعوته وبنيه لا يدع لها اعتباراً تساوى فيه واحداً من كتب التاريخ ، ولو سلمنا ذلك فقد ذكر اللغويون ان فاران من جبال مكة ، وأما قوله : ان فاران هي برية سيناء بين مصر وبلاد شموذ فهو خبط بلا حجة ، فان أصحابه قد اضطربوا في ذلك فجعلوا فاران تارة اسماً لجبل فيران وهو الرأس الواقع بين خليجي العقبة والسويس جنوبي سيناء وكاترينا ، بل هو آخر الجبال الواقعة في الزاوية بين الخليجين .

وجعلوه تارة اخرى اسماً لجبل (فوريا) وهو الجبل المقوس الذي يقارب وسط محدب به للدرجة التاسعة والعشرين من العرض الشمالى والرابعة والثلاثين من شرقى لندن فجعلوا برية فاران ما كان في شمال هذا الجبل ، وسموا به أيضاً وادياً ذا أربع شعب متقاطعة على زوايا مختلفة ، وهو في قرب ما سمي أيضاً وادى فيران ، فلا سبيل لهم إذا في تعيين ما ذكرته توراتهم منزلاً لإسماعيل بمجرد الإسم فإنهم قد سموا بذلك أما كن متباينة في الوضع والبعد .
 وان ساعنا المتعرب ورجعنا الى اكتشاف برية فاران من علامات التوراة ومضامينها ، فلا بد أن نقول : ان برية فاران واقعة في شرقى جبل الشرات وهو السلسلة الممتدة في شرقى الاردن فبحيرة لوط فوادى العربى فخليج العقبة فالبحر الأحمر الى الحجاز ومن رؤسها جبال مكة .

والبرية التى في شرقى جبل الشرات لا ربط لها ببرية سيناء ولا فاسطين فإنها مفصولة عنهما بسلسلة جبل الشرات ثم الاردن وبحيرة لوط ووادى العربى وخليج العقبة ثم السلسلة الغربية المتوجهة من حدود لبنان الى جبل سيناء ،

وان مقتضى التوراة ان برية فاران تسمى بها برية صين وقادش برنيع كما يعرف من (عدد ١٣، ٣ و ٢١ و ٢٦، ٣٢ و ٨، ٣٢ و تث ١، ١٩ - ٢٦) .
وانك لتعرف منها أيضاً ان برية فاران واقعة في شرقي جبل الشرات ، فقد ذكرت مراحل بني اسرائيل ومنازلهم على التفصيل والترتيب والتتابع من مصر الى عربات مواب حيث توفي موسى عليه السلام ، فذكرت لهم من برية سيناء الى عصيون جابر عشرين مرحلة ومنزلاً (عدد ٣٣، ١٦ - ٣٦) ، وان عصيون جابر واقع اما في وادي العربة شرقي سلسلة جبال سيناء ، واما في شرقي سلسلة جبل الشرات .

ثم قالت : وارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا في برية صين وهي قادش وارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في طرف ارض ادوم (عدد ٣٣، ٢٦ و ٢٧) وقد عرفت من التوراة ان برية صين وقادش هي برية فاران وعرفت موقع عصيون جابر ، واما جبل هور فهو جزء من جبل الشرات مائلاً الى الشرق منه .

وتقول التوراة أيضاً وعبرنا عن اخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير من طريق العربة من ايلة ومن عصيون جابر (تث ٢، ٨) والعبور عنهم بهذا النحو إنما يكون بالتوجه الى شرقي جبل الشرات ، فإذا عرفت ذلك عرفت انه لا منافاة بين قول التوراة ان اسماعيل سكن في برية فاران ، وبين القول بأنه سكن مكة .

فإن التوراة كثيراً ما تحدد الأماكن بحدود واسعة خصوصاً إذا لم تكن مدينة معروفة ، فإن مكة لم تكن عند سكني اسماعيل فيها مدينة محصورة وإنما كانت برية بيداء .

وقد جرت عادة التوراة بتحديد مثلها بالحدود الواسعة كأرض الجنوب (تك ٢٤، ٦٢ و عدد ١٣، ٢٩) ، وأرض المشرق (تك ٦، ٢٥) ، وأرض

بنى المشرق (تك ٤٩ ، ١) ، وعند الجبل وعند البحر (عد ١٣ ، ٢٩) ، فالمراد من برية فاران هي البرية الواقعة في شرقي سلسلة جبل الشرات ، فانه لا برية له في غربه ، لأن غربه مضائق بالاردن وبحيرة لوط وراي العربي والبحر الأحمر ، وهذه البرية هي الشاملة للحجاز ومكة .

فالتوراة ذكرت منزل اسماعيل في مكة والحجاز لا بالتعيين ، بل بالجهة الشاملة .

قال في المجلد السابع من دائرة المعارف ص ٦٩١ الحجاز قيل وأحسن ما قيل في تحديده ما قاله ابن الكلبي (وهو العلامة النسابة في أواخر القرن الأول من الهجرة) : ان الحجاز عبارة عن جبل الشرات وما اتصل به . (فإن قال المتعرب) : ان اسلوب الاصحاح الأول والثاني من التثنية يقتضى ان عبور بني اسرائيل من ايلة ومن عيصون جابر الى شرقي جبل الشرات إنما كان بعد ارتحالهم من قادش التي هي برية فاران ، وذلك يقتضى أن تكون قادش وبرية فاران في وادي العربية أو في غربيه ، فهي إذا ما من فلسطين واما من برية سينا .

(قلت) : لعل المتعرب قد غرته التراجم حيث جعلت أدوات العطف باللفظ (ثم) و (الفاء) اللتين هما للترتيب ، وإنما هو محض تشبهى وتحكم من المترجمين ، فإن الأصل العبراني لم يقع فيه العطف إلا بالواو ، وهي لمطلق الجمع لا تدل على الترتيب ، فإن التوراة طالما عطفت باواو ما هو متقدم على ما هو متأخر ، فلا تشبث بمحض العطف بالواو .

وكيف نعدل بوجهه عن صراحة الترتيب والتفصيل المذكور في الثالث والثلاثين من العدد حيث استقصى منازلهم ومراحلهم من رعسيس في مصر الى عربات موآب حيث توفي موسى عليه السلام ، حيث ذكر ان بني اسرائيل ارتحلوا من رعسيس ونزلوا في سكوت ، وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايشام

وجرت على هذا النسق والترتيب الى أن قالت : وارتحلوا من ياطباتهم ونزلوا في عبرونه ، وارتحلوا من عبرونه ونزلوا في عصبون جابر ، وارتحلوا من عصبون جابر ونزلوا في برية صين وهي قادش ، وارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في حازف لهورم .

ثم ذكر لهم على هذا النسق والترتيب سبع مراحل ومنازل الى عربلت مواب .

وإذ حاول المتعرب أن يتثبت في وهمه بسفر التثنية ، فإن لنا من صراحته حجة واضحة على أن قادش وبرية فاران إنما هي في شرقي جبل الشرات وذلك لصراحته بأن بني اسرائيل وهم في قادش صنعوا الى الجبل بفرج الاموريين الساكنون في ذلك الجبل للقائهم ، وكسروهم في سعيهم الى حرمة (انظر تث ١٩، ١ - ٤٠، ٤٠ ثم من ٤٠ - ٤٦) .

ولن جبل سعيير قطعة من جبل الشرات في شرقي وادي العربية وجبل الاموريين قطعة منها أيضاً في شمال سعيير .

فإن ذات التوراة تقول : ان ملك الاموريين كان ساكناً في حشبون (تث ٢٦، ٣ و ٣٠، ١ و ٢٣) ، وحشبون وأرض الاموريين في شمال مواب شرقي للطرف الشمالي من بحيرة لوط وانظر (يش ١٣، ٢٧) .

(فإن قال المتعرب) ان سفر التثنية العبراني قد غلط في هذه الواقعة وارتباطها مع الاموريين والصحيح هو ما في النسخة السامرية وهو قولها بدل الاموريين (العالقي والكنعاني) بدليل ما في سفر العدد في قوله في هذه الواقعة ، لكن تجهروا وصعدوا الى رأس الجبل ، فزل العالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم الى حرمة (عد ١٤، ٤٤ و ٤٥) (قلت) له : إذا فلن الحياه زينة الرجل ، أفتريد أن تعارض الحقائق المعروفة في الأجيال المتعددة عند ملايين لا تحصى من أهل المعارف والبهنة ،

وتغالط فيها بكلمة لا تفهم معناها من كتاب يلجأك سقمه واضطرابه إلى الإعراف بغلطه .

وأما قول المتعرب : ان التوراة تقول : ان اسماعيل نزل أمام اخوته وهؤلاء كانوا بأرض كنعان من الشام ، ولم يكن أمامهم مما يلي جزيرة العرب سوى بلاد شموذ .

قلت : ان كان مراد التوراة اسماعيل نفسه وأنه نزل أمام اخوته أو اولاد ابراهيم ، فقد كذب المتعرب أو وهم بقوله ، (وهؤلاء كانوا بأرض كنعان) لأن اسماعيل لم يكن له في أرض كنعان إلا أخ واحد وهو اسحاق ، وأما اخوته الستة بنو قطورة ، فإنما كانت منازلهم في أرض المشرق (تك ٢٥ ، ١ - ٧) ، وهي في شرقي جبل الشرات ، ومنهم مدان ومديان ، وهكذا ان كان المراد من اخوته هم عشيرته وبنو نسبه فإن أكثرهم لم يكونوا في كنعان لأن اخوته الستة أو اولاد قطورة والموايين والعمونيين بنو لوط كانوا كلهم في شرقي جبل الشرات وعلى كل حال لا يتعين من نزول اسماعيل مقابل هؤلاء كونه سكن في برية سيناء بل يجوز أن يراد بذلك سكناه في مكة ، فان التوراة كثيراً ما تذكر الجهات بالسمت البعيد جداً ، فقد سمت حاران بأرض بني المشرق (تك ٢٩ ، ١) مع ان سمتها يميل الى الشمال عن مشرق مساكن اسحاق في كنعان بما يزيد على أربعمائة ميل جغرافياً .

وسمت (سفار) بجبل المشرق (تك ١٠ ، ٣٠) مع ان سمتها يميل إلى الجنوب عن مشرق الأماكن التي نزلت فيها التوراة بما يزيد على الثمانمائة ميل ، ووصفت عبر الاردن الذي نزل فيه سفر التثنية بأنه قبالة (سوف) مع انه ليس له مسامته ومقابلة حقيقية أو عرفية مع سوف إلا مع البعد الشاسع ، ووصفته أيضاً بأنه بين فاران وحضيروت (تث ١ ، ١) مع ، ان بينه وبين حضيروت مسيرة سبعة أيام تقريباً انظر (تث ٢٠ ، ١ و عدد ٣٣ ، ١٦ و ١٧) .

هذا وإن كان مراد التوراة من الساكن أمام جميع اخوته هم بنو اسماعيل وذريته كما يدل عليه كلام التوراة الذي سنذكره .

فمن الواضح ان مساكنهم لا ربط لها ببرية سيناء ولا فلسطين ، بل هي في شرقي جبل الشرات على بعد متفاوت .

فقد قالت التوراة : وهذه أسماء بني اسماعيل حسب مواليدهم : نيابت بكر اسماعيل ، وقيدار ، وادبيثل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، ومستما ، وحدد ، وتيما ، ويطور ، ونافيش ، وقدمه . هؤلاء هم بنو اسماعيل وهذه أسمائهم بديارهم وحصونهم اثني عشر رئيساً حسب قبائلهم ، وهذه سنو حياة اسماعيل مائة وسبع وثلاثون سنة ، وأسلم روحه ومات وانضم الى قومه ، وسكنوا من حويلة الى شور التي أمام مصر لمجيئك نحو اشور امام جميع اخوته نزل (تك ٢٥ ، ١٣ - ١٩) .

وهذا الكلام بمقتضى المحاوراة العقلانية ظاهر كالصريح في ان المراد من الذي نزل أمام جميع اخوته إنما هم أولاد اسماعيل ، وصريح في ان الأسماء الإثني عشر المذكورة هي أسماء لأولاد اسماعيل وأسماء لقبائلهم وأسماء لديارهم وحصونهم على النهج المألوف في القديم ، كما في أولاد يقطان ، حضر موت ، واوزال ، واوفير ، وحويلة ، إذ سميت قبائلهم وأراضيهم وبلدانهم بأسمائهم ، وكما في أولاد ابراهيم : مديان ، وادوم (عيسو) ابن يعقوب ، وعلى هذا فلا يخفى على من له أدنى معرفة بتوقيع البلدان ان (تيما) و (دومة) لا ربط لها ببرية سيناء ، ولا بأرض كنعان ، ولا بأرض اسرائيل في شرقي الاردن ، بل هما مائلتان عن ذلك وعن الحجر بلاد ثمود الى المشرق في بلاد العرب بمسافة بعيدة ومحلها معروف ، وهذا كاف في إبطال مزاعم المتكلف ، وزد على ذلك ان التوراة في تحديدها لمنازل بني يقطان ذكرت

(مساً) حيث قالت : وكان مسكنهم من (مساً) الميجيك سفار بجبل المشرق
(تك ١٠ ، ٣٠) .

وقال المتعرب (قد) ص ١١١ ان لفظها في النسخة المطبوعة في رومية
(ماسا) ، قلت : وفي الترجمة الفارسية المطبوعة في لندن سنة ١٨٣٩ (مساً)
ومشاً ، أو مساً عند العرب من أسماء مكة ، وعلى ذلك جرى ظن كثير من
النصارى حتى رسموا (مشاً) في الخارطة في موقع مكة ، وهو ما فوق الدرجة
الحادية والعشرين من العرض الشمالى وفوق الدرجة الأربعين من الطول الشرقى
قال سايل (ق ص ١١ س ٢) : « ويظن انه - أى مشاً أو مساً أو ماساً -
مأخوذ من اسم واحد من أولاد اسماعيل) وهو مساً المذكور قريباً ، وقد
سمعت ان التوراة جعلت أسماء بنى اسماعيل أسماء لقبائلهم وحصونهم وديارهم
فيكون لفظ مساً اسماً لابن اسماعيل وهو موطنه وحصنه ، قلت : ويجوز أن
يكون اسم ابن اسماعيل مأخوذاً من اسم مكة ، أو كما ظن باعتبار ان مساً هو
الذى مصرها وبني فيها الحصون .

(تنبية) اعلم ان ما يقرأ ميشا ومشأ ومشاء ومسأ وماسا ومسأ إنما هو
بصورة واحدة بلا فرق أصلاً في نسخ التوراة التي يكتبها اليهود على الرق ،
ويقدسونها للتلاوة في معابدهم من القديم الى الآن حيث التزموا فيها باتباع أصلها
المكتوب بالوضع القديم حتى على الغلط البين ، فلم يرسموا في هذه الألفاظ
(تك ١٠ ، ٣٠ ، و ٢٥ ، ١٤) إلا ميماً وألفاً بينهما حرف مردد بين السين
والشين ، وإنما جاء الفرق والإضطراب حسب التقسيم من بعض النسخ
المرسومة على الوضع الحادث للنط العبرانى في طهريه فيما بين القرن الثانى
والثالث للمسيح ، وإنما كتبنا في المتن على مقتضاها لتلا يقرئنا الغافل بالتحيانة
في النقل ، وإلا فاللفظان في صورة واحدة .

يزد على ذلك أيضاً ان التوراة ذكرت ان أولاد اسماعيل سكنوا من

حويلة الى شور التي أمام مصر لمجيثك الى اشور ، وحويلة من بلاد اليمن
مسماة باسم واحد من أولاد يقطان فهمي في جنوب مكة ، انظر (تك ٢ ،
١١ ، ١٠ ، ٢٩) .

(فإن قلت) : قد جاء في صموئيل الأول ١٥ ، ٧ ان شاول ضرب عماليق
من حويلة لمجيثك شور التي مقابل مصر ، وليس لعماليق محل في أرض اليمن ،
ولم تصل حروب شاول الى أرض اليمن بل ان هذا التحديد لا بد أن يكون
واقعا في أرض اسرائيل في شرقي الاردن أو غربيه .

(قلت) : ان منازل أولاد اسماعيل الواقعة من حويلة الى شور
لا يمكن أن تكون واقعة في أرض بني اسرائيل لا في شرق الاردن ولا في
غربيه ، وذلك لوجهين :

(أحدهما) ان من منازل أولاد اسماعيل تيماء ودومة وهما بعيدتان الى
الشرق عن أراضي اسرائيل بعداً شاسعاً .

(وثانيهما) ان التوراة تقول : ان الله وعد ابراهيم وهاجر بأن يبارك
اسماعيل ويشمره ويكثره كثيراً جداً ويولد إثني عشر رئيساً ، ويجعله امة
عظيمة (تك ١٧ ، ٢٠ ، و ٢١ ، ١٨) فلا بد أن يكونوا في زمان موسى أكثر
من المديانيين أولاد مديان بن ابراهيم .

ومن الموابين والعمونيين أولاد لوط ، ومن الادوميين أولاد عيسو
فإن هؤلاء لم يسبق لهم الوعد بالبركة والكثرة كأولاد اسماعيل مع أنهم كانوا
في زمان موسى ألوفاً عديدة ، بل لا بد بمقتضى وعد الله في اسماعيل أن يكون
أولاده في زمان موسى بقدر بني اسرائيل أو أكثر .

وعلى هذا لو كانت منازلهم في الأرض التي استطرقها أو اقتنحها
بنو اسرائيل مع موسى أو يوشع لجرى لهم حاك وشأن كبير مع بني اسرائيل
في حرب أو معارضة أو مصالحة أو مساعدة أو مهادنة أو معاهدة كما جرى

لبنى اسرائيل مع غيرهم ، مع ان التوراة ، وسفر يوشع لم يذكر ان ذلك شيئاً لا تصريحاً ولا تلويحاً ، وهذا السكوت في مثل تاريخ التوراة ، وسفر يشوع يُعد من نحو صراحتها بأن بنى اسماعيل لم يكن لهم منزل فيما استطرقة أو تملكه بنو اسرائيل .

وحينئذ لو سلمنا ان حويلة في سفر صموئيل هي في بلاد بنى اسرائيل أو ما يتاخها لقلنا : انها لا بد أن تكون غير حويلة المذكورة في التوراة ، فإن البلدان قد تتشابه في الأسماء نحو قادش (عد ٢٠ ، ١ و ٢٢ وقادش ، يش ٢٠ ، ٧ و ٢١ ، ٣٢) .

وهذا التطويل كله مماشاة وجدل لمن يتشبث بالتوراة لأوهامه بأن مسكن اسماعيل وأولاده كان في بركة سيدنا أو أرض كنعان أو ما يقاربها وإلا فإن أوضح الحجج التاريخية دالة على ان مسكن اسماعيل هي مكة ، وهو تسالم الأجيال المتسلسلة المتصلة المشتمل كل جيل منها على ألوف عديدة من الناس المختلفين في النسب المتشاجرين في المفاخرات .

ولعل ما أتى إن شاء الله تنمة لهذا المقام عند ذكرنا لنسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما قول المتعرب ان التوراة تقول في موضع ثالث انه - أى اسماعيل - لما مات أبوه أتى فدفنه في مغارة المكفلية .

فيكفي في قع أباطيله بيان ما فيه من التحريف القبيح ، الذي هو العمدة في زبرج الباطل ، وذلك ان لفظ (أتى) التي يمويه بها أمره إنما هي زيادة على التوراة ، فإن لفظها في شأن ابراهيم . وانضم الى قومه ، ودفنه اسحاق واسماعيل ابناه في مغارة المكفلية (تك ٢٥ ، ٨ و ٩) .

(رسالة هود الى عاد ، وصالح الى ثمود ، وشعيب)

(الى مدين . وشؤن هؤلاء)

وقد اقتصر الله جل شأنه في القرآن الكريم شيئاً من أنباء هؤلاء حسبما تقتضيه الموعظة والتذكير (١).

ولكن المتكف والمتعرب لا جل ان توراتهما التي عرفت حالها لم تذكر من ذلك شيئاً تحاملاً بيواعثهما على قدس القرآن الكريم فيما ذكره في شأن هؤلاء .

وحاصل ما عند المتكف في معرفته (يه ٢ ج ص ٤٨ و ٤٩) هو انه لم يرد في كتبه ان هوداً كان نبياً ، وانه ارسل الى قومه وكذلك لم يرد ان قومه هم عاد ، وان الحق الذي لا مرية فيه انه لم يرسل الله بين عصر نوح وبين عصر ابراهيم ، ولم يرد في التوراة ولا في الانجيل ان الله ارسل نبياً اسمه صالح الى ثمود من قبائل العرب ، فان جميع الانبياء والمرسلين كانوا من الامة الاسرائيلية في أرض اليهود .

وغاية ما عند المتعرب (ذ) ص ١ - ١٠ هو محض الهوسات في التكذيب للتورخين ، واستغراب بعض التفاصيل المنقولة عن بعض الناس مما لا يعود شيء منه على جلالة القرآن الكريم .

ومرجع كلام المتكف وأعوذ بالله من وبال بيانه ، هو ان خزانة رحمة الله ولطفه وعدله وهداه وإرادة الصلاح بعباده ، ودعوتهم الى التوحيد والهدى والكمال ، قد كانت محجوراً عليها ، ممنوعة بالقهر من أن يرشح من

(١) سورة الاعراف ٦٣ - ٩٢ ، وهود ٥٢ - ٩٩ ، والشعراء ١٢٣

- ١٩٠ ، والحاقة ٤ - ٩ وغير ذلك .

نذاها شيء على العباد ، أو ان الحرص ضرب عليها اقفالا ختمها بخواتيم
المحابة لبني اسرائيل ورصدها بحراسة الشح ، فبقيت عباد الله هملا فوضى
بلا معارف نبوة ، ولا دعوة توحيد ، ولا نور هدى ، ولا تكميل تعليم
ولا لطف تهذيب ، ولا فيض رحمة ، ولا بركة نعمة ، ولا مدنية أحكام
إلهية ، ولا سياسة شريعة ، يعاقبون بلا حجة ، ويوبخون بلا بيان ويوصفون
بالظلم بلا شريعة تميز الحقوق وتحفظها بالسياسة ، إلى أن ارتفع ذلك الحجر
من نحو خاص وتفصمت تلك الأقفال ، وانصرفت الحراس من جهة واحدة
فانهطل وابل النبوة على اسرائيل وبنيه سحاً بلا ميزان ، ولا رعاية أثر ، ولا
مراعاة حكمة ، ولا دعوة عامة ، ولا بركة شاملة ، ولا هدى فائض ، فلذلك
اتفق لها بمقتضى نقل التوراة الرائجة أمر عجيب قد فاتته الموقفية وجانبته الحكمة
فلم تذكر التوراة في نبوة ابراهيم إلا اوعده بالبركة وكثرة النسل ، وإعطاء
قطعة من الأرض لهم ، وعهد الختان الذي أبطله العهد الجديد ، وتنفيذ أوامر
سارة ، ولم تذكر في نبوة اسحاق إلا الوعد بتكثير نسله وإعطائه قطعة من
الأرض ، ولكنها لم تذكر ان أمره لولده عيسو أن يصنع له طعاماً كما يجب
ليأكل ويبارك عيسو قبل أن يموت .

وان اشتباهه بمخادعة يعقوب إذ باركه بعد ما أكل وشرب خمراً ، هل
كان هذا كله بوحى ونبوة أم لا ؟ نعم ذكرت ان يعقوب اختلس بركة
النبوة وعهداً بالمخادعة والتزوير ، واحكم أمرها بالمضارعة والجهاد مع
الله تعالى شأنه .

والحاصل لم تذكر التوراة في نبوة هؤلاء الأنبياء ولا الذين من قبلهم
كتاب هدى ورحمة ، أو نبوة بالدعوة الى التوحيد والكمال ، أو بتمهيد شريعة
أدبية ، أو تأسيس قوانين مدنية وإصلاح للإجماع .

نعم ذكرت ان في أيام شيث ابتداء ان يدعى باسم الرب ، ولكنها لم

تذكر من الداعي؟ ولمن ادعى؟ وبماذا ادعى؟ وكيف ادعى؟ .
ثم بعد ذلك اندفعت النبوة بابهة رسالتها ورياستها الكبرى على موسى فلم تعد التوراة ان ذكرت انه رد هذه الرسالة بلسان غير لين ولا مؤدب ولم يلتفت الى حجة الله ووعدته بالتأييد ، بل كرر الرد بلسان خشن حتى حى عليه غضب الله .

ثم تحكم على الله بالغفران لعبدة العجل ، أو يمحوه من كتابه ، ووصف الله بالإساءة الى الشعب وإلى عبده ، وشك في قدرة الله على إشباع بني اسرائيل من اللحم كالمستهمز بوعده الله ، وذكرت المزامير انه فرط بشفتيه .
هذا كله ولم تسمح هذه الرسالة أن ترشح من بركتها قطرة واحدة على فرعون وقومه بالدعوة الى الإيمان بالله وتوحيده ، فلم تذكر التوراة ان موسى دعاهم الى الإيمان والتوحيد ولا بكلمة واحدة ، حتى كأن سكوته عن ذلك كان إمضاء لما عليه فرعون وقومه .

وغاية فائدة تلك الرسالة وبركة عاقبتها هو أن يطلق فرعون بني اسرائيل الذين كانت عاقبتهم بعد ما رأوا الآيات ان عبدوا العجل وزنوا بينات مواب الى آخر ما ذكرناه في المقدمة الخامسة من ارتداداتهم .

ومن أجل هذا قال المتكلم (يه ٢ ج ص ٦١) ما حاصله ان الله لم يرسل موسى ليدعو فرعون وقومه الى ديانته ولا ليلفتهم عن شركهم .

واسان الحال من عقيدة البروتستانت المذكورة في كتاب صلاتهم يقول ما الحاجة الى إزعاج فرعون وقومه عن شركهم وظلمهم وفسادهم ، وعمما قليل (واستغفر الله) سينزل المسيح الى الجحيم وينجي أرواحهم منها .

ومقتضى التوراة الراجعة ان موسى جاء بكتاب اشتمل على سيرة لم تعنون بالموعظة ولم تزين بسياق التذكير ، بل اشتملت في تاريخها على الفضائح لعائلات الأنبياء والأولياء .

ولم يعلن ذلك الكتاب بعموم الدعوة ، وسعة الرحمة ، وفيض الهدى وشمول الشريعة والإصلاح ، بل خص بني اسرائيل بدعوة التوحيد والشريعة وأحكام أراضيمهم ، وسلطهم على قتل الامم حتى النساء والأطفال بلا علة سوى استلاب أراضيمهم وإزعاجهم عن أوطانهم من دون أن يربط ذلك بالدعوة الى الهدى والتوحيد وعدل الشريعة وآدابها ، فلم يذكر وقوع شيء من ذلك لا وحيًا ولا عملاً ، ولم يتعرض له ولم يتوعد على مخالفة الشريعة والتوحيد إلا بنحو المرض والفقر ، ولم يجعل الثواب إلا بنحو كثرة الخنطة والخمر ، وغادر أمر الثواب والعقاب في الآخرة نسيًا منسيًا ، بل لم يتعرض لذكر المعاد والقيامة أصلاً ورأساً لا تصريحاً ولا تلويحاً ، وجعل سيطرة الشريعة وامامتها الى هارون ، وذكر ان الله كلمه مع موسى ومنفرداً .

ثم ذكر ان هارون صنع العجل إلهاً يعبده بنو اسرائيل ، وبني مذبحاً أمامه ونادى لعبادته .

ثم سألت النبوة على النساء والرجال ، وإلى آخرها لم تذكر كتب العهد القديم عن الأنبياء والنبيات دعوة عامة ، أو إشارة الى هدى لعموم الناس بل ذكر في النبوة انها تقوم بضرب الدف والعود والناى والرباب ، وبالتعري والإضطجاع ، ويكون تبليغها بأنواع الخلاعات والتجانن ، والفتش في الانذار والوعيد بألفاظ الزنا ، وكشف العورة والهتك مما لا نسمعه إلا من تهديد المتهتكين .

هذا كله وسلعة النبوة المبدولة باثرة في سوق بني اسرائيل ، وإن زاد عدد الأنبياء في الزمان الواحد على المائة ، بل كان النفوذ والاثر الراجح لضلال الوثنية وطمغيان الفساد الذين يتقلب بهما ابن لله البكر بنو اسرائيل حتى جرى ذلك النفوذ بنقل كتبهم على اعيان الأنبياء ، كما قرئت به قدس هارون وداود وسليمان عليهم السلام .

ثم أفضت نوبة النبوة الى المسيح فقرفت الاناجيل قدسه بما نختشم تكراره ، وذكرت انه لم يسعده الامهال إلا ثلاث سنين على تستر وخوف في تعليمه اليسير .

ولكن بعد ذلك انحل وكاء النبوة والرسالة فمطلت على التلاميذ الذين عرفت حالهم في أواخر المقدمة الخامسة ، وعلى اتباعهم بحيث يتنبأ بنوهم وبناتهم ، وذكر كتابهم ان أربع عذارى في بيت واحد كن نبيات ، (١٠ ع ٢١ ، ٩) .

هذا وقد فوض للتلاميذ أن يمحو رسوم الشريعة ، ونادت كتبهم بالفداء والخلص ، ولم تفتح باب الرسالة العامة ، ولم يرتفع عنها الحجر حتى للمسيح إلا للتلاميذ ، ولكنها تقول : انها كانت بالدعوة الى التثليث لا إلى التوحيد ، ثم عادت النبوة والرسالة الى حجرها الأول ، وسد بابها واحكام رتاجها .

فلسان حال المتكلف والمتعرب وفخوى مقالها يقولان ، إذا فكيف يسوغ الله أن يرسل رسولا الى غير بني اسرائيل من غير بني اسرائيل بغير الشريعة المعروفة في العهد القديم ، وغير اوعده والوعيد المذكورين فيه ، أو بغير الفداء المذكور في العهد الجديد ، وكما يذكر في خلاف ذلك فهو من الخرافات ، فكيف يبعث الله رسلا الى عاد وثمود وأهل مدين ليأمرهم بعبادة الله وتوحيده وتقواه وطاعة أمر الرسول ، واطراح عبادة الأوثان والفساد في الأرض ؟ أم كيف تصدر من موسى دعوة فرعون وقومه الى الإيمان والهدى والصلاح ؟ أم كيف يكون من آل فرعون مؤمن ينصح قومه وينذرهم بيوم القيامة ويعظمهم بهلاك من قبلهم ويقول (١) : (يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين

من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم).

وكيف يكون ذلك والتوراة لم تذكر يوم القيامة ولم تتوعد به ، وإن ذكرت القيامة في العهد الجديد ، فباحتجاج واهن فاسد أو وعد مكذوب (١) فكل ما يذكر من النبوات في غير الكذب على فرعون ومخادعته بإطلاق بني اسرائيل ليذهبوا سفر ثلاثة أيام ، مع ان الغرض والوعد هو التوجه الى أرض كنعان ، وغير استلاب الأرض من الكنعانيين وقتلهم وقتل أطفالهم ونسائهم وبهائمهم ، وغير الشريعة لخصوص بني اسرائيل ، وغير وعيدهم بالمرض والفقر وتسلط الأجنبي على وطىء زوجة الرجل ، وغير وعدمهم بالخنطة والخنز ، وغير محو الشريعة بالفداء فهو من الخرافات العجائزية ، بل ان تاريخ العالم كله محصور في العهدين ، وإن استولى على كتبهما التطويل الممل بالفضول الفارغة ، وتسجيل الفضائح . . . وما عدا ذلك فتاريخ أهل الهند والصين خرافة ، وتاريخ العرب خرافة ، وتاريخ اليهود خرافة ، وتاريخ قدماء المسيحيين خرافة .

وخلاصة الأمر ان كل ما وافق القرآن فهو خرافة .

نعم رؤيا يوحنا حقيقة نورانية الثالث والرابع من رسالة يوحنا الاولى حقيقة وتعليم هدى ومعرفة وتوحيد ، الرسائل المنسوبة الى بولس لا يوجد فيها غير الصدق والتوحيد والتكميل بالشريعة ، خامس عشر الأعمال وحى وتقوى وورع وحفظ للشريعة وتمجيد لشريعة موسى وشدة في حفظ أوامر الله ونواهيه ، عاشر الأعمال وحى صادق لا يكذب الشريعة السابعة (يو ١٣ ، ٢٢ - ٢٦) عفة ووقار وبيان لمراتب المحبة ورأفة بالتلميذ الشاب (يو ١٠ ، ٣٣ - ٣٧) توحيد وإيمان وفهم للكتب (لو ٧ ، ٣٦ - ٥٠) هو روح للعفة

(١) انظر الجزء الأول صحيفة ٢٠٣ و ٢٠٤ وصحيفة ٥٤ و ٥٥ .

ورفع الحشمة التائبات وثبتت لعلاقة التوبة بينهن وبين القديسين بطمارة القلب وعفة الضمير .

الإحتجاج بالقيامة وعدم الزواج فيها (لو ٢٠ ، ٣٤ - ٣٨) والإحتجاج للنع من الطلاق (مت ١٩ ، ٣ - ١٠) من حجج الوحي القاطعة الباءة هر (١) هو (١ - ٣ و خر ١٦ و ٢٣ و اش ٣ ، ١٦ - ٢٥ و ار ١٣ ، ٢٢ - ٢٧ و نا ٣ ، ٤ - ٦) كله وحى لائق بجلال الله وشرف الأنبياء والتعليم بالوقار والحشمة وصون اللسان عن الخنا والفحش (٢ صم ١١) تمجيد للنبي وتويه بعفته وأمانته وحكمة الله وعلمه في إعطائه النبوة وحكمة الله وعدله في كيفية عقابه ، أقوال أيوب تقوى وتسليم لأمر الله وتمجيد له بعدله ومعرفة للإنسان بقدر نفسه (١ مل ٢٢ ، ١٩ - ٢٤ و ٢ اى ١٨ ، ١٦ - ٢٣ و ار ٤ ، ١٠) كله معرفة الله بجلال الله وعظمته وتقديس وتسييح له جل شأنه (قض ١١ - ١٧) نور وهدى وحكم واحكام (لا ١٣ و ١٤) حكمة بالغة وآيات باهرة وشفاء ناجح تشهد به التجربة وتأتأ كد به الحججة (خر ٤ ، ٢٤ - ٢٧ و تك ٦ ، ٦ و ١١ ، ٥ - ٨) كله علم من الله وقدرة وحكمة ووفاء بالعهد (٢ صم ١٣ و تك ١٩ و ٣٨) تمجيد للمؤمنين بعفتهم وطهارة نفوسهم ونجاة عوائلهم وهو اليدهم (تك ٢٧) من الحقائق الموضحة لحكمة الله وعلمه في اختياره والمبينة لمقدار علم الانبياء وأهليتهم للإيمان على أعمال الله .

وقال المتكف (به ٢ ج ص ٤٨) لم يصرح القرآن بالرجس الذى انزل على قوم هود ولو كان شيئاً حقيقياً له وجود لصرح به .

قلت : لا ألوم المتكف على جملة بالقرآن بعد ما وجدناه من جملة الفاحش بكتبه ، فلا غرو إذا لم يعلم من القرآن الكريم بيانه المكرر في ان ذلك الرجس هو الريح المهلكة ، ويكفى منه قول الله تعالى شأنه في سورة الحاقة

(١) انظر الجزء الاول صحيفة ١٩٩ - ٢٠٤ .

المكية ٦ : (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ٧ سخرها سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) .

ثم اعلم ان المتعرب حاول أن يكذب ما ذكره المؤرخون في شأن شداد ابن عاد بتمويهه لا يمس بتزويره قدس القرآن الكريم ، وانا وإن كنا لا يعيننا ما يقوله في التاريخ واخبار الآحاد ، ولكن لا بأس ببيان جهالات المتعرب في اعتراضه ، فقد اعترض على المؤرخين إذ قالوا : ان عاداً من ذرية ارم بن سام ، وانه متقدم على اسماعيل .

وان ابنه شداداً عزم على بناء إرم وهو ابن تسعمائة سنة وأقام في بنائها ثلاثمائة سنة ، فيكون شداد عمر ألفاً ومئتي سنة .

وحاصل اعتراضه على ذلك بأنه يلزم أن يكون شداد مات بعد الطوفان بنحو ألف وثلاثمائة سنة .

والتوراة العبرانية يعلم منها ان اسماعيل مات بعد الطوفان بخمسمائة وعشرين سنة ، وبحسب النسخة السبعينية يكون بين الطوفان وموت اسماعيل ألف ومائتان وخمسون سنة ، فلا بد أن يكون موت شداد بعد موت اسماعيل .

قلت : اما (أولاً) فإن المؤرخين لا يلتزمون بأن موت شداد وهلاك قومه متقدمان على موت اسماعيل ، بل مقتضى ذكرهم ان (قيل) ابن عثر و (مرثد) ابن سعد توجهوا الى البيت الحرام في مكة ليطلبوا من الله الفرج ، هو ان هلاك شداد وعاد كان بعد ما بنى ابراهيم واسماعيل البيت بمدة ، فإن من مسلمات معلوماتهم هو ان البيت الحرام إنما بناه اسماعيل وأبوه ابراهيم فيكون هلاك عاد في المدة التي بين بناء البيت في أيام اسماعيل وبين دعوة موسى لفرعون ولا مانع من أن يكون هلاك شداد وقومه بعد موت اسماعيل ، ولئن قال المؤرخون : ان شداد متقدم على اسماعيل في الولادة فلا مانع منه ، بل ان طبقات المواليد تقتضيه .

وأما (ثانياً) فإن الإعتراض على تقويم المؤرخين بتقويم التوراة الرائجة إنما هو من ورطات الغرور ، فإن المؤرخين أتقن من أن يعتمدوا على كتاب تلاعبت به الأيام ما شئت ، وهتكت الحواشي من ستر أغلاطه ما هتكت ، وسجل عليه بالإفتضاح تنازع نسخه المتعادلة في الإعتبار الإدعائي وعدمه الحقيقي ويا حبذا لو سلم من ذلك من زمان حلقياً فما بعد ، فكيف إذا لا يقبح الإعتراض به ، سيما إذا كان الإعتراض بنسخة من نسخه .

وأما (ثالثاً) فإن المتعرب لم يكتف بسخافة كتبه حتى صار يقول عليها ولا يفهم ما فيها ولا يدري به ، فلم يشعر أن تقويم التوراة العبرانية وتاريخ العهد الجديد يقتضيان أن يكون بين الطوفان وبين موت اسماعيل خمسمائة وخمس وسبعون سنة لا خمسمائة وعشر سنين ، وذلك لأن من الطوفان الى مولد تارح أبي ابراهيم بحسب النسخة العبرانية مائتان واثنان وعشرون سنة ، وعاش تارح مائتين وخمس سنين ، ومات في حاران (تك ١١ ، ١٠ - ٣٢) ، وباعتبار ان ابراهيم خرج من حاران وهو ابن خمس وسبعين سنة (تك ١٢ ، ٤) وانه خرج بعد ما مات أبوه (١٠ ع ٧ ، ٤) فلا تكون ولادة ابراهيم قبل أن يمضي من عمر أبيه تارح مائة وثلاثون سنة ، فيكون من الطوفان الى مولد ابراهيم على الأقل ثلاثمائة واثنان وخمسون سنة ، فإذا اضيف اليها من مولد ابراهيم الى مولد اسماعيل ست وثمانون سنة ، وعمر اسماعيل وهو مائة وسبع وثلاثون سنة (تك ١٦ ، ٦ ، ٢٥ ، ١٧) كان المجموع خمسمائة وخمسا وسبعين سنة ، هذا مع ان المتعرب لا يساعده على دعواه تاريخ من التواريخ حتى تاريخ يوسفوس المتعبد بتقويم التوراة .

وأيضاً مقتضى النسخة السبعينية ان المدة من الطوفان الى مولد تارح تسعمائة وستان ، فبمقتضى التقويم الذي ذكرناه من مولد تارح الى وفاة اسماعيل تكون المدة من الطوفان الى وفاة اسماعيل ألفاً ومائتين وخمسا وخمسين ،

فالمتعرب غلط في التقويم الاوّل بخمس وستين سنة ، وفي التقويم الثاني بخمس سنين ، فزاد على نسخ كتبه في الغلط نسختين أيضاً ، وهو بكتبه المتقلبة وجهله بها وغلطه في الحساب يحاول أن يعترض على المؤرخين ، فتعساً للغرور . وقال الله تعالى في سورة الفجر ه : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ٦ إرم ذات العباد ٧ التي لم يخلق مثلها في البلاد) .

ولا يمكن لعاقل أن يستبعد ذلك ، فانه لا بد في كل زمان من أن تكون فيه بلدة هي خير بلاده ، فلا بد أن تكون من جميع البلاد بلدة هي خير بلاد الدنيا في جميع الأزمان .

فما ظنك ببلدة تصدى للتأنيق بينائها ملك عات مقتدر ساعده على ذلك طول العمر وكثرة المعادن وبكارتها ، فلا غرو إذا جاءت خير بلاد الدنيا الى وقتها أو مطلقاً .

وأما ما جاء عن بعض الناس في وصفها فليس على عهدة القرآن منه شيء ، ولا يقول المسلمون : ان شداداً نفسه تنبأ في وصف الجنة كما تنبأ (قيافا) في أمره بقتل المسيح (يو ١١ ، ٤٩ - ٥٢) بل يقولون : ان شداداً سمع من أنبياء عصره الذين يدعون الى التوحيد والخير والصلاح بوعد الله بنعيم الجنة وكبير شأنها لا بالحنطة والخمر ، ويحذرون بوعد الله بعذاب الدنيا والآخرة لا بمحض الفقر والمرض ووطأ الأجانب لزوجة العاصي .

وان المسلمين لا يشطون على الله ويحصرون النبوة بقبيلة بني اسرائيل ومريم ، ودبورة ، وخلدة ، وحنة ، وأربع بنات فيلبس ، وبلبهم وبناتهم . وبهذا تعرف غلط المتعرب (ذ) ص ٤ - ٦ ، وزاد المتعرب في الغلط حيث أنكر قصة ثمود وهلاكهم متشبهاً بأن (بتر) هي منازل ثمود وقد كانت غامرة في القرن الثاني بعد الميلاد .

فقبحاً لغرور الجهل ، أفلا يعلم كل عاقل اننا ان سلنا ان منازل ثمود

الذين ذكروهم القرآن هي بئرا لقلنا : ان القرآن يبين انهم هلكوا قبل دعوة موسى لفرعون (١) فأقل ما يكون بينهم وبين الميلاد ما يزيد على ألف وخمسمائة سنة ، وكل ذى شعور يعلم انه يمكن للبلاد أن تخرب ويهلك جل أهلها ، ثم تعمر بعد ألف وخمسمائة سنة .

ولو سلمنا ان الذين كانوا في بئرا بعد الميلاد يدعون ثمود لجوزنا أن يكونوا بقية ثمود الاولى من نسل الذين نجوا مع صالح (٢) ، أو ان الناس نحلوه اسم ثمود كما جاء في التوراة (٣) الايمون يحسبون رفائين لكن الموايين يدعونهم ايميين .

وأما انكار المتكلف والمتعرب على وصف اخبار المسلمين الاحادية لناقة صالح فهو من الشطط ، لأن الله قادر على أن يخلق ناقة هي أعظم من النوق المعتادة لكي تكون آية لإقتراح العرب الذين ألفوا حقيقة الإبل وأحوالها ، ولذا خصوها بالإقتراح لكون أمرها في نظرهم أبعد عن السحر ، فخلقها الله بقدرته ، كما هو قادر على أن يخلق عنقوداً عنب يحمل بالدقرانه بين رجلين (عد ١٣ ، ٢٣) ، وعلى أن يعطى شمشون قوة يقتل بها ألف رجل بلحى حمار ، ويقلع بيتاً على سطحه ثلاثة آلاف رجل يجذب العمودين من تحته (قض ١٥ ، ١٥ و ١٦ ، ٢٧ - ٣١) وعلى أن يفتح القبور عند حادثة الصليب ويقم كثير من أجساد القديسين الراقدين فخرجوا من القبور ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين (مت ٢٧ ، ٥١ - ٥٤) ، وعلى أن يعطى بطرس قوة الشفاء للمرضى والمعذبين من الأرواح النجسة ، ولو بأن يخيم ولو ظله على واحد منهم (١)

(١) سورة المؤمن ٣١ و ٣٢ .

(٢) سورة هود ٢٩ ، والنمل ٥٤ .

(٣) تث ١٠ ، ٢ و ١١ .

ع ٥ ، ١٥ و ١٦) ، وعلى أن يصنع على يدي بولس قواة غير المعتادة حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر فتزول بها الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة (ع ١٠ ، ١٩ ، ١١ و ١٢) .

* * *

(وأما سورة يوسف في القرآن الكريم وقصته فيها من الآية ٤ - ١٠٣)

فقد اعترض المتكلف (يه ٢ ج ٦٨ - ٨١) على مضامينها (تارة) بعدم وجود بعضها في توراته ، (وتارة) بمخالفة بعضها لتوراته ، (وتارة) بمخالفة بعضها للإعتبار أو المعقول بزعمه ، (وتارة) يفترى على بعضها فيعترض عليه بأحد الوجوه الثلاثة ، فانظر كتابه في هذا المقام .

فنقول : (اما أولاً) فانا لو كابرنا او جدان والشواهد القطعية وفرضنا صحة التوراة الرائجة لقلنا ان ممارستها والنظر في شؤون الحقائق يشهدان بأنها تعرض في تاريخها عن ذكر كثير من الحقائق اللازمة الوقوع ، وتطوى في قصصها أشياء كثيرة لا ينبغي أن تطويها بمقتضى وضعها ، كما يظهر ذلك من سيرة ما بين الطوفان وزمان ابراهيم وإهمالها كثيراً من شؤون ذلك وتاريخ انقلاب التوحيد الذي صفاه الطوفان الى اوثنية ، وعناء الموحدين في الردع عنها ، واعتبر حالها أيضاً في تكرارها في سفر العدد (١٢ - ٣٤) وسفر التثنية (١ - ١٢) لذكر مراحل بني اسرائيل ومنازلهم وشؤونهم فيها ، فإنها في كل مقام يظهر عليها انها طوت في المقام الآخر ذكر شيء أو أشياء ، وانتظر ما سنذكره مما طوت ذكره في شأن موسى مع فرعون .

واعتبر أيضاً بأنها قد طوت في خصوص المقام مكالمات يوسف مع اخوته واسترحامهم لما عزموا على قتله وإلقائه في البئر وهو أمر لا بد من وقوعه ، كما أشرنا اليه في الجزء الأول صحيفة ٣٤٨ .

وأهملت أيضاً تعيين الزمان الذي بقي فيه يوسف في السجن ، بل أهملت

الإشارة إليه ، مع انها نصت في هذه القصة على تعيين كثير من الازمنة .
فلا غرو إذا ذكر القرآن الكريم شيئاً قد أهملت التوراة ذكره لكي
تكمل الفائدة من كلا الوحيين مثلاً .

ولكن أين وأين غرض المتكلف ومعرفته وأمانته من التدبر في هذه
الامور ، أفأمل منه لا أجل هذا أن يتورع ويقف عن مثل قوله (غاطط)
متشبهاً بأن التوراة لم تذكر ذلك (كلا) .

(وأما ثانياً) فإن مخالفة القرآن الكريم للتوراة الرائجة إن لم تكن من
امارات الحق فلا تورد على الحقيقة شكاً ، وذلك لأن العقل إذا نظر بعين
الإعتبار والإستقصاء الى ما أشرنا اليه في التصدير وغيره من قلق التوراة في
أدوارها وتقلبها في شؤونها ، ومكافحة متبعميها لها بالتخليط والرد ، فانه يقرب الى
الظن فضلاً عن العلم ان كل مضمون من مضامينها لا بد من أن يكون قد طره
عليه المسخ والتبديل الكلي أو الجزئي مراراً عديدة خصوصاً إذا كان المضمون
قصة طويلة الذيل ، فلا يعتبرها العقل كتاب تاريخ يساوي سائر التواريخ حتى
بالنسبة الى (حلقياً) أو غيره ، فانظر أقلاً الى الجزء الأول صحيفة ٢٢ - ٣٠ ،
و ٣٥ - ٣٩ ، و ٣٢٥ - ٣٢٧) ، وانظر الى التصدير في هذا الجزء ، فلا يسمح
لها العقل بأن تقف في صف كتب التواريخ التي لم يعلم بوقوع التقاب والمسوخ
في مکتوبها وجهالة نسبتها .

ودع عنك أمر الإعتداد على الكاتب ، وانه هل هو من أهل الخبرة
بالتاريخ والأمانة في النقل والضبط في الحفظ ، هذا إذا اغضى العقل عما فيها
من الخرافات التي تؤل الى الكفر ، وما قرفت به يعقوب وموسى وهارون
كما تقدم مراراً ، وإلا فانه يقول ويقول .

وليس في قوله تعالى في هذه السورة (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) دلالة على
ان القرآن الكريم في هذه القصة ترجمة لما في التوراة الرائجة ، كيف وهو

جل شأنه يقول : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك) ، فإن هذا صريح في ان قصة يوسف إنما هي بوحى ابتدائي .

دع هذا وإن كان لا يمكن أن تدعه ، ولكن لو كان القرآن الكريم ترجمة لما ذكرته التوراة الرائجة لكانت مخالفته لها استدراكاً عليها فيما غلط به كتابها وآبائها المتعددون أو سقط منهم ، كما استدركت الترجمة السبعينية والعهد الجديد والحواشي والتراجم عليها أشياء كثيرة من نحو الغلط والسقط ، أو ليست التوراة الرائجة وصلت بالطريق الذي وصل به العهد القديم ، ومع أنه أقرب منها عهداً وأقل منها إباءاً وابتلاء بالحوادث والكوارث ، فإنه قد استدركت عليه الحواشي كثيراً من الكلمات المكتوبة فقالت : إنها لا تقرأ وأوجبت قراءة كثير من الكلمات التي لم تكتب ، فراجع التصدير ، هذا مضافاً الى خلال التوراة الرائجة فيما يتعلق بقصة يوسف في الذين اشتروه وباعوه في مصر لفوطيفار ، فتارة جعلتهم اسماعيليين ، وتارة جعلتهم مديانيين وتارة جعلتهم مديانيين . . .

(وأما ثالثاً) فقد اعترض على مضمون القرآن الكريم في ان زوج المرأة التي راودت يوسف اطمأن ببرائته وأمر المرأة بالإستغفار وأبقاها في بيته وأبقى يوسف الى أن بدا لهم أن يسجنوه .

فقال ص ٧١ من الغرائب تبرئة فوطيفار ليوسف وتوبيخ امرأته فإنه لا يتصور ان الرجل يثبت على امرأته الفسق والخيانة ومع ذلك يقتلها في بيته أو يستمر على اقتناء العبد ليكون احبولة لإمرأته الشريرة ، ولا يتصور انه يسجنه بعد ظهور برائته .

أقول : أما إبقاء المرأة في بيته مع ظنه أو علمه بخيانتها ، فلا غرابة فيه ، فإن أحوال الوقت والمكان والعوائد والاشخاص وبعض العوارض قد تقتضي ذلك . . .

ولا أقول أكثر من هذا ، وأما إبقاء يوسف في بيته فهو أقرب الى الإعتبار حيث اطمأن بصيافته وعفته وأمانته لقيام الآيات والشهادة على ذلك فإن مثل هذه المرأة لا ينبغي أن يكون في بيتها غير هذا الصديق الأمين .
وأما سجن يوسف فإنما كان من استبداد من لم يطمئن ببرائة يوسف ، أو اطمئن ، ولكنه أراد أن يحابي المرأة المصرية الشريفة فيموه الأمر ، ويزور الخيانة على يوسف الغريب ، ويسجلها بالسجن لكي تشيع بين الناس براءة المرأة .

وهذا قريب من كيد الحكومات الوثنية الجوربة القديمة في معاملتها مع أعيان الوطن وضعفاء الغرباء ، ولم يقل القرآن ان الذي سجنه هو زوج المرأة ، بل قال : (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) ، ولو نسبته الى زوج المرأة لكان من الجائر أن يقصد به محاباة المرأة بالستر عليها ، كما قدمنا .

واعترض أيضاً على مضمون القرآن الكريم في انها دعت لاثماتها من نسوة في المدينة وآتت كل واحدة منهن سكيناً فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن فقالت : هذا الذي لمتني فيه ، واعترفت بأنها راودته فاستمهم .

فقال (ص ٧٢) : هذا لا يتصور عقلاً ، فلا يتصور أن تفضح نفسها ، ولا يتصور عاقل ، ولا جاهل ان النساء يقطعن أيديهن ولا يشعرن لدهشتهم من جمال يوسف .

وأقول : ان سورة العشق وخلاعة الغرام تبعث على أكثر من هذا ولم يقل القرآن ان تلك النسوة من أشرف المدينة ، بل قال نسوة في المدينة ولعلمن صويحباتها في طاعة الصباية والشهوة ، وكان لومهن لها إنما هو لأنها لم تكشف سترها ونفس سرها لأبناء جنسها من الأعيان الذين يغازلونها إذا تغازلهم ، بل تعرضت لغلام وضيع لا يواتيها على مرامها ، وأصرت على

ذلك حتى فضحها بقوله هي التي راودتني عن نفسي ، فإن الناس لا يمتنع عليهم أن يصدقوا يوسف فضلاً عن شهادة الآيات ، ولعل ما يشير الى ذلك قوله تعالى (فلما سمعت بمكرهن) إذ سمي لومهن على الفحشاء مكرأ ، أى ليس بلوم على الفحشاء في الحقيقة وإنما هو لوم على عدم سلوكها في الفحشاء بالنحو المألوف ، فأبدت لأرباب الهوى عذرها المقبول عندهم في الغرام ويشهد لذلك ما داخلهن عند رؤية يوسف إذ تنبتهت صبايتهن المألوفة ، وحركتهن ممارسة المغازلة ، وان عملها معهن ليدل على معرفتها بحالهن ، وانهن ممن يلي دعوة العشق ويستخفه الغرام .

ومن ذلك يظهر انهن لا يمتنع عليهن في دين الغرام وناموس الشغف أن يقطعن أيديهن ، ولا سيما إذا كانت سقمتن من نتاج الكرامة ، ولا سيما إذا حسبن اعراضه دلالة ، وعفته تغنجاً ، وخيل لهن ان اغضاه من فتنة الحاظه واسراعه من ترنيح الشباب لا عطافه ، فشبت بجوانحن نيران الوجد ، إذ لم يقبل توبتهن على يده فيقبلن قدميه ، ويبللنهما بدماعهن ، ويمسحنهما بشعور رؤسهن . . .

وأما اعترافها ببرائة يوسف بعد ذلك فقد تقتضيه التوبة وتبرئة البريء وتخليصه من الظلم ، بل قد تقتضيه رافة العاشق بالمعشوق بعد أن خمدت نار الغضب فشبت نار الغرام وأقلق الشوق الوساد ونبضت أعلاق المحبة (ان الغرام لا أهله فضاح) .

فلا يتوجه استبعاد المتكف لذلك ص ٩٦ ، فانا نرى كثيراً من الناس قد جعلوا عرضهم وشرفهم فداء لغرضهم الصحيح أو الفاسد ، ومن ذلك اعتراف الحاططات أمام القديسين ، ومن هذا النحو اعترض المتكف على قوله تعالى في اخوة يوسف : (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أئينا منا ونحن عصبية إن أبانا لفي ضلال مبين) .

فجعل ص ٦٩ هذا النقل عنهم افتراء عليهم .

مع ان التوراة تصرح بانهم لما رأوا أباه يحبه أكثر من جميع اخوته أبغضوه ، ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام (تك ٣٧ ، ٤) ، أفنقول انهم مع ذلك لا ينقدح في أنفسهم شيء على أبيهم ولا يتفوهون به ، أم يقول المتكف انهم أروع من ذلك ؟

إذا فلماذا أقدم أكثرهم على قتل أخيهم وحبيب أبيهم ، وباعوه يبيع العبيد وأقروا قلب أبيه وكذبوا عليه (تك ٣٧ ، ٢٧ ، ٣٦) ، أم يقول ان روايين ويهوذا قد تورعا عن قتل أخيهم ، فهما أروع من أن يتكلموا على أبيهم لكي تشهد له التوراة على ورعها (تك ٣٥ ، ٢٢ ، ٣٨ ، ١٣ - ١٩) .

ومن هذا النحو اعتراضه على مضمون القرآن بأن يعقوب انفتحت عيناه إذ ألقوا على وجهه قميص يوسف .

حيث قال ص ٨١ فمسألة القميص المذكورة في القرآن هي خرافية .

قلت ، وكيف إذا يعد المتكف من كلام الله السميع العليم قول كتابه ان بولس كان يؤتى عن بدنه بمناديل ومازر الى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة (١٩ ع ١٢) .

فلماذا يكون هذا ممكناً معقولا وتكون كرامة الله ليعقوب ويوسف في أمر القميص خرافية ، وهل التفرقة بينهما إلا من الظلم الفاحش ، فهل كان الاقنوم المتجسد فادياً ومتمحلاً حتى لقصاص هذه الخطيئة ، أم يقول المتكف ان كرامة القميص وأمثالها لم تكن ممكنة قبل التجسد .

وأما بعد فضيلة التجسد ومجد الإضطهاد والصلب ، فقد انبثقت القدرة على إعطاء بولس ما تقدم ذكره ، وإعطاء بطرس شفاء المرضى ، ولو بأن يخيم ظله على أحد منهم (١٥ ع ٥) ، وشفاء المفلوج ، وإحياء الميت (١٥ ع ٩ - ٤٢) .

(وأما رابعاً) فان المتكف من رسوخ إيمانه وامتلأته من روح القدس صار يفترى على القرآن ثم يعترض عليه .

فقال ص ٦٩ ان القرآن يقول : ان الذى اشترى يوسف من مصر اتخذه ولداً ، والحقيقة هي انه كان عبداً غريب الجنس .

قلت يعنى بذلك قول الله تعالى ٢١ : (وقال الذى اشتراه من مصر لإمرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) ، فهل ترى فى ذلك اخباراً بأنه اتخذه ولداً وتبناه ، أم بأنه يترجى فى المستقبل أحد أمرين اما أن ينفعه نفع العبيد فى العمل أو يضافيهم صفاء الأولاد فيتخذه ولداً .
وقال الله تعالى : (ولقد هممت به وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) .

فقال المتكف ص ٧٠ وهم بها أى قصد مخالطتها ، لو لا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لو لا أن رأى برهان ربه لخالطها ، ثم اعترض على القرآن فى آخر الصفحة .

قلت : قد قدمنا لك فى الجزء الأول صحيفة ٨٣ ان قوله تعالى هم بها معلق على ما بعده أى ولو لا أن رأى برهان ربه لهم بها .

وأما قول المتكف (لو لا رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لو لا أن برهان ربه لخالطها) فهو قول باطل مردود بلفظ الآية الشريفة ومعناها اما باللفظ فلأنه لو كان المراد كما يدعيه لجمء بالواو ، وقيل ولو لا أن رأى برهان ربه ، وأما بالمعنى فلأن العزم على الزنا بذات الزوج المحصن من أسوأ السوء وقد قال الله تعالى فى الآية : (لنصرف عنه السوء والفحشاء) .

وقال الله تعالى : (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) - أى اكثرن جروحها - فصارت بالجروح قطعاً .

فقال المتكف ص ٧٢ ولكن دعواه - أى القرآن - ان البعض قتلن

أنفسهن ولم يشعرن ، وهو من الأقوال الوهمية والخرافات المستحيلة .
قلت : ولا أدري ان هذه الأمانة من المتكف في النقل عن القرآن هل
هي من طهارة ذاته وغسله بدم المسيح ، وامتلائه بالنعمة ، أو من شربه دم
المسيح ، وإلا فمتى قال القرآن ان بعض النسوة قتلن أنفسهن .

وقال الله تعالى في طرد القصة ٥٣ و ٥٤ : (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب
وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما
رحم ربي) ، قيل : ان هاتين الآيتين حكاية عن امرأة العزيز وهما مرتبطتان
بقوله تعالى ٥١ في الحكاية عنها : (وانه لمن الصادقين) ، - أي ليعلم يوسف انها
وان اتهمته في حضرته ولكنها لا تخونه بالغيب فتبتهته وتبرأ نفسها ، وقيل :
انها حكاية لقول يوسف وهما مرتبطتان بقوله تعالى ٥٠ : (بكيدهن عليهم)
ذلك أي طلبه سؤال النسوة لكي يتضح الحق ، ويعلم العزيز اني لم أخنه
بالغيب في امرأته .

ثم تواضع لله على سنة الأولياء العارفين بالله ومواقع نعمه عليهم ،
فقال : (وما أبرء نفسي) - أي لا اذكيها - ، وأقول ، اني تجنبت الخيانة
وتعففت عن السوء والفحشاء لذات نفسي وطبيعتي البشرية ، بل إنما كان ذلك
برحمة الله وعصمته (إن النفس لأمارة بالسوء) باعثة بشهوتها (على الفحشاء
إلا ما رحم ربي) وأيدها بالعناية والعصمة .

وقال المتكف ص ٧٧ : وكتاب الله يعلمنا انه - أي يوسف -
منزه عما عراه اليه القرآن من انه (هم بها) ، وكيف يساعده الله على
الإرتقاء ، وقلبه فاسد .

قلت : وقد قدمنا لك ان القرآن الكريم لم ينسب اليه انه هم بها جزماً
بل تعليقاً ، بل التوراة جازمت بأنه جاء الى أبيه بنميمة اخوته القبيحة - أي
نم عليهم بنميمة قبيحة - (تك ٣٧ ، ٢) ، وقر فهم بأنهم جاؤا الى مصر

جواسيس ليروا عورة الارض ، مع انه عرفهم وعرف انهم جاؤا ليشتروا طعاماً ، انظر (تك ٤٢ ، ٦ ، ١٨) ،
والقرآن لم يقل ان قلبه فاسد بل قال : (لنصرف عنه السوء والفحشاء
إنه من عبادنا المخلصين) .

وحكى عنه التحدث بنعمة الله بملكة التقوى ، والتواضع لله في نفسه وان
عصمته وتقواه إنما هي برحمة الله ونعمته .

ويا ليت المتكف وتوراته وانجيله الرائجين وكتبه يعرفون بأن الله لا
يساعد فاسد القلب على الإرتقاء في معارج السعادة والتوفيق ومراتب الرفعة
الروحانية ، كيف وان توراته تذكر ان الله كلم موسى في جبل سيناء بكلام
طويل وعناية تامة ، كل ذلك في تفصيل ثياب هارون والتأنق في صنعته وترصيعها
ليجده ويقده ويرفعه الى مراقى الإمامة الكبرى والكهانة في الشريعة فانظر
الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر الخروج ، مع انها تذكر ان
هارون في ذلك الوقت عمل عجل الذهب ليتخذ به بنو اسرائيل إلهاً يعبدونه وبني
أمامه مذبحاً لرسم العبادة ونادى لعبادته (خر ٣٢ ، ١ - ٧) .
ولم يثن ذلك عزم اوحى وموسى عن تقديس هارون بأبهة الرفعة الى
الرياسة الدينية الكبرى .

وان الانجيل ليقول : ان بطرس صار ينتهر المسيح حتى قال له المسيح
إذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم لله بل بما للناس (مت ١٦ ،
٢٢ و ٢٣) مع انه يذكر قبل ذلك ان المسيح قال لبطرس أنت بطرس ،
واعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون
مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات
(مت ١٦ ، ١٨ و ١٩) ، فهل تجد ارتقاء ورفعة أكثر من هذا إلا أن
يكون اقنوماً رابعاً ، وهل تجد فساد قلب أكثر من أن يكون شيطاناً لا

يهتم بما لله ، بل بما للناس .

ودع عنك مشاركته للتلاميذ فيما وصمهم به الانجيل ، وإنكاره للمسيح حتى صار يحلف ويلعن .

وأيضاً ان الاناجيل قد وصفت التلاميذ بقلة الايمان وغلظ القلوب وقساوتها والمشاحنة على الرياسة بعد المسيح والغيظ عليه من أجل ابني زبدي وعدم مواساته بالحزن والصلاة وسهر بعض الليل حتى تفرقوا عنه وهربوا وتركوه وحده بيد الأعداء ، كما أشرنا اليه في الجزء الأول صحيفة (٣٠ و ٣١) ومع ذلك يذكر العهد الجديد انهم ارتقوا بروح القدس والمعجزات الى درجات الرسالة التي صابعوها بالامم واستحسنوا فيها بمشورتهم أن يطلبوا شريعة موسى لأنه له من يكرز به في كل سبت (١٥ ع ١) .

ودع عنك ما يذكره العهد الجديد من رياء أكابرهم (غل ٢ ، ٣ ، ١٥ ، ١٦ ع ١ ، ٢١ ، ٢٧) .

ومع هذا وما هو أكثر منه في كتبهم ، والمتكلف يقول ص ٧٧ وكان القرآن مستخف بخطيئة الفسق .

فكان القرآن الكريم يقول : ما سمعته من كتبهم في شأن هارون وبطرس والتلاميذ .

أو كان القرآن يقول : ان سليمان وحاشاه مال قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقالب داود أبيه ، فذهب وراء عشتاروت آلهة الصيديونيين وملكوم وجس العمونيين وعمل الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً فبنى مرتفعة لكموش وجس الموابين ، ولمولك وجس بني عمون (١ مل ١١ ، ٤ - ٨) .

ومع ذلك يقول عن كلام الله علام الغيوب في شأن سليمان هو بيني وبيننا لا سمي وهو يكون لي ابناً وأنا له أباً انظر (١ أي ٢٢ ، ٩ ، ١١ ، ١٧ ، ١١) .

- ١٤ و ٢ صم ١٢، ٧ - ١٥) فكان آخر الأمر بنقل العهد القديم ان هذا الابن الباقى البيت بنى المرتفعات للأوثان ، أو كأن القرآن ذكر ما ذكره العهد القديم فى شأن داود وحاشاه مع اوريا وامراته وحملها بما تقشعر منه الجلود ، كما هو مشروح فى الحادى عشر من صموئيل الثانى ، ومع ذلك يذكر عن إلهام الروح القدس فى كلامه ، لاني حفظت طرق الرب ولم اعص إلهى (٢ صم ٢٢، ٢٢ ، ومز ١٨ ، ٢١) .

واقترس الله جل شأنه فى هذه السورة ٧٠ - ٧٨ قصة جعل الصواع فى رحل بنيامين واستخراجها منه ليستخلص يوسف أخاه بنيامين من اخوته ويسقيه عنده ، ولم يكن فى ذلك بهتان وإيذاء لبنيامين ، بل لا بد أن يكون هذا العمل عن تواط مع بنيامين ، لأن مقتضى القرآن الكريم ان ذلك وقع بعد ما عرف يوسف نفسه لأخيه بنيامين ، فلما تم القرار فى مسألة الصواع وأعييت الخيل على اخوته حنقوا على بنيامين لتوهمهم انه سرق وأوجب ريب المصريين منهم ، وجعلهم عرضة للوم أبيهم وتنكيده لعيشهم بالجزع عليه فنبض عرق البغضاء له وليوسف ، فقالوا فى محاورتهم فيما بينهم باللسان العبرانى : إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل زعماء منهم ان يوسف والحاضرين اناس مصريون لا يفهمون اللسان العبرانى إذ تكلموا به على جارى العادة فى القوم إذا صاروا فى البلاد الأجنبية فانهم يتكلمون فى مقاصدهم ومحاوراتهم بلسانهم الخاص ، فلم يقولوا ذلك ليشهدوا على سرقة بنيامين ، ولا ليوقعوه فى التهلكة ، ولذا قال الله تعالى : (فأسرها يوسف) أى الكلمة التى قانوها عليه (فى نفسه ولم يبدها لهم) فكأنه لم يفهم ما قانوه بلغتهم ، وما قرفوه به من السرقة ، وقال : (أنتم شر مكاناً) فى أفعالكم التى أعرفها ، ولا بد من أن يكون قال ذلك فى نفسه أو بكلام لا يفهمونه (والله أعلم بما تصفون) به بنيامين وإيماى من السرقة .

فقد جاء في أوثق الروايات ان السرقة المنسوبة ليوسف كانت أيضاً تدييراً من بعض أرحامه كالتدبير في السرقة المنسوبة لبنيامين ، وقد كان ينبغي لآخوة يوسف أن يظنوا أو يحتملوا برائة بنيامين ، وان الذي جعل بضاعتهم في رحاطهم في المرة الاولى هو الذي وضع الصواع في رحل بنيامين . وقد جاء في التوراة ان يوسف كان يكلم اخوته بواسطة الترجمان وهم يزعمون انه لا يفهم ما يقولونه باللسان العبراني ، ولذا لما طلب منهم أن يجيئوا بأخيهم الصغير جعلوا يتلاومون فيما بينهم بلسانهم الخاص فيما فرطوا بيوسف (تك ٤٢ ، ٢١ - ٢٥) .

وإذا عرفت ما ذكرناه فاعلم ان المتكف جرى على عادته في الفهم والامانة ، فقال (ص ٨٠ س ١) يؤخذ من عبارة القرآن ان بنيامين سرق الصاع مثل أخيه يوسف .

قلت : لا يخفى على من تشرف بالنظر الى القرآن الكريم وهذه السورة انه صريح في واقعة الصواع بأن بنيامين لم يسرقه وإنما جعل في رحله تدييراً من يوسف لكي يستخلص أخاه من اخوته بطريق لا يعد من الظلم وجور القدرة فانظر الآية ٦٩ - ٧٨ .

ولعل الذي اقتضى هذا التدبير هو ان يوسف حن الى شقيقه وآواه وأكرمه بخاف عاياه من اخوته أن يحسدوه على ذلك فيفعلون مع بنيامين مثل ما فعلوه مع يوسف أو أشد ، والتوراة أيضاً تذكر ان يوسف أكرم بنيامين أكثر من اخوته كماهم بخمسة أضعاف (تك ٤٣ ، ٣٤) ، وبما ذكرنا تعرف شطط المتكف في باقى كلامه في هذا المقام .

* * *

وقال الله جل شأنه في سورة (طه) في الحكاية لخطابه سبحانه وتعالى مع موسى (إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى) .

فأنكر المتكلف ذلك وادعى ان موسى عليه السلام كان في جبل حوريب حينما أمره الله بخلع حذائه ، ثم ادعى ان طوى إسم وهمى ، انظر (يه ٢ ج ص ٩٥) .

وهذا أيضاً من بوادر الغرور ، اما (أولا) فان العهد الجديد كتاب إلهام المتكلف يقول بصراحته : ظهر له - أى لموسى - ملاك الرب في برية جبل سيناء في طيب نار عليقة (اع ٧ ، ٣٠ - ٣٥) ، وطابقه مع (خر ٢ ، ٣ - ٨) .

(وأما ثانياً) فان التوراة على ما بها لم تقل ان موسى كان حينئذ في الجبل ، بل إنما قالت : وموسى كان يرعى غنم (يثرو) ، فساق الغنم وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهبة نار الى آخره ، ومن المعلوم ان السائر من مكان بعيد يقال له : انه جاء الى الجبل إذا صار قريباً منه وعند سفحه وأودية سيله .

والقرآن يصرح في سورة القصص ٢٩ و ٣٠ بأن الواقعة كانت بجانب الطور من شاطئ الوادى الأيمن .

ولو ان توراة المتكلف تقول ان موسى إذ ذاك كان في الجبل لما صحت بلفظها المعارضة ، وذلك لأجل ما هو المأمود من توسعها الفاحش ، فقد ذكرت ان بنى اسرائيل نزلوا في جبل هور (عد ٣٣ ، ٣٧) مع انها تقول في هذا المنزل ان الله أمر موسى أن يصعد بهارون والعاذرا الى جبل هور فصعدوا الى جبل هور أمام عين كل الجماعة ، ثم انحدر موسى والعاذرا من الجبل ، انظر (عد ٢٠ ، ٢٢ - ٢٩) .

وهذا كالصريح في ان نزول بنى اسرائيل هناك لم يكن في الجبل ، وتقول أيضاً الرب إلهنا كما كنا في حوريب قائلاً : كفناكم قعود في هذا الجبل (تث ١ ، ٦) مع انها تذكر ان نزول بنى اسرائيل كان في برية سيناء مقابل الجبل ، وكان

ارتجالهم من تلك البرية أيضا ، انظر (خر ١٩ ، ٢ و عد ١٠ ، ١٢ ، و ٣٣ ، ١٥ و ١٦) ، وتقول أيضا : عن حكاية خطاب موسى لبني اسرائيل في اليوم الذي وقفت فيه أمام الرب إلهك في حوريب ، مع انها تقول : فتقدمتم ووقفتم في أسفل الجبل (تث ٤ ، ١٠ - ١٢) ، وفيها من هذا النحو من التوسع شيء كثير .

ولو ان توراة المتكلف أيضا تصرح وتقول : ان موسى عليه السلام كان حينئذ على قمة الجبل لما كان ذلك ضائراً بأى تاريخ يعارضها فضلا عن القرآن الكريم كلام الله ، وذلك لما بيناه في الجزء الاول في المقدمة الخامسة والسادسة ، وفي هذا الجزء في التصدير ، بل كل مورد تعرضنا فيه لحال التوراة من متفرقات هذا الكتاب .

وأما قول المتكلف : ان طوى اسم وهمي ، فهي دعوى تشوه وجه الأديب ، أفيقول : انه ليس في تلك الناحية واد أصلا ورأساً ، أم يقول انه قد بلغ من العمر آلافاً من السنين التي قضاها في تلك النواحي فعلم بالعلم اليقين انه لم يسم بعض أراضيها (طوى) لا باللغة العبرانية ولا العربية ولا غيرهما ، فنقل ذلك بأمانته وتقواه ، أم يقول : ان هذه الدعوى من إلهام الروح الذي اخبر عنه ميخا (١ مل ٢٢ ، ٢٢) .

(استطراد ومناسبة في الذكر)

وقال الله تعالى في سورة المؤمنين ٢٠ : (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين) .

فقال المتكلف (يه ٢ ج ص ٩٨) الصواب ان شجرة الزيتون هي في فلسطين ولم يكن في طور سيناء شجر ولا غيره وإلا لما أرسل الله المن والسلوى الى بني اسرائيل .

قلنا : لم يحصر القرآن وجود الشجرة بطور سيناء ، بل يجوز ان الله جل شأنه خصها بالذكر امتناناً بقدرته على أن يخلق مثل هذه الشجرة النافعة بنوعها من الجبل الصخري .

ولا يسوغ انكار ذلك إلا بإقامة البرهان على امتناعه في العادة بحسب تلك الأرض ، وهو باطل فإن الوجدان شاهد على ان تلك الجبال يكثر فيها الشجر كالطرفاء والعوسج وغيرهما .

وقد كانت تلك الجبال قريبة من عمران الحاضرة مثل ايليم ، ومدين ، وعصيون جابر ، وايلة ، بل تكاد أن تعد من ضواحي ذلك العمران ، فلا يبعد انها كانت تستنبت فيها تلك الشجرة وإن كانت لا توجد فيها الآن ، فان الأحوال تتبدل والعمران يتنقل .

ولعلك تؤيد أوهام المتكاف بدعوى بعض الجغرافيين ان منابت الزيتون منحصرة فيما بين الدرجة الرابعة والثلاثين والرابعة والأربعين من العرض الشمالي ، فتقول إذا ان جبل سيناء لا يبلغ الدرجة التاسعة والعشرين ، ولكنا ننهبك الى أن (الجيزة) من أعمال مصر هي من منابت الزيتون الكثير وهي لا تبلغ الدرجة الثلاثين ، وكذا (الفيوم) من أعمال مصر أيضاً وهو دون الجيزة بنحو ثلاثين دقيقة تقريباً ، وهو لا يزيد بالعرض على جبل سيناء بأكثر من نيف وخمسين دقيقة ، مع انه ينجبر ذلك في طور سيناء بانكسار الحرارة فيه بسبب ارتفاعه عن انعكاس الأشعة الأرضية ، وبسبب قربه من البحر الملطف لهوائه .

وأما قول المتكاف انه لم يكن في طور سيناء شجر ولا غيره فهمي دعوى باطلة مردودة عليه ، ولو كان كملكي صادوق بلا أب بلا ام بلا نسب لا بداية أيام له ولا نهاية حياة (عب ٧ ، ٣) .

وما احتججه بقوله وإلا لما أرسل الله المن والسلوى الى بني اسرائيل ،

فهو من الشطط ، لأن القرآن لم يقل ان في طور سيناء أشجاراً وبساتين من الزيتون والفواكه ومزارع من الحنطة والشعير ومايونات من الغنم والبقر وكل قسم يقوم بحاجة بني اسرائيل فلا حاجة لهم الى المن والسلوى ، بل لو قال ان في طور سيناء ألف شجرة بما ذكره لما كان منافياً للحاجة لنزول المن والسلوى كيف لا وان التوراة تقول : ان الله اعطى المن والسلوى لبني اسرائيل في بركة سين في الشهر الثاني لخروجهم من مصر (خر ١٦ ، ١٧ - ١٧) مع انهم خرجوا من مصر ومعهم لقيف كثير من غنم وبقر مواش وافرة جداً .

وفي أوائل مجيئهم الى بركة سيناء اصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران ، وكذا بعد ذلك انظر (خر ١٢ ، ٣٨ ، ٢٤ ، ٥ ، ٧) .

ولو انا نرضى لمجد معارفنا بالحجة المخدوشة بالإحتمال لقلنا : ان وجود زيت الزيتون الذي جاء به بنو اسرائيل في بركة سيناء للضوء ودهن المسحة هو دليل على وجود شجر الزيتون هناك فانظر (خر ٢٧ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٣٠ ، ٢٤) ، ثم انظر أيضاً (خر ٣٥ ، ٨ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٣٧) ، ولكن احتمال استجلابه من الأماكن البعيدة ، ووهن توراة حلقياً أو غيره مانعان لنا عن التشبث بمثل ذلك .

ولنا أن نقول : ان رؤس الجبال التي في شبه جزيرة سيناء إنما هي أجزاء من سلسلة ذات تعاريج منبثة في أرض فلسطين وشبه جزيرة سيناء ، ولنا أن نعتبر مبدأ السلسلة من موازاة جبل لبنان ، والاخرى أن نعهده جزءاً منها وان تخلل بينهما ما هو بمنزلة العقبات في أثناء سلاسل الجبال ، فتمتد هذه السلسلة الى الجنوب على غربي الاردن وبحيرة لوط ووادي العربية وخليج العقبة ، ثم تنعطف عند ملتقى الخليجين الى الشمال الغربي ممتدة مع شرقي خليج السويس حتى تتعدى منتهاه بنحو ثلاثين ميلاً ، ثم تنعطف الى الشمال الشرقي

ممتدة الى نحو العريش وحدود فلسطين .

فيتفق لهذه السلسلة في امتدادها وتعايريجها وانعطافاتهما عدة رؤس يسمى كل منها باسم ، نحو فوريا ، والصفصافي ، والصمغى ، وحوريب ، وكاترينا ، وفيران ، وغيرها ، وقد تتداخل الاسماء كما تداخل أسماء حوريب وسيناء في التوراة انظر (١٩ و ٢٠ و ٢٤ و ٣٤ و ١٠ ع ٣٠ ، ٧) ، ثم انظر (خر ٣ ، و تث ١ ، ٦ و ١٩ ، و ٤ ، ١٠ ، و ٢ ، ٥ - ٦ ، و ١٨ ، ١٦ ، و ١ مل ٨ ، ٩ ، و ٤ ، ٤ -) .

فن الممكن الشائع في اللغة والإستعمال أن يكون القرآن الكريم قد أُرَاد بطور سيناء الجبل الذي هو مجموع السلسلة ، وسماه طور سيناء باعتبار ان سيناء هو الحد الجنوبي لمنابت الزيتون فيه ، أو لأنه أشرف رؤسه وأشهرها ، ولبعض هذه الوجوه جعل الجغرافيون (برية سيناء) إسماً لجميع القسم الواقع غرباً من خط مفروض من طرف بحيرة لوط الجنوبي الى رأس خليج العقبة مع انه يشتمل على شطر من أرض يهوذا في فلسطين ، كما انهم يسمون سلسلة الجبال العربية (جبل الشرات) باعتبار قطعة منها ، مع ان لها قطعاً ورؤساً ذوات أسماء وشهرة .

وقال الله تعالى في سورة يونس ٧٦ : (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملاه فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ٧٩ قالوا أجتئنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين) .

فاعترض المتكاف على ذلك وقال (يه ٢ ج ص ٦١) ان الله لم يرسل موسى ليدعو فرعون وقومه الى ديانته ، بل ان المولى سبحانه وتعالى أرسله لإنقاذ الامة الإسرائيلية من الرق والعبودية وإخراجهم من مصر .

قلت : ان اللازم على أمانة المتكاف ان يذكر ما ذكرته توراته في

عنوان ارسال الله موسى الى فرعون ، وماذا أمره أن يقوله له ، وماذا قاله له ثم إذا ذكر ذلك فليتكأ على سريره تبشيره بمحضر العقلاء العارفين بالله ويقول ان هذا هو الحقيقة المعقولة اللاتئة بجلال الله في إرساله موسى الى فرعون ، دون ما يذكره القرآن .

ولئن طوى ذكر ما في توراته فانا نذكره ونقول ، يقول مضمون توراته ان الله جل شأنه قال لموسى في أول كلامه في حوريب ، انى رأيت مذلة شعبي الذى فى مصر فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الارض الى أرض جيدة وواسعة الى أرض تفيض لبناً وعسلاً الى مقام الكنعانى والحثى والامورى والفرزى والحوى واليبوسى (خر ٣ ، ٧ و ٨) ، وأمره أن يبشر قومه بذلك (١٦ و ١٧) « فاعرف المقصود من الرسالة واحفظه » ، ثم قالت عن قول الله لموسى فإذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ اسرائيل الى ملك مصر وتقولون الرب إله العبرانيين التقاناً ، فالآن نمضى طريق ثلاثة أيام فى البرية ونذبح لله إلهنا (خر ٣ ، ١٨) فتكون فائدة هذا الوحي وحاشا لله أمرين (أحدهما) ان الله أمر موسى بأن يأمر شيوخ بني اسرائيل ان يكذبوا على فرعون بقولهم إله العبرانيين التقاناً ، مع انه جل شأنه إنما تجلى لموسى فى حوريب ولم يتجل لهم ولا التقاهم .

(وثانيهما) ان الله جل شأنه أمر موسى وشيوخ اسرائيل أن يكذبوا أيضاً على فرعون بقولهم نذهب طريق ثلاثة أيام فى البرية ونذبح لله إلهنا مع ان المقصود هو الذهاب الى بلاد ذات مدن ومزارع وبساتين وهى أرض الكنعانيين ومن جرى ذكرهم من القبائل ، لا الى البرية ، ولا الى طريق ثلاثة أيام ، بل ان أقرب حدود هذه الارض الى محل بني اسرائيل فى مصر يزيد بعدهم على مائة وسبعين ميلاً بالخط المستقيم فضلاً عن تعاريج الطريق وانحرافاته فلا يمكن لثقل بني اسرائيل أن يبلغ أقرب حدودها اليهم بأقل من ستة أيام ،

ولا يمكن أن يتوسطوها بأقل من ثمانية أيام أو تسعة ، ولا نقل ان المقصود من طريق الثلاثة أيام هو الطريق الى برية سيناء ، وذلك لأن بعده عنهم يزيد على مائتي ميل بالخط المستقيم ، وقد قطعه بنو اسرائيل بمسير ثلاثة عشر يوماً في أكثر من شهرين .

وزادت التوراة ايضاً في الطنبور نعمة إذ ذكرت ان الله جل شأنه أمر موسى بأن يأمر نساء بني اسرائيل أن يطلبن من جارتهن المصريات أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً بعنوان الأمانة والإستعارة فيسلبونها من المصريين بعنوان الخيانة في الأمانة (خر ٣ ، ٢١ و ٢٢) .

ويقول : مضمون التوراة انه لما جاءت النوبة الى تبليغ الرسالة لفرعون لم يفعل شيوخ اسرائيل ما امر به الله ، بل دخل موسى وهارون وقالوا لفرعون هكذا يقول الله إله اسرائيل اطلق شعبي ليعيدوا الى في البرية (خر ٥ ، ١) مع انه لم يسبق هذا الكلام فيما ذكرته سابقاً عن كلام الله لموسى ، ثم قالوا لفرعون إله العبرانيين التقاناً فنذهب طريق ثلاثة أيام في البرية ، ونذبح لله إلهنا لثلاثا يصيبنا بالوباء أو بالسيف (خر ٥ ، ٣) ، مع انه لم يتقدم في الوحي السابق وعيد بالوباء أو بالسيف .

فحاصل مضمون التوراة الرائجة التي اغتر بها المتكاف يظهر منه في إرسال الله لموسى وتبليغه للرسالة عدة امور :

- (١) أمر شيوخ اسرائيل أن يكذبوا بدعوى ان الله التقاهم ، (٢) أمر موسى وشيوخ اسرائيل ان يكذبوا بدعوى الذهاب طريق ثلاثة أيام في البرية ليجزوا الله ، مع ان المقصود هو الذهاب الى مدن فلسطين للسكنى والتملك ،
- (٣) أمر نساء بني اسرائيل أن يخدعن المصريات ويخن أماتهن ، (٤) كذب موسى وهارون وحاشا قدسهما في مسألة العيد ، (٥) كذبهما وحاشاهما في دعوى الذهاب طريق ثلاثة أيام في البرية ليجزوا الله وقد عرفت المقصود ، (٦) كذبهما

وحاشاهما في قولها لثلا يهيينا بالوباء أو السيف .

فكان المتكاف يقول واستغفر الله هذا هو الذي يليق بجلال الله ولطفه
وقدسه في إرسال موسى الى فرعون ، وهو الذي يليق من الرسول في
التبليغ ، فالتوراة التي تنقل هذه المضامين هي أحق بالإذعان من القرآن
الذي يقول : ان الله القدوس اللطيف إله العدل ، والصلاح أرسل
موسى ليدعو فرعون الى طهارة الإيمان ، والصلاح ، والإقلاع عن
رجاسة الشرك والظلم والفساد .

أترى هل يصح من موسى ان يبلغ فرعون عن الله أمره بأن يطلق بنى اسرائيل
بدون ان يعلمه الإيمان بالله ويدعوه اليه لكي يسمع أمره ، ويعرض عن
ضلالة الأوثان .

فهل ترى انه يمكن لرسول الملك ان يبلغ بعض الناس أوامر الملك ،
ويأمرهم بالطاعة بدون ان يعرفهم بالملك وسطوته وقدرته ، ويدعوهم الى
الإذعان بذلك ليطيعوه .

دع هذا وقل : ما معنى قول التوراة (وكلم الله موسى وهارون قائلاً
إذا كلمكما فرعون قائلاً هاتيا عجيبة) ، فلماذا يطلب العجيبة إذا لم تكن الدعوة
الى الإيمان بالله ورسوله لكي تكون العجيبة برهاناً لهذه الدعوة .

ومن الظرائف ان توراة المتكاف كأن لها عداوة مع الدعوة الى الإيمان
بالله وتوحيده وشريعته والإقلاع عن الشرك وعوائد الضلال ، فلم تذكر ان
موسى ومن بعده يوشع دعوا المصريين أو الكنعانيين أو غيرهم من امم
الأرض الى التوحيد والهدى والصلاح ، ولم تذكر ان الله أمر موسى بهذه
الدعوة أصلاً ، بل ذكرت ان الله جل شأنه أمرهم بقتل الرجال والنساء
والأطفال والبهائم ، وإحراق البلاد وما فيها .

نعم ذكرت ان الله أمر موسى إذا حارب مدينة ان يدعوها الى الصلح

فإن أجابت كان شعبها للتسخير والجزية ، هذا إذا كانت من غير الشعوب السبعة
وأما إذا كانت منها فلا يبقى نسمة منهم حتى البهائم ، وأما الدعوة الى الإيمان
بالله فهي نسي منسى ، وأنت ترى وكل عاقل يرى انه لا يأمر بذلك ولا يفعله
واحد من البرابرة المتوحشين (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) .

ولئن رضى المتكاف بهذا كله من توراته ، فان العقل والدين ليأيان لنا
ان نرضى ذلك لجلال الله وقدس رسله وهدى كتبه .

ولا يلام المتكاف مع ما ألفه من توراته من مثل هذه الطامات إذا
اعترض على القرآن الكريم .

فكيف ترى ليلي بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع
وقد حداني الكلام ان ابصرك بالهدى ودين الحق ، وأشمك من أرج
تاريخ الإسلام نفحة ، واشمك من سنا أحكامه وأساسياته لمحة ، فنقول ان
الله تقدست أسماؤه أمر رسوله الصادق الأمين ان يصدع بما يؤمر ، ويشمر
للدعوة الى التوحيد وشريعة العدل والصلاح وترك الأوثان وعوائد الجور
والفساد ، ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة بشيراً ونذيراً ،
فتجرد وشمر صلى الله عليه وآله وسلم للدعوة مدرعاً بالصبر معتداً باليقين
ونصح العباد وحسن الخلق والمواظبة على الدعوة للشفيع والوضيع والكبير
والصغير والحر والعبد والرجل والمرأة والحاضر والبادى والقرابة والبعيد
لا يستصغر فيها حقيراً ولا يكبر فيها جباراً ولا يثنيه عنها اضطهاد ولا
يتربص فيها فرصة ولا يياسه من تأثيرها إصرار الغي .

وقد لباه في دعوته جماعة قد اقتضت حكمة الدعوة ان يأمرهم بالصبر على
تحمل الأذى والفرار بدينهم .

واستمر على هذا الدأب سنين عديدة ، وقد بث دعوته ودعاته في البلاد
ولما لباه أهل المدينة آثر بأمر الله ان يهاجر اليها ليحكم أمر الدعوة وينشر

لوائها يدون ثورة شغب ، ولتكون مأوى المؤمنين فلا تنقح بينهم وبين المشركين نار الفتنة ، ولكي تشيع منعه فلا يصد من يريد الإسلام خوف الإضطهاد وضعف الجانب ، ولا يستنكف من الإنضمام الى حوزته ، ولما تمادى مشركوا مكة على الغي واضطهاد من عندهم من المسلمين والتعرض لإطفاء نور الإيمان ويأبى الله إلا أن يتم نوره أمره الله جل شأنه أن يتعرض لإرهابهم ليخافوا جانبه فيكفوا عن غيهم وغرورهم فتعرض لأموالهم وطريق تجارتهم لكي يضطروا في حفظ اقتصادهم وثروتهم الى الإقلاع عن عدوانهم على المسلمين فخرج المشركون لإنقاذ أموالهم بعدة تامة وقوة بزعمهم كافية ، فلما علموا بنجاتها حملهم طغيانهم وغرورهم بعدتهم وعديدهم فقصدوا حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اغتراراً بقله أصحابه ووهن استعدادهم ، وأصروا على حربهم ولم ينجع بهم نصيح شيوخهم (ليقتضى الله أمراً كان مفعولاً) ، إذ كان جللت آلائه قد وعد رسوله والمسلمين بإحدى الطائفتين من العير أو النفير . فقتضى الله بالفتح على رسوله على نحو لم يكن متصوراً في العادة .

ثم تتابعت بعد ذلك حروب رسول الله وتجريداته ، وكلها كانت من نحو الدفاع والإنتصار للمسلمين ، وكسر عادية المشركين .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم في حروبه وتجريداته كلها يبتدأ بالدعوة الى الايمان والصلاح ويرغب فيهما ، ويحث على السلم ، ويحيب الى الهدنة ويقبل العثرة ويركن الى الصلح مع كونه المظفر المنصور ، كل ذلك لحبه الصلاح ، وليكون الامهال وحسن السيرة ولين الجانب والوفاء بالعهد داعية للناس الى الايمان من دون تحريش بالحروب القاسية .

فإذا اعترف المشرك بالتوحيد وأتاب الى الايمان ولو ظاهراً عصم ماله ودمه ، وصار أخاً حبيباً للمسلمين ، وإن كان قد قتل في الشرك آباءهم وأبنائهم وجنى ما جنى عليهم .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم أم وصاياه في تجريداته وحروبه هو النهى عن المثلة بالقتلى ، وسوء الولاية ، وقتل النساء والأطفال والمشائخ العاجزين والرهبان المعتزلين وإزعاجهم عن معابدهم .

وكان يحث على الرأفة بالأسرى والماليك وحسن معاملتهم ويسلى قلوبهم ويعدم بنعمة الله عليهم ، ويشدد في الترغيب في عتقهم .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقبل من أهل الكتاب الجزية على شروط يؤل اجرائها بهم الى الاسلام ، وشريعة العدل ان ساعدتم التوفيق من دون نكاية بهم أو تساهل بأهوائهم .

فلم يسمع ولن يسمع بمثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته وسيرته في حروبه حيث أعطى كل مقام صالح حقه من حيث سياسة الايمان وشريعة العدل ، وكسر شوكة الشرك والجور وعوائد الضلال بصدق النهضة والتشمير والصبر في الدعوة ، وحسن الدفاع عنها ، والشدة في ذات الله من غير قسوة ، واللين والرحمة من غير ضعف وخور ، قد بلغ في جميع ذلك أعلى مراتب حسن الخلق وكرم النقيبة وحسن الولاية .

وقد ساس العرب العتاة الأشداء الألداء أحلاس الخيل واخوان السيف وأبناء الحرب ، فقلبهم من الوثنية الى التوحيد ، ومن عوائد الضلال الى شريعة العدل ، ومن تفرق الأهواء والتوحش وتكالب العداوة الى حسن الاجتماع والاخوة والخضوع لنظام المدنية ، وهم الذين تبادوا على حرب البسوس عمراً من السنين فقطعوا بها علائق الأرحام ونياط القرابة من أجل ضرع ناقة ، واستمروا في حرب الغبرا وداحس فقتلوا الرجال والأطفال من أجل سباق فرس .

ولجوا في حرب كسرى حتى أذاقوه الوبال مع سطوته ، وذلك من أجل حماية امرأة .

ويكفيك شاهداً ان هذا العنصر وهو لاء القوم كلهم قد غلبهم على
معبوداتهم وأهوائهم وعوائدهم وجبروتهم وعدوان وحشيتهم وطغيان
رياساتهم واستقلال قبائلهم ، فثنى أعناقهم وجمعهم على التوحيد ونواميس
الحق ، ومدنية العدل وأدب الشريعة .

وان الكثير منهم قد انقادوا الى ذلك برغم انوقهم مع احتدام قلوبهم
بنار الغيظ وضغائن الأوتار ، ولكنهم لما تشرفوا بنعمة الاسلام صار
رسول الله أحب اليهم من اسماعهم وابصارهم وذلك لما وجدوه من صلاح
دعوته وحسن سيرته في اجرائها فيما عاملهم به من التحمل والملاينة وجميل
الدفاع وعاطفة الرحمة وكرم المروءة وحسن الخلق وحسن الأثر وحسن الولاية
ووجدوا ان حربه معهم وإن كانت لأجل أحسن الغايات وأشرفها ، وأنفعها
للشرف في دينهم ودنياهم ، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يسلك فيها إلا
سبيل الدفاع لعدوانهم وحماية حوزة التوحيد والحق بالتي هي أحسن ليرد
عادية المعتدين ، فجلب قلوبهم ما وجدوه في أثناء ذلك من حسن المعاملة وجميل
الصفح وعظيم المن وكرم الأخلاق وأيادي الرحمة مما لا يتصورونه هم ولا
غيرهم في محارب مظفر معتز بنصيحة أصحابه وطاعتهم له .

هذا كله ولم تنشب الحرب بمقدار حرب البسوس ولم تزد القتلى على قتلى
ربيعة فيها بكثير يذكر ، بل يمكن لنا أن نقول : ان كل من قتل في سبيل
الاسلام من العرب لا يبلغ ما يقتل في ضلالات العرب وعدوانهم بجروب
سنة ، وسيأتى إن شاء الله بيان ما ذكرنا على وجهه .

وقال الله تعالى في سورة بونس ٨٨ : (وأوحينا الى موسى وأخيه أن
تبوءا لقومكيا بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين) .

فاعترض المتكلف على ذلك بعد أن ذكر شيئاً من أقوال المفسرين ،
وقال (به ٢ ج ص ٦١) وعلى كل حال لم يأمر الله موسى وأخاه أن يتبوءا

بيوتاً في مصر ، بل أمر موسى بإخراج بني اسرائيل من أرض العبودية ليرثوا أرض الموعد .

قلنا : أما أقوال المفسرين فهم أعرف بما أخذها ، ولا مانع منها إلا إصرار المتكاف في إنكار كل ما لا يوافق هواه ، أو اغفلت ذكره توراته التي عرفت حالها .

وأما قول المتكاف : ان الله لم يأمر موسى وأخاه ان يتبوءا بيوتاً في مصر الى آخره فإنما هو من الشطط والتغافل عما يقتضيه الحال من لزوم ذلك وان توراته قد أغفلته مع انها دخلت في ذلك مدخل الاستيفاء في السيرة البسيطة والتاريخ الساذج ، بل جعلت دعوة موسى لبني اسرائيل وترويضهم على الإيمان به وعلى أن يطاوعوه على الخروج من مصر ، وعلى أن يدخلوا الى فرعون ليخلى سبيلهم ودخولهم الى فرعون ، ودعوته وعمل الآيات جعلت هذا كله كأنه حادثة يوم وليلة بين عشرة أشخاص في بيت واحد ، ولكن المتدبر في عادات الامور يجزم بأنه لا بد لموسى وهارون من أن يقيما مدة مديدة بين بني اسرائيل يدعونهم فيها الى حقيقة الإيمان باقته وحق عبادته والانقطاع اليه ويمرناهم على الصلاة له والطاعة لرسله والانقياد اليهما والالتزام بأمرهما ، ويملاً آذانهم وقلوبهم بالبشارة بخلاصهم من عبودية فرعون والتمتع بأرض الموعد ويثبتانهم على الاطمئنان بذلك ويروضانهم على الانقياد والمتابعة في الخروج معهما ، فإذا اطمئنا منهم بالانقياد أعلننا دعوتيهما لفرعون ، ولو كان ذلك مع أهل قرية لا يبلغون الألف وهم ثابتون في طباعهم لاحتاج الى تبص كثير ورياضة في السياسة .

فكيف ببني اسرائيل المتلونين المتقلبين وهم مئات من الالوف وقد عرفت حالهم من المقدمة الخامسة .

وان ذات التوراة الرائجة قد ذكرت عنهم انهم قالوا لموسى وهارون في

مصر ينظر الرب اليكما ويقضى لآنكما قد انتتمارا تحتنا في عيني فرعون وعيون عبيده حتى تعطيا سيفاً في أيديهم ليقتلونا (خر ٥ ، ٢١) ، وانهم لم يسمعوا لموسى بشارته بوعد الله لهم بالخلاص وتوريشهم أرض الموعد (خر ٦ ، ١ - ٩) ، وقالوا : كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية (خر ١٤ ، ١٢) .

وان حكمة التعليم الثمين وتجديد التأسيس وإجراء الأحكام الالهية في مثل رسالة موسى لتقتضى أن يكون الله جل شأنه قد أمر موسى وهارون أن يتبوءا في مصر بيوتاً يجعلونها مختلفاً لبني اسرائيل ومقصداً لهم يقبلون اليه ليروضهم الثمين على الانقياد فيما يراد منهم .

ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى : (واجعلوا بيوتكم قبلة) ، أي بيوت موسى وهارون ومن يعضدهم من المؤمنين في نشر الدعوة والنهضة الى التعليم ، أو ان المراد واجعلوا بيوت بني اسرائيل قبلة يقبلون فيها على عبادة الله وطاعته ، ويقومون الصلاة ، ولو ان بعض المؤرخين ذكر ذلك لحكم بصدقه الإعتبار بالعادة في بيان هذه الحقيقة اللازمة ، وان التوراة الرائجة قد قصر بيانها عن ذلك ، فكيف وقد بينها القرآن الكريم بوحى الله إلى رسوله الصادق الأمين .

أم يقول المتكلف ليس الأمر كذلك ، بل كانت دعوة موسى وهارون لقومهما وفرعون كقبسة العجلان واستعجال الخائن المتكلف .

وقال الله تعالى شأنه في سورة الاسراء ١٠٣ : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشوراً) .

والمشور : هو المعذب الهالك ، والمراد من ذلك إنذار فرعون بالنكال

ووبال عاقبة إذا تمادى على طغيانه وغيه ، فقد كان يظن من امارات عتوه
وطغيانه انه لا يقلع عن غيه .

ولكن المتكلف يقول ببواعثه (يه ٢ ج ص ٨٧) ، وقد افترى القرآن
على موسى وعلى فرعون بأنها تشاتما وموسى لم يشتم فرعون ، كما ان فرعون
لم يلعن موسى ، فإن هذه المسألة ليست مسألة مطاولة وقباحة ، ولا يعقل ان
موسى المشهور بالحلم والوداعة يتناول على ملك مستبد .

قلت : ما غر المتكلف ومعرفة المرسلين الامر يگان بهذا الكلام ، إلا
أن الفاظ القرآن لا توجد في توراتهم ، ولم يشعروا من توراتهم بأنها قد اهلمت
الكثير من مخاطبات موسى وهارون مع فرعون ، كما اهلمت أجوبته لها ،
بدليل قولها عن قول الله لموسى ، أنت تتكلم كما أمرك ، وهارون أخوك يكلم
فرعون ليطلق بنى اسرائيل من أرضه ، فلم تبين بعد هذا كلام موسى وهارون
ولا جواب فرعون لها ، بل طوت الحال ولم تبين ماذا أمرهما الله أن يتكلم به
مع فرعون ، وماذا قاله له ؟ وبماذا أجابهما ؟ بل قالت ففعل موسى وهارون
كما أمرهما الرب ، انظر (خر ٧ ، ٢ - ٧) .

وقولها أيضاً : إذا كلمكما فرعون قائلاً هاتيا عجيبه تقول لهارون خذ
عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعباناً ، فدخل موسى وهارون وفعلا
هكذا ، كما أمر الرب وطرح هارون عصاه أمام فرعون وعبيده فصارت ثعباناً
(خر ٧ ، ٩ و ١٠) ، فلم تذكر كلامهما في دعوتها له وبماذا أجابها حتى انجر
الكلام الى المطالبة بالعجيبه وكيف طالبهما بها .

ثم انظر في هذا الإصحاح تجد توراتهم قد اهلمت فيما بين العدد ١٨ والعدد
١٩ واسقطت ما هو لازم الوقوع من جواب فرعون لموسى .

وكذا في الإصحاح الثامن فيما بين العدد ٤ والعدد ٥ والعدد ٦ وكذا
فيما بين العدد ١٩ والعدد ٢٠ .

وكذا في الاصحاح العاشر في أثناء العدد السادس بين قولها (اليوم) و(ثم) وانك لتعلم ان المقام بين موسى وفرعون مقتض بالضرورة والعادة لوقوع المطارحات ومراجعات الكلام بينهما من تنفيذ فرعون لموسى وتوهينه لرأيه إذ طلب منه أن يخرج بني اسرائيل عن سلطانه وطاعته ، ومن تكذيبه لموسى في دعوى الرسالة بذلك من الله ، فقد أرسل فرعون الى بني اسرائيل يردعهم من الاعتماد على كلام موسى قائلاً ولا يلتفتوا الى كلام الكذب (خر ٥ ، ٩) ومن موعظة موسى لفرعون وتوبيخه له على عتوه على الله وإصراره على الظلم والجور ، وتحذيره من عاقبة ظلمه ووبال بطش الله به .

هذا لو كانت دعوة موسى لفرعون كما يظهر من توراتهم هي محض طلبه أن يطلق بني اسرائيل .

وأما إذا كانت كما هو الحق ووظيفة الرسل وآثار رحمة الله ولطفه بعباده هي الدعوة الى الإيمان بالله وتوحيده وطاعة رسله واتباع هدايم والانقياد الى شريعتهم والاقلاع عن الظلم والعدوان .

فالحال والعادة يقتضيان أن يغلظ موسى عليه السلام في الانذار والموعظة والتوبيخ لفرعون على إصراره على كفره ، وغلظ قلبه ، وقبيح ظلمه ، وان يغلظ فرعون في تكذيب موسى وتوبيخه ، حيث تكررت المراجعة بينهما . .

والحال يقتضى ان فرعون بضلاله وطغيانه يرى ان موسى عليه السلام كافر بنعمتهم وبرهم عاق لحق تربيتهم له .

فقول فرعون لموسى انك مسحوراً هو من أيسر ما يقتضى الحال أن يقوله فرعون الطاغية لموسى في رد دعوته ، بل هو رد جميل من مثل فرعون قد نزه به موسى عن تعمد الافتراء على الله بدعوى الرسالة وليس لعناً ، وقول موسى لفرعون أظنك مشبوراً هو أيضاً من أيسر الانذار وليس شتماً ، كما لا

يخفى ذلك على أقل الناس فهماً وأكثرهم غباوة ولا يقول بأنه شتم ولعن إلا من داس شرف أدبه بنعل تعصبه .

وإذ قد نزه المتكلف فرعون عن أن يقول لموسى أظنك مسحوراً ، فقد اعترف بأن فرعون على عتوه وغلظ قلبه أطيب منه نفساً وأحسن أدباً وأعف لساناً وأقل تمرداً على الله .

فإن المتكلف قد نزه فرعون عن الجرأة على موسى بما هو واحد من ألوف الألوف من قبائح جرأته على قدس رسول الله الصادع بالحق ، مع أن رسول الله لم يبهظ المتكلف في دعوته بمثل ما بهظ به موسى فرعون ، فإن دعوة موسى تبهظ فرعون بالتوحيد النافي لأوثان كثيرة من آلهة المصريين ، ودعوة رسول الله بتوحيده لا تبهظ المتكلف إلا بنفي اثنين من ثلوثه ، وإن موسى عليه السلام في دعوته قد سمي آلهة المصريين رجساً ، ورسول الله قد مجد المسيح بعد أن نبي عنه الألهية وسماه رسول الله وكلمته ، ونزهه بالتمجيد عما قرفت قدسه به الأناجيل ، ومجد الروح القدس إذ جعله رسول التنزيل على الأنبياء .

وإن دعوة موسى تستلب من فرعون ساطانه وتحطه عن سلطته وتشتت رعيته وتقهره في إجرائه .

وإن دعوة رسول الله لا تمنع المتكلف إلا من خسيس عيش تباع به الأمانة وشرف الأدب والدين ، بل يبسط له التعيش والتنعم بما لا يضاد ذلك ، وإن ما ذكرناه من اعتراف المتكلف ليكون شهادة أيضاً على أن المرسلين الأمر يكان الذين طبع كتابه بمعرفتهم هم أيضاً شركائه في المقايسة ، ويا عجباه ولا عجب من قوم ينزهون فرعون من أن يقول لموسى (أظنك مسحوراً) أو يرضون من كتاب إلهامهم أن يقول عن خطاب إرميا النبي مع الله جل شأنه يا سيد الرب حقاً أنك خداعاً خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً يكون سلام وقد

بلغ السيف النفس (ار ٤ ، ١٠) ويقول ان هذا الكفر من وحى الله .
وأما ان موسى عليه السلام مشهور بالحلم والوداعة ، فهو لعمر الله
رسول الله وكليمه وصفيه ، معلم الكمال ومهذب البشر ومؤدبهم ، العارف
بمواقع الحلم ومواقع الحزم والشدة فى ذات الله ووظيفة الرسالة وحكمة
التبليغ والإنذار ، وهو أجل شأنأ وأعلى قدراً من أن يعتمد فى كماله
على مجرد الشهرة .

ولكن لا يتيسر الإذعان بذلك مع الإذعان بصحة ما فى العهد القديم ،
فانه قد قرف قدس موسى عليه السلام بما لا يصدر إلا من فظ غليظ القلب
سوء الخلق سوء الأدب سوء المعرفة بالله ، فنسب الى موسى وحاشاه انه لما
أرسله الله الى فرعون رد الرسالة بلسان خشن وكرر الرد مع احتجاج الله عليه
ووعده له بالتأييد حتى حمى غضب الله عليه (خر ٤ ، ١٠ - ١٥) وانه قال لله
لماذا أسأت الى هذا الشعب (خر ٥ ، ٢٢) لماذا أسأت الى عبدك (عد ١١ ، ١١)
وتحکم على الله بالغفران لعابدى العجل ، وقال لله الآن ان غفرت لهم وإلا
فاحنى من كتابك (خر ٣٢ ، ٣٢) .

ولما وعده الله بإشباع بنى اسرائيل من اللحم رد على الله كالمستهمز بوعده
المنكر لقدرته ، فقال : ستمائة ألف ماش هو الشعب الذى أنا فى وسطه ،
وأنت قد قلت أعطيتهم لحماً لياً كلوا شهراً من الزمان ، أيدبح لهم بقر وغنم
ليكفيتهم ؟ أم يجمع لهم سمك البحر ليكفيتهم ؟ فقال الرب : هل تقصر يد الرب
(عد ١١ ، ٢١ - ٢٣) .

وقالت المزامير : ان موسى وحاشاه فرط بشفتيه (مز ١٠٦ ، ٣٣) ،
وانظر الجزء الأول صحيفة (٨٨ - ٩٤) ، أفيقول المتكلف : ان الحلم
والوداعة والأدب لا تليق من موسى مع الله ، كما تليق منه مع فرعون فى
مقام الدعوة والإنذار .

ولعلك تسأل وتقول : لماذا لم تذكر التوراة شيئاً من مكالمات موسى لفرعون فى الوعظ والانذار الذى لا بد منه فى هذا المقام ، ولماذا اهملت ذكر المكالمات فيما أشرت اليه فى أول الجواب ؟ فنقول لك : ان التوراة الرائجة قد أبدلتها صروف الأيام عن مثل هذا بأشياء قد حكمتنا فيها وجدانك فإن شئت جعلتها من حقائق العرفان وإن شئت جعلتها من خرافات الهذيان ، وذلك انها ذكرت كلام الله مع موسى فى حوريب ومدين وإرساله الى فرعون ووعدته بالتأييد ليخلص بنى اسرائيل من العبودية ، وان موسى رجع الى مصر حسب أمر الله ووعدده له .

ثم قالت وحدث فى الطريق فى المنزل ان الله التقاه - أى التقى موسى - وطلب أن يقتله ، فأخذت صفورة صوانة ، وقطعت غرلة ابنها ومست رجله وقالت لا نك عريس دم أنت لى فانفك عنه حينئذ (خر ٤ ، ٢٤-٢٦) . وقد اقتصر الله فى سورة الاعراف من الآية (١١٠ - ١٢٧) قصة موسى مع فرعون ومع السحرة وحسن عاقبتهم ووعد فرعون لهم ، ووعدده أيضاً لبني اسرائيل ، وتسليمه موسى لهم وأمرهم بالصبر وبشارتهم بالفرج ، وذكر فى سورة طه ٧٠ - ان موسى لما جاء السحرة بسحرهم أوجس فى نفسه خيفة ، فاعترض المتمكلف (به ٢ ج ص ٥٢ و ٥٣) على مضامين القرآن الكريم فى ذلك باعتراضات منشأها ان توراته الرائجة لم تذكر ما ذكره القرآن الكريم فى قصتها البتراء .

وقد عرفناك حال توراته فى قصصها ، وسنزيدك إن شاء الله معرفة فى انها تهمل المهم فى الذكر وتطيل فى الفضول الفارغة ، ونسبة المثالب الشنيعة الى الأولياء وعائلاتهم ، وفى الخرافات الكفرية . . . فاعترض على قوله تعالى حكاية عن قول السحرة لفرعون ١١٠ : (إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) .

فقال المتكلف : ان هذا لا يتصور حصوله لأن فرعون كان ملكاً مستبدأ يفعل بقومه ما يشاء ، والذوق والأدب يقضيان بعدم إبرام شرط مع الملك .

قلت : لم يقل القرآن ان السحرة اشترطوا على الملك وقالوا : ان لم تعطنا أجراً فانا لا نفعل ولا كرامة لك ، بل طلبوا منه الجائزة وأرادوا بذلك ان يثبتوا قلوب فرعون ورعيته على الإطمئنان بغايبتهم لموسى ، ولعل هذا من بعض مقدماتهم في سحرهم وشعبذتهم .

والتوراة الرائجة ادجت هذه القصة ادماجاً سمجاً لا يليق بالكتاب المتصدي لبسيط التاريخ حيث اقتضت على قولها فدعى أيضاً فرعون الحكماء والسحرة ففعل أيضاً عرافوا مصر بسحرهم كذلك (خر ٧ ، ١١) فلم تذكر ما يلزم في العادة أن يجري من الكلام بين فرعون وبينهم ولا أقل من أمر فرعون لهم بمقابلة موسى بسحرهم ، وحثهم على اتقان السحر لكي تتم له المقابلة ، فان مثل الساحر في هذا المقام يحتاج الى الحث والترغيب في اتقان عمله ، لكي ينصح فيه ، فانه من الأعمال الخفية التي يجوز أن يقصر فيها ، ويقول هذا حد مقدوري . .

واعترض المتكلف أيضاً على قوله تعالى في سورة طه ٧ : (فأوجس في نفسه خيفة موسى) .

فقال : لم يرد في كتاب الله ان موسى جزع وخاف من شعوذة السحر وهو يعرف كذبها ، هذا فضلاً عن بسالته .

قلنا : (أولاً) ان توراته لم تذكر في قصصها البتراء ان موسى ارتعد أو ارتعب عند ما كلمه الله في حوريب في عليقة النار (خر ٣ ، ١٠ - ٦) وفي جبل سيناء (خر ١٩) ، مع ان العهد الجديد يذكر ان موسى ارتعد في الكلام الأول (اع ٧ ، ٣٢) .

وقال فى الكلام الثانى : أنا مرتعب ومرتعء (عب ١٢ ، ٢١) ،
وان ارتعاد موسى وارتعابه فى هذين المقامين أهم الامور بالذكر فى مثل التوراة
فماذا تقول بكتاب يهمل مثل هذا ويشغل بالسفاسف ؟

(وثانياً) ان القرآن لم يقل ان موسى جزع وخاف واضطرب وإنما
قال : (أوجس فى نفسه خيفة) بتكبير خيفة - أى أحس بشىء من الخيفة -
وهو كناية عن قلة الخيفة وزوالها .

ولم يقل القرآن ان موسى ارتاع وخاف من هول السحر ، بل ان
موسى الرسول الأمين الحريص على هدى الناس ، وإجراء أحكام الله اختلج
فى نفسه شىء من خوف أن يفتن الناس بتمويه السحر فيستحكم الضلال وتقف
معجزته عن تأثيرها المطلوب .

ويدل على ذلك ان الله جل شأنه آمنه بقوله جل اسمه ٧١ : (لا تخف
إنك أنت الأعلى) فى برهانك ومعجزتك الحقيقية ، فلا تخف الفتنة على
الناس فان الله مسدد أمرك .

ولم تقتض الحكمة إمتحان الناس ٧٢ (وألق ما فى يمينك تاقف ما صنعوا)
بما لا حقيقة له فىنجلى الريب ويمحق الله الحق ويمحق الباطل وتزول ظلمة الشك
ويسفر صبح اليقين ويعلى الله برهانك ويؤيد معجزتك (وإنما صنعوا كيد
ساحر) ، يعرف الناس انه زبرج وتمويه إذا أزال الله معثرته وأبطل صورته
وأيد اعجاز آياته جل اسمه : (ولا يفلح الساحر حيث أتى) ، بل يرد الله
كيدَه ويخذه فى باطله .

واعترض المتكلف أيضاً على نقل القرآن لإيمان السحرة لما تحققوا
معجزة موسى .

فقال : لا يتصور ان عبيد فرعون يؤمنون برب موسى ، ويخالفون
فرعون الملك المطاع صاحب الدولة والشوكة الأمر النهي ، وموسى كان

بلا جاه ولا قوة .

قلت (أولاً) : ان توراة المتكلف مع تفريطها في بيان الحقائق قد أشارت الى إيمان السحرة ، إذ ذكرت انهم قالوا لفرعون في معجزة البعوض : (هذا اصبع الله) (خر ٨ ، ١٩) ، وهذا إيمان منهم بالله وتصديق بمعجز رسوله .

(وثانياً) ان الايمان المنبعث عن هدى وبصيرة لينهض بالمؤمن الى نصره الحق بإظهاره فلا يصدده خوف من ظالم ولا محاذرة من الشدائد والعطب ولا طمع في أكل أموال الناس بالباطل . . فان الذين أسلموا مع رسول الله عليه السلام وآمنوا بدعوته لم يصددهم عن المجاهرة بإيمانهم خوف بلاء أو شدة أو عطب أو حب مال أو ولد أو وطن أو عزة عشيرة ، بل استقبلوا البلاء والشدائد وجبال الحديد ونيران الحروب بمهجمهم وأرخضوا في سبيل الله كل عزيز ، كما هو معلوم بشهادة الاثر المتواتر .

فلا تقس أيها المتكلف كل الناس على تلاميذ المسيح فيما تذكره عنهم أناجيلكم من انهم لم يواسوا المسيح في الشدة ولم يدافعوا عنه ، بل هربوا وتركوه وحده ، وأنكره بطرس وصار يخاف ويلعن ، مع ان المسيح حذرهم من ذلك إذ أخبرهم به وبأنهم كاهن يشكون أو يعثرون به ، انظر الجزء الأول صحيفة ٣٠ و ٣١ .

إذا انبجست دموع من عيون تبين من بكى بمن تباكى

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف ان خطب عرى

واعترض المتكلف على حكاية القرآن الكريم ١٢١ لتهديد فرعون

للسحرة الذين آمنوا .

وهذا الاعتراض من الظرائف ، فان المتكلف يعترف بأن فرعون ملك

مستبد يفعل بقومه ما يشاء وهو صاحب السطوة والشوكة ، إذا فما يمنعه من

تهديد الذين فتوا بايمانهم فى عضده وابطلوا تديره وضعفوا سلطانه ، ايقول المتكلف ان فرعون اقوى ايماناً وأرأف قلباً أو أقل قدرة من (قيافا) رئيس الكهنة النبى يقول انجيلهم (يو ١١ ، ٤٩ - ٥٢) ، فلا يفعل فرعون بالسخرة مع نكايتهم فى سياسته ومملكته ، كما فعله قيافا والكهنة بالمسيح على ما تزعمه الاناجيل ، أم يقول المتكلف : ان فرعون أبر من ذلك حتى انه لا يصح على بره ان يتوعد السخرة المؤمنين ولا يروعهم بالتهديد .

واعترض المتكلف على حكاية الله لقول فرعون بعد دعوة موسى وظهور معجزاته وايمان السخرة فى تهديده لبني اسرائيل الذين قاسى من أجابهم هذا الإغتشاش فى مملكته ، ولامه الملاء من قومه على الإبقاء عليهم وخوفه عاقبة أمرهم ، فقال فى سورة الاعراف ١٢٤ : (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون) .

فقال المتكلف ان قتل الذكور واستحياء النساء كان قبل ولادة موسى . قلت : لم يقل القرآن ان فرعون فى هذه الواقعة قتل أبناءهم واستحي نساءهم وإنما ذكر ان فرعون توعدهم بأنه سيفعل ذلك فى المستقبل اغتراراً بقوته وسطوته ، ولكن موسى هون على قومه وعيد فرعون ووعدهم بالنجاة والعافية والرفاهية والفوز بعاقبة الصبر .

فقد ذكر القرآن الكريم انه ١٢٥ (قال موسى لقومه استعينوا بالله) على فرعون وغيره بمن يبغيكم بالسوء (واصبروا) ولا يستخفكم الهلع أو يهولكم الوعيد أو تحسبوا انكم لا ماوى لكم من الأرض تستريحون به من ذلة العبودية وتأمنون به من سلطان الجور (إن الأرض) كلها (لله) ويبيده أمرها (يورثها من يشاء من عباده) وهو قادر على أن يجعل لكم منها ميراثاً تبوؤونه بالأمن والعزة ، وان ذلك بلغة الحياة الدنيا ونعيم زائل من ورائه الحساب ويوم الدين (والعاقبة) المرضية إنما هي (للتيقن) لا لكل من ورث الأرض

١٢٦ (قالوا اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) قال موسى : ما معناه لا تياسوا من رحمة الله وفرجه ونصره (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) أى كل من ينصب لهم العداوة ويتبغى بهم السوء .

فلم يسم القرآن خصوص فرعون وقومه ، بل العموم أنسب بالإمتنان وأحسن في البشارة خصوصاً إذا كانوا موعودين بالخروج من مصر ، (ويستخلفكم في الأرض) بعدمعاديتكم ، ولم يسم القرآن أرض مصر ولا غيرها ، ولكن ينبغى أن يكون مراد موسى غير أرض مصر ، فان ذلك هو المناسب لأمر الله ، وهارون أن يرسل معهما بنى اسرائيل ، كما في سورة طه ٤٩ .

وأمر موسى لفرعون بذلك كما في سورة الاعراف ١٠٣ ، وقد حقق الله رجاءهم وأنجز وعده وقال جل شأنه ١٣٣ : (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض) وهى التى فى شرقى الاردن (ومغار بها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك على بنى اسرائيل بما صبروا) .

وبما ذكرناه تعرف شطط المتكلف فى اعتراضه ، (يه ٢ ج ص ٥٣ س ١١ - ١٦) .

وقال الله تعالى فى ذكر البلايا التى عذب بها المصريين ١٠٠ : (وأرسلنا عليهم الطوفان) ، والمراد به زيادة النيل وطغيانه فوق عادته بحيث أضر بزرعهم وغرسهم ومسكنهم وعمارتهم .

ولم يقل القرآن انه ارسل عليهم مثل طوفان نوح الذى أهلك جميع الناس بالغرق إلا من نجى بالسفينة ، ولكن المتكلف كأنه توهم هذا وحاول أن يموه به اعتراضه حيث قال جازماً .

ان الله لم يرسل على المصريين طوفاناً فأغرقهم .
حتى كأنه لم يدر بما هو معلوم ان النيل إذا زاد ارتفاع مائة عن المعتاد

بكثير تسبب عنه الغرق .

وان المقاييس التي في بلاد السودان تأتي منها الانباء البرقية عند طغيان النيل لكي تؤخذ الاحتياطات اللازمة في وقاية البلاد من غوائله ، وكأنه لم يسمع من مشاهير المهندسين ان المخزن الذي أوجده الفراعنة في وادي الريان من اقليم الفيوم إنما كان ليأخذ من ماء النيل عند الطغيان ، ليخفف عاديته عن البلاد .

وقال الله تعالى في سورة القصص ٥ : (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم) أي من بني اسرائيل (ما كانوا يحذرون) ٧ (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) .

فاعترض المتكلم على ذلك (يه ٢ ج ص ١٠٢) وقال والحقيقة هي ان هامان كان وزيراً للملك احشوروش .

قلت : وينبغي له في تكملة شططه في اعتراضه أن يقول : وان وزير احشوروش ، هذا وإن كان في الزمان الذي بعد سبي بابل ، ولكنه قد اخذ امتيازاً من الله بهذا الاسم فلا يمكن أن يسمى غيره (هامان) من أول الدنيا الى آخرها .

وبمثل هذا الشطط اعترض على القرآن الكريم في تسميته (مريم) ام المسيح بابنة عمران واخت هارون ، فزعم بتوقد فهمه أو بحرية ضميره ان القرآن الكريم أراد بذلك هارون أخا موسى وعمران أباهما ، وكان ذلك لاجل أخذهما الإمتياز الذي ذكرناه ، فوا أسفاه على التقوى والادب . . نعم من لا يتحاشى من الاحتجاج بالانجيل على ان أبا مريم اسمه (هالي) فانه لا يرى عليه حرجاً فيما يقوله (انظر يه ٢ ج ص ٣٥) .

وقال الله تعالى في سورة يونس ٩٠ (وجاوزنا بيني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا إله إلا

إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) ، ٩١ (الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين) ، ٩٢ (فاليوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية) .

وقال المتكلف (يه ٢ ج ص ٦٣) ما حاصله ان التوراة تعلمه ان فرعون لم يؤمن برب موسى حتى في الساعة الأخيرة ، ولا يتصور ايمان فرعون الذي صرف حياته في الإستبداد والظلم ، وان الله لا يقبل مثل هذه التوبة الوقئية الناشئة من الخوف .

ولم يرد خبر في التوراة عن غرق فرعون ، وأيدت التواريخ ان فرعون موسى لم يغرق لأنه لم يخرج مع جيشه .

قلنا : ان توراة المتكلف لما جاءت الى سعى فرعون وراء بنى اسرائيل غمغمت أمر غرقه وادجت الحال ادماجاً يخل بالمقام ، فلم تحسن الموعظة ولا بيان القصة ، كما اهملت ذكر مكالماته مع موسى ، كما قدمناه ، وغاية ما صرحت به من فعل فرعون انه سعى وراء بنى اسرائيل واقترب منهم بحيث يرونه وهم عند فم الحيروث في المنزل الثالث من منازلهم ، ومنه ارتحلوا وعبروا البحر .

وغاية الأمر انها لم تتعرض لذكر توبة فرعون عند ما أدركه الغرق ، كما لم تذكر عدمها ، انظر رابع عشر الخروج فانك ترى ان دعوى المتكلف في كلامه للعلم إنما هي شهادة على العناد أو الجهل .

وهب ان توراته صرحت بعدم ايمان فرعون ساعة الغرق فقد عرفنا ذلك وستزداد معرفة إن شاء الله ان التوراة الرائجة لم تبقى لها الايام بتلاعبها مجداً تعارض به واحداً من التواريخ .

• (وأما قول المتكلف لا يتصور ايمان فرعون ، الى آخره) ، فانا نعذر فيه المتكلف في تصويره ان جد في انكاره ، ولكننا نسأل عن ذلك من لم تمنعه

الموانع عن تصور الممكن والممتنع ، وما المانع العقلي أو العادي من ايمان فرعون وقد تكررت عليه الحجج وصرحت له الآيات ، وان انشقاق البحر ليكشف الغطاء ويبصر المرتاب ، حتى لو قال له بعض الموسوسين الذين تقدمت الدنيا أو بأفكارهم وقال له ان شق البحر من حادثة المد والجزر ، وان التوراة الرائجة لتقول : ان فرعون كان عندما يمسه العذاب يطلب من موسى وهارون أن يصليا الى الرب إلههما ليرفع عنه العذاب ويطلب منهما البركة حينما يعبد إلههما ، ويعترف بأنه أخطأ الى الله إلههما ، وان الله هو البار وهو (أى فرعون) وشعبه هم الأشرار ، انظر (خر ٨ ، ٨ و ٢٨ ، ٩ و ٢٧ ، ٢٨ و ١٠ ، ١٦ ، ١٢ و ٣١ ، ٣٢) .

وهذا كله يعطى ان فرعون كان فى الباطن مؤمناً بالله عارفاً به ، ولكن الذى يمنعه عن إظهار ذلك بين العموم والإتياد لرسالة موسى إنما هو حب الملك وكبرياء السلطنة وسلطة الإستبداد .
وبقول التوراة أيضاً : ان الله جل اسمه شدد قلب فرعون وغلظه فلم يطلق بنى اسرائيل لكي يتمجد الله به .

والقرآن الكريم لا يعارض هذه المضامين فانه لم يصرح بأن فرعون كان كافراً مشركاً فى الظاهر والباطن فى جميع أيامه الى ساعة الغرق ، بل يمكن أن يكون نقل القرآن الكريم لقول فرعون : (لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل) إنما هو نقل لمجاهرة فرعون بما كان يكتمه من الإيمان والتوحيد بعد أن كان يحافظ على سطوته وملكته بالمكابرة والمجاهرة بالشرك ، ولكنه لما رأى العذاب والغرق أعلن وجاهر بالإيمان والتوحيد ، اما ندماً وتوبة ، واما رجاء للنجاة من العذاب ، والعود ولو الى بعض ثروته ، بل ولو إلى مجرد الحياة . . .

وهب انه كان كافراً فى الظاهر والباطن ولكنه لا يبعد ايمانه بعدما

رأى الآيات وحاق به العذاب فبصرته الشدة ورفعت عن بصيرته غشاوة غرور الملك وابهة السطوة وترف العيش ، وإن كان المتكلف يستبعد أو لا يتصور من نحو ذلك شيئاً فليستبعد أو لا يتصور إيمان (بولس) رسوله فإنه يعترف بأنه كان مضطهداً للمؤمنين بالمسيح ومجدفاً - أى متكلمياً بكلام الكفر - ومفترياً (١ تي ١ ، ١٣) ، ويعاقب القديسين ويضطرهم إلى التجديف - أى كلام الكفر - (١ ع ٢٦ ، ١١) .

ويقول كتابهم : انه لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ المسيح والمؤمنين به ، ويأخذ الرسائل ليسوق الرجال والنساء من المؤمنين من الطريق موثقين (١ ع ٩ ، ١ و ٢) .

فكيف إذاً يتصور المتكلف ان بولس آمن وبعث رسولا واعطى سلطاما على ملاشاة الشريعة والعيب لها ؟ .
(وأما قول المتكلف : ان الله لا يقبل هذه التوبة الوقئية الناشئة من الخوف) فهو غفلة فاحشة .

فان القرآن لم يقل ان الله تاب على فرعون وجعله رسولا وأعطاه سلطانا على عمل الآيات ومحو الشريعة ، بل قال الله تقرّباً له وتوبيخاً وتسفيهاً لرأيه (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) .

أفيري ذو الرشد ان هذا قبول للتوبة ، ولعل مفاد الآيات والله أعلم ، فان كنت آمنت طمعاً في النجاة فلا نجاة بل (اليوم ننجيك) لا بنفسك ، بل (بيدك) المشوه بالموت المرعب ولا كرامة لك ولكن (لتكون لمن خلفك آية) وعبرة وموعظة تقوم بها الحجة .

وأما قول المتكلف لم يرد خبر في التوراة عن غرق فرعون فهو من الجهل بتوراته فانها تقول عن قول الله جل اسمه واشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فأعجمد بفرعون وبكل جيشه ، فشد مركبته - أى فرعون - وأخذ قومه معه ،

وشدد الله قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني اسرائيل ، فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون ورائهم ، وها أنا اشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا ورائهم - أي وراء بني اسرائيل في البحر - فأتجد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه فيعرف المصريون اني أنا الرب حين أتجد بفرعون ومركبته وفرسانه ، انظر (خر ١٤ ، ٤ ، ١٩) ، فإذا كانت التوراة تخبر ان فرعون شد مركبته ، واخذ قومه وسعى وراء بني اسرائيل واقترب منهم بعد ثلاث مراحل ، وتخبر ان الله اخبر بأن فرعون يسعى ورائهم .

ووعده جل شأنه بالوعد المكرر المؤكد بأنه يتمجد بفرعون ، وكل جيشه بمركبته وفرسانه .

وكتابهم يقول ان نصيح اسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً ليندم (١ صم ١٥ ، ٢٩) ، فلا بد أن يكون الله جل جلاله يتمجد بفرعون كما وعد وأكد .

ولم تقل التوراة هاهنا ان الله تعالى شأنه حزن وندم على فعل الشر بفرعون كما قالته (تك ٦ ، ٦ و ٧) ولم تقل ان فرعون رجع الى مصر .

(وأما قول المتكلف وأيدت التواريخ ان فرعون موسى لم يغرق لأنه لم يخرج مع جيشه) ، فما عسى أن أقول فيه ؟ أ أقول انه لم يطلع مدة عمره على صراحة ما ذكرناه من نقل التوراة ان فرعون شد مركبته وأخذ قومه معه وسعى وراء بني اسرائيل واقترب منهم حتى أبصروه وهم في فم الخيروت في المنزل الذي عبروا منه في البحر ، أم أقول اطلع عليه ولكننه يتخيل ان المسلمين لا يدرون بما ذكرناه عن توراته ، وان قومه يعذرونه في ذلك . أم أقول : انه يشير بنغمز خفي الى ان التاريخ هو المعبر دون صراحة توراته ، وان عهدة الجزم بأحد هذه الوجوه الثلاثة عائدة علي معرفة

المرسلين الامريكان الذين طبع الكتات بمعرفتهم .
ثم ان المتكلف (يه ٢ ج ص ٦٣) والمتعرب (ذ) ٤١ و ٤٢ قد اعترضوا
على قوله تعالى : (فاليوم ننجيك ببدنك) .

وقالا ما حاصله ان هذا الكلام يقتضى ان الله نجى فرعون من الغرق وهو
مناقض لقوله فى سورة الاسراء ١٠٥ (فأغرقناه ومن معه جميعاً) ، وهنا قول
المفسرين بأن معنى ننجيك ببدنك ننفذك من قعر البحر .

قلنا : لا مساغ لمن يعرف مفردات الكلام ويفهم تراكيبه أن يفسر
الآية الكريمة بغير ما قاله المفسرون ، فانه مع تعليق النجاة بالبدن لا يحسن
فى الكلام ان يراد منها نجاة النفس ، ولو أراد ذلك واحد من الناس لعدده
أهل اللسان من الغالطين .

ألا ترى انه لو قال شخص أنجيت بدن فلان من البحر أو أنجيته ببدنه
من البحر لما فهمت منه ان كنت أهل اللسان انه أنجاه حياً وأنجى نفسه من
الهلكة ، بل إنما تفهم بواسطة التقييد بالبدن انه أنجى ذات بدنه المجرى عن
النفس من صدمات البحر وحيواناته .

وكذا قولك : أنجيت بدن زيد أو جثته من المعركة ، أو أنجيته ببدنه
أو بجثته من المعركة .

وقال الله تعالى فى سورة الاعراف فى شأن بنى اسرائيل ١٧٠ : (وإذ
نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلّة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة
واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) .

وقال جل شأنه فى سورة النساء ١٥٣ (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) .
فنقل المتكلف عن تفسير الخازن ان أصحاب الأخبار قالوا ان بنى اسرائيل
لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله عز وجل
جبرائيل فرفع جبلا عظيماً حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل

فوق رؤسهم خرّوا ساجدين فسجد كل واحد منهم على خده وحاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه النبي الى الجبل خوفاً ان يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم الأيسر ، فقال المتكلف (يه ٢ ج ص ١٦) فهذه الأقوال ليست فقط من الأغلاط ، بل هي من الخرافات القديمة اليهودية ، أما كتاب الله فيعلمنا انه لما أنزل الله الشريعة على موسى بمراى من بني اسرائيل وأوا الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن ففزعوا وارتعدوا ووقعت هيبة الله وموسى في قلوبهم (خر ٢٠ ، ١٨) فانظر بين الكلام المعقول المقبول وبين الخرافات اليهودية .

قلت : ان كان اعتراض المتكلف لأجل ان ما ذكره الخازن غير موجود في توراته فهو شطط ، لأن توراة حلقيا أو غيره كما عرفت حالها وتزداد فيه معرفة إن شاء الله لا تنهض بثقل خرافاتها في الإلهيات ، والنبوات حتى تكون ميزاناً للحقائق .

وقد قدمنا لك انها اهملت ذكر ارتعاد موسى وارتعابه ، كما نص عليه العهد الجديد (١ ع ٧ ، ٣٢ و عب ١٢ ، ٢١) .

واهملت كثيراً من مكالمات موسى وفرعون ، واهملت ذكر يوم القيامة وثوابه وعقابه فلا تجد فيها من ذلك اثرأ مما يذكره العهد الجديد والقرآن الكريم وأبدلته بالوعد بكثرة الحنطة والخرو والوعيد بالمرض والفقر وتسليط الأجانب على الزوجة ، واهملت التوراة ما ذكره الخازن ، فلقد أشارت المزامير اليه وزيلالة بإشارة واضحة حيث قالت : في تمجيد الله ما لفظه عند خروج بني اسرائيل من مصر وبيت يعقوب من شعب أعجم كان يهوذا مقدسه واسرائيل محل سلطانه ، البحر رآه فهرب ، الاردن رجع الى خلف ، الجبال قفزت مثل الكباش والاكام مثل حملان الغنم ، ما لك أيها البحر قد هربت وما لك أيها الاردن قد رجعت الى خلف ، وما لكن أيتها الجبال قد قفزتن مثل

الكباش وأيتها التلال مثل حملان الغنم (مز ١١٤ ، ١-٧) .
وإن كان المتكلف يزعم أن هذا غير معقول وغير ممكن فهو كفر منه
بما في العهدين من بيان قدرة الله جل جلاله ، وما أظهره بقدرته من العجائب
الحارقة لعادة الطبيعة .

وذلك كتوقد العليقة بالنار وهي لا تحترق ، وكمعجزة عصا موسى
ويده والضربات على أرض مصر وشق البحر الأحمر والاردن وظهور الماء
من الصخرة ونزول النار على جبل سيناء وصعود دخانه وارتجافه بأجمعه جداً
(خر ١٩ ، ١٨ و مز ٦٨ ، ٨) .

ومثل أن عصاهارون في يوم واحد اخضرت وأفرخت فروخاً وأزهرت
زهراً وأنضجت لوزاً (عد ١٧ ، ٧ و ٨) .

ومثل ما ذكرته الاناجيل من معجزات المسيح كشفائه المرضى والعمى
والمقعدين والمجانين وإحياء الموتى والمشى على الماء وإشباع الآلوف من
قليل الخبز ، وقد بقي اضعافه ، وما ذكرته من تفتح القبور ، وخروج
كثير من الموتى فيها ، ودخولهم المدينة المقدسة ، وظهورهم لكثيرين ،
(مت ٢٧ ، ٥٢ و ٥٣) ، ومثل ما نسبه العهد الجديد من المعجزات
الى التلاميذ وبولس .

وانه ليقبح على الرجل أن يكون مثله كمثل النعامه إذا قيل لها طيرى قالت
أنا بعير ، وإذا قيل لها احملى قالت أنا طير .

فليس للرجل ان يظهر نفسه لبعض الامور نصرانياً ، ويكون في
طواياه بالنسبة الى الإلهيات طبيعياً دارونياً ، فيسر حسواً بارتعاه ، بل اما
أن يدعن بقدرة الإله وحقيقة المعجزات ، كما جاهرت به كتب العهدين ، واما
أن يقف في صف شبلى شمىل تحت راية دارون .

ومن هذا الوباء ان جملة من أهل الكتاب ذهبوا الى ان معجزة شق

البحر الأحمر لبني اسرائيل إنما هي من حادثة المد والجزر وذلك لثلاثاً تكون خارقة لعادة الطبيعة ، حتى أنهم رسموا في الخارطة خط عبور بني اسرائيل من البحر على طرف خليج السويس بحيث يكون على طرف شواطئه التي ينحسر عنها الماء عند الجزر عادة ، حتى كأنهم لم يسمعوا من العهد القديم انه انشق الماء ودخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء ينور لهم عن يمينهم وعن يسارهم (خر ١٤ ، ٢١ و ٢٢) ، وتراكت المياه وانتصبت المجارى كرايية وتجمدت اللجج في قلب البحر (خر ١٥ ، ٨) ، وعلق اليم أمامهم ، وعبروا في وسط البحر (نح ٩ ، ١١) والله شق البحر بقوته (مز ٧٤ ، ١٣) وشق المياه قدامهم ليصنع لنفسه اسماً أبدياً (اش ٦٣ ، ١٢) ، ولو كانت واقعة البحر من حادثة الجزر لكانت هذه الكلمات غلطاً وافترافاً .

وقال الله تعالى في سورة البقرة ٥٧ : (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتى عشرة عيناً قد علم كل اناس مشربهم) وفي سورة الاعراف ١٦٠ (وأوحينا الى موسى إذ استسقى قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتى عشرة عيناً قد علم كل اناس مشربهم ، وقد ذكرت التوراة الراجحة لذلك واقعتين ضرب فيهما موسى الحجر عن أمر الله فانفجرت منه المياه .

(الواقعة الاولى) في رفيديم (خر ١٧ ، ٥ و ٦) ، (والواقعة الثانية) في برية صين (عد ٢٠ ، ٧ - ١٢) .

والقرآن الكريم لا يتعارض في أمثال هذا إلا لما كان له دخل في الإمتنان والموعظة أو الحججة ، فلأجل ذلك لم يتعرض لمحل هذه الواقعة ، إذ لا دخل له إلا في بسيط التاريخ وهو بمعزل عن شريف اسلوب القرآن الكريم . فاعترض المتكلف (به ٢ ج ص ١٦ س ١٧ و ١٨) على نقل القرآن ان موسى (ضرب الحجر فانفجرت منه المياه) ، وقال : والصواب ان

الصخرة انفجرت ماء .

قلت في توراة المتكلف : ان الله أمر موسى أن يأخذ عصاه التي ضرب بها النهر فيضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب ففعل موسى هكذا (خر ١٧ ، ٥ ، ٦) وأيضاً ، ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مراراً فخرجت مياه كثيرة . (عد ٢٠ ، ٦ - ١٢) .

قل فماذا ترى في اعتراض المتكلف ؟ أتقول انه لم ير توراته مدة عمره؟ أم تقول ان معنى اعتراضه وإن خيبط باللفظ هو ان القرآن الكريم ذكر الحجر والتوراة العربية قد سمته صخرة فهذا مبلغ اعتراض المتكلف ، فنقول ان اسم الحجر المذكور في القرآن الكريم يشمل الصخر كما هو المعروف في اللغة العربية وهو في الأصل العبراني (صور و سلع) وقد أعاد على (صور) ضمير المذكر حيث قال (ممنو) - أي منه - ، وأشار الى (سلع) باسم الإشارة الذكر فقال (هزه) - أي هذا - ، ثم نقول : ماذا على القرآن الكريم إذا خالف توراة حلقياً ، أو غيره ، أم تقول : ان المتكلف يغمز في اعتراضه الى إنكار معجزة موسى بإخراجه الماء من الحجر بواسطة ضربه له عن أمر الله ، بل يقول : ان الصخرة انفجرت ماء لمقتض طبيعى ، فكلاماً ينقل من المعجزات المخالفة لإقتضاء الطبيعة فهو خرافة ، ولكننه تحاشا من قومه ان يوجه إنكاره الى صراحة التوراة فكفى عن ذلك بإنكاره على القرآن الكريم ، أم تقول انه كثيراً ما تكلم بمثل هذا وهو لا يدري ما يقول .

واعترض المتكلف أيضاً على قول القرآن الكريم (ان الحجر انفجرت منه اثنتى عشرة عيناً) ، ومدشاً اعتراضه هو ان توراته التي عرفت حالها لم تذكر هذا العدد .

قلت : لئن أساءت التراجم للعهد القديم ترجمتها في هذا المقام ، فإن الأصل العبراني يشير الى ما يذكره القرآن الكريم من تعدد الينابيع ، وإن

لم ينص العهد القديم على عددها كعادته في إهمال ذكر المهمات واطنابه بالفضول
وهالك نص كلماته :

ويصاو ممنو ميم ، فتخرج (بضمير الجمع) منه مياه (خر ١٧ ، ٦) ،
ودبر يتم ال هسلع لعينهم وناتن ميا يو وهو صائتا لهم ميم ، وكلمة الحجر
لعيونهم ويعطى مياهه فتخرج لهم مياهاً ، ويصاو ميم ربّيم ، فخرجت (بضمير
الجمع) مياه كثيرة (عد ٢٠ ، ٨ و ١١) .

وفي المزامير في ذكر النعم والمعجزات التي صنعها الله مع بني اسرائيل
بعد خروجهم من مصر يقع صوريم بمدّ بار ويشقى كتهموت ربّاه ، يشقى
أحجاراً في البرية ويسقى كلجج كثيرة ، ويوصانوزليم مسلع ويورد كنهروت
ميم ، اخرج مجار من حجر واجرى كأنهار مياهاً ، هن هكاه صور
وياز وبو ميم ونحليم ، هو ذا ضرب الحجر ، وفاضت المياه والأودية
(مز ٧٨ ، ١٥ - ٢١) .

وهذه الكلمات متعاضدة على الصراحة بتعدد المنابع والعيون من الحجر ،
ولكن التوراة والعهد القديم يهملان النص على العدد حيث يلزم في الإمتنان
وبيان القدرة وعظيم النعمة ، وينصان على العدد حيث لا يلزم النص بل يقعان
فيه بعثرات الغلط التي لا تقال ، كما ذكرناه قريباً في عدد الملائكة الذين جاؤا
الى ابراهيم ثم توجهوا الى سدوم و جاؤا الى لوط ، وكما ذكره اظهار الحق في
شواهد المقصد الأول والثاني من الباب الثاني فوق المتكلف به في حيص وبيص
ولعل ما يجرى له ذكر إن شاء الله .

ومن أوهام المتكلف أو تنبيهاته على مواقع الاعتراض على التوراة
الرائجة هو انه افتخر ها هنا بضبطها وإتقانها لمنازل بني اسرائيل في خروجهم
من مصر ، فلا أدري انه هل يجمل خبطها في هذا الشأن ، أو يدري ويريد أن
ينبه عليه ، وهل ذلك لأجل تعلق قلبه بغير النصرانية ، أو لكي يجهل لها

اسوة بإنجيله في الخطب بالأمكنة ، كما ذكرناه في الجزء الأول صحيفة
(٢٢٣ - ٢٢٧) .

واسمع إذا خبط التوراة الرائجة في مراحل بني اسرائيل ومنازلهم فانها
تقول : ان بني اسرائيل ارتحلوا من ابيات ونزلوا في عبي العباريم ، من هناك
ارتحلوا ونزلوا في وادي زارد من هناك ارتحلوا ونزلوا في عبرارنون ، ومن
هناك الى بآره - أو بئر - ، ومن البرية الى متاناه ، ومن متاناه الى نحليئيل ومن
نحليئيل الى باموت ومن باموت الى الجواء .

وأرسل اسرائيل رسلا الى سيحون ملك الاموريين (عد ٢١ ، ١١ -
٢٢) ، ثم قالت : انهم ارتحلوا من ابيات ونزلوا في عبي العباريم (أى خربات
العباريم) وارتحلوا من الخربات ونزلوا في ديين جاد ومنها في علمون دبلا تايمه
ومنها في جبال عباريم ومنها في عربات مواب على اردن اريحا (عد ٣٣ ،
٤٤ - ٥٠) ، فانظر هذا الاختلاف وضمه الى ما ذكرناه في الصدر والتمهيد
عن عاشر التثنية (٦ و ٧) وليفتخر المتكلف باتقان توراته .

وقال الله تعالى في سورة الاعراف ١٤٦ (واتخذ قوم موسى من بعده
من حلبيهم عجلا جسداً له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً) ،
وفي سورة طه ٩٠ (فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار
فقال هذا إلهكم وإله موسى فنسى ٩١ (أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا
يملك لهم ضراً ولا نفعاً ٩٦ قال ما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا
به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها) .

فاعترض المتكلف على ذلك (يه ٢ ج ص ٥٥) بأن كون العجل له خوار
هو من خرافات اليهود القديمة ، وان الله جل اسمه لا يساعد على الاشرار
وانه لم يكن في عصر موسى شيء يقال له سامره ولا سامري فهو من التخيلات
البعيدة المستحيلة ، كما يدل عليه تاريخ بني اسرائيل بل تواريخ العالم قاطبة ،

وانه ليس لجبرائيل فرس حتى يقول : ان السامرى ألقى في فم العجل من تراب اثر فرس جبرائيل .

قلت (اولاً) : لم يقل القرآن الكريم ان العجل كان يخور هو بخوار حيوانى غير منبعت عن وضع صناعى أو روح كهر بائى ، بل قال (له خوار) - أى يسمع منه صوت كه صوت البقر - ، والفرق بين العبارتين لا يخفى على من له معرفة باللسان ، وهذا من الممكنات الواقعة فى الصناعة كثيراً حيث يقدر نفوذ الهواء وضغطه وتقطيعه على وضع خاص فينشأ منه صوت ذو كيفية خاصة مع ترجيح أو اشتغال على ما يشبه الحروف .

ومن المشاهد الشايح ان صنفاً من الساعات المجلسية يحدث عنها عند تحرك آلاتها صوت كه صوت الفاختة أو العصفور أو الديك أو ما يشبه لفظه (يا كريم) ، فيجوز أن تكون صنعة العجل الذهبى كانت على وضع يقتضى نفوذ الريح فى منافذه أن يحدث منه صوت كالخوار ، بل يجوز أن يكون ذلك من روح كهر بائى يؤثر بالهواء النافذ الى جوف عجل الذهب هذا الأثر فيجوز أن تكون القبضة التى قبضها السامرى من أثر الرسول هو شىء بصر به دون بنى اسرائيل فى قعر البحر إذ عبروا فيه فوجده يؤثر بكهر بائيته أثراً غريباً فاعمله فى واقعة العجل .

وان من المعروف ان فى البحر سمكة إذا مس الانسان ولو خيط الشبكة التى تقع فيها حدثت فيه بكهر بائيتها رعدة مزعجة جداً ، فهذا أمر لا بعد فيه أصلاً ، وعلى كل حال لم يكن الخوار فى العجل الذهبى إنشاء خلق من الله فيه بنحو خرق العادة لا من أمر طبيعى صناعى أو كيمائى أو كهر بائى ، فليس هو كأحوال عصا موسى حتى يتشبه به المتكلف لقوله (ان الله لا يساعد على الاشرار) ، نعم ان ابتلاء الله لبنى اسرائيل فى واقعة العجل والخوار إنما كان من نحو الخذلان لهم لأجل عتوهم بأن لم يصرّف بقدرته المضل عن كيدته ،

ولا الطبيعيات الصناعية والكهر بائية عن اقتضائها الذي أودعه بقدرته في نوعها كما لم يصرف عملة الأوثان عن صنعهم لها وتركيب صورتها بالصناعة وحصول صورتها بالتركيب.

وليت شعري إذا كان المتكلف يعترض في مثل هذا فما يقول في خلق الله لا يلبس رأس الضلال والمشمس في الدعوة الى الاشرار .

وانجيلهم يقول : انه اعطى من القوة ما يقدر به على ان يتصرف بالمسيح ، الذي يزعمون انه الاله المتجسد ، واقنوم الابن الذي حل عليه اقنوم الروح القدس حتى صار ينقله من مكان الى مكان ويدعوه الى السجود له . وان كان للمتكلف اعتراض فليعترض على توراته في قولها ان عصي السحرة والعرافين لما ألقوها في مقابلة موسى صارت ثعابين (خر ٧ ، ١٢) وهذا لا يكون من السحر الذي هو تمويه باطل ، فلا تكون ثعابين إلا بقدره الله تعالى ومشيئته وخلقته . . .

وفي قولها أيضاً عن كلام الله جل شأنه في فرعون ، ولكنى اشدد قلبه حتى لا يطاق الشعب (خر ٤ ، ٢١) ، فاني أغلظت قلبه وقلوب عبيده لكي اصنع آياتي بينهم (خر ١٠ ، ٢) .

وايضاً فان مقتضى التوراة الرائجة انه حينما كان هارون يصنع العجل ليكون إلهاً يعبده بنو اسرائيل ، وبني مذبحاً أمامه ونادى لعبادته ، في ذلك الوقت كان الله جل جلاله يكلم موسى في تقديس هارون للكهنوت وتمجيده بامتيازات الرياسة الكبرى ، واستعداد تويجه لتنفيذ طاعته بكلام طويل (خر ٢٨ و ٢٩) ، فهل ترى مساعدة على الاشرار أكثر من هذا .

وفي رابع عشر حزقيال عن قول الله جل جلاله ٧ لأن كل إنسان من بيت اسرائيل أو من الغرباء المتغربين في اسرائيل إذا ارتد عنى واصعد اصنامه الى قلبه ووضع معثرة ائمه تلفاء وجهه ، ثم جاء الى النبي ليسأله عنى فأنا الرب

اجيبه بنفسى ٨ واجعل وجهى ضد ذلك الانسان ٩ ، وإذا ضل النبي وتكلم بكلام فأنا الرب قد اضللت ذلك النبي وأمد يدي عليه وأبيده من وسط شعبي اسرائيل ١٠ ويحملون اثمهم كما اثم السائل يكون اثم النبي ١١ لكي لا يعود يضل عنى بيت اسرائيل .

أفلا ترى صراحة هذا الكلام بأن الله جل شأنه هو الذى أضل ذلك النبي الذى ضل وواتى بكلامه فى عبادة الأصنام والارتداد عن الله ، إذا فكيف تكون المساعدة على الاشرار ، تعالى الله عما يقولون .

(وثانياً) انا قد قدمنا فى الجزء الأول صحيفة ٩٨ و ٩٩ ان التسمية بالسامرى فى العربية والشمرى فى العبرانية غير منحصرة فى النسبة الى سمرون أو شمرون وهى البلدة التى بناها عمرى ملك اسرائيل فتسمت بها تلك المملكة ، بل يسمى بذلك أيضاً من ينسب الى سمرون أو شمرون بن يساكر بن يعقوب فراجع تعرف مبلغ جهل المتكلف والمتعرب .

(وثالثاً) إنما قال القرآن الكريم (من أشر الرسول) وان الذى قال من أشر حافر فرس الرسول إنما هى الروايات .

فينبغى للمتكلف فى ناموس الأمانة أن يوجه اعتراضه اليها أو يقيم الحجة على انها تفيد العلم بأن مضمونها هو مراد القرآن الكريم ، على انا نقول ان من المعلوم من قوانين الملة اليهودية والملة النصرانية هو ان الملائكة وإن كانوا ارواحاً إلا انهم يتشككون بأشكال الجسمانيات ، ولا يضر فى اتفاههم خروج الهدوقين من اليهود ومن علق به وباء القول بالطبيعة من الفريقين .

وان هذا الاعتراض سواء كان على الروايات أو على القرآن الكريم ليقبح كل القبح من النصرانى الذى يدعى ان كتب العهدين كتب سماوية ، فان توراته وانجيله ناطقان بوقوع أمثال ذلك من الملائكة بل والروح القدس الذى هو بزعمهم أحد أقانيم الاله ، تعالى الله عن ذلك ، وان كتبه لتقول فى

نقلها عن المشاهدة في اليقظة والعيان لا عن الرؤيا في المنام ان موسى وهارون وناداب وايسهو وسبعين من شيوخ اسرائيل صعدوا الى الجبل ورأوا إله بني اسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة وأكلوا وشربوا (خر ٢٤ ، ١٠ و ١١) .

وان الروح القدس أحد الأقانيم الثلاثة بزعمهم نزل على المسيح بهيئة جسمية مثل حمامة (لو ٣ ، ٢٢) .

وان الملائكة جاؤا الى ابراهيم ولوط بشكل رجال وأكلوا من ضيافتهما فانظر (تك ١٨ ، ١ - ٩ ، و ١٩ ، ١ - ١١) .

وان ملاك الرب قد مد طرف العكازة التي بيده (قض ٦ ، ٢١) ، وان للجنود السماوي خيلا من نار ومركبات من نار (مل ٢ ، ١١ ، ٦ و ١١ ، ٦) ، فإذا كان هذا كاهه فإذا يمنع من أن تكون لجبرائيل فرس تناسب عالمه ، وانها تحدث في الارضيات من أثرها روحاً كهربائياً .

فلا مساغ في الأدب والدين للتكلف ان يسمى نفسه نصرانياً يسلم بكتب العهدين وهو يعترض على القرآن الكريم بنحو هذا الاعتراض .
نعم إذا جاهر بمكمنونه وقال : ان نواميس الطبيعة ، وقوانين دارون تأتي هذا كاهه ، وتعدده من خرافات اليهود والنصارى والمسلمين ، فإن لنا معه موقفاً آخر .

وقال الله تعالى في سورة الاعراف في شأن موسى لما عبد قومه العجل ١٤٩ : (وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه - ١٥٣ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) .

فاعترض المتكلف على ذلك (به ٢ ج ص ٥٦ و ٥٧ بثلاثة اعتراضات :

١ - ان القرآن الكريم ذكر الألواح بصيغة الجمع الدالة على انها أكثر

من اثنين ، وان توراته تذكر انهما لوحان .

٢ - ان القرآن يدل على ان موسى لم يكسر الألواح ، بل انه لما سكنت عنه الغضب أخذها بعينها وهي صحيحة ، وتوراته تقول ان موسى كسر اللوحين ثم بعد مدة أعطاه الله لوحين آخرين .

٣ - ان موسى لم يجر أخاه من رأسه كما يفعل السفهاء .

قلت : أما عدد الألواح فقد اختلفت فيه التوراة الراجحة ، ففي بعض المقامات صرحت بأنهما لوحان اثنان حيث صرح الأصل العبراني بقوله : (شني لوحات) ، وفي بعض المقامات قال : (لوحات) (خر ٢٤ ، ١٢) ، وهذه في اللغة العبرانية كلمة جمع لا تخرج الى التثنية إلا بالتقييد بلفظة (شني) - أي اثنين - .

فالقرآن الكريم بوحيه الإلهي الصادق أبان لنا ان التوراة الراجحة أصابت في قولها (لوحات) ، ولكنها بعد ذلك حولها قلم كذب الكتبة ، كما قال أرميا الى (شني لوحات) ، كما شوه صورتها بالتناقض والتقلب والغلط في عدد الملائكة الذين جاؤا الى ابراهيم ، ثم توجهوا الى سدوم ، و جاؤا الى لوط حيث ذكرت انهم ثلاثة ، ثم قالت : انهم اثنان ثم جعلتهما واحداً (انظر تك ١٨ - ١٩ ، ٢٣) .

ثم اعلم ان القرآن الكريم بوحيه الالهى الصادق ومعارفه الحققة لينزه أنبياء الله ورسوله الكرام عن السفاهة والهتك لحرمة الله والاستخفاف بأماناته وعهوده والنكول بالغضب والتهور عن وظائف النبوة ، فلا يصح في التعاليم الحققة أن يكون موسى رسول الله وكايمه يفعل مثل ذلك ، أتقول ان موسى رسول الله يعطيه الله لوحى العهد المكتوبين باصبع الله ويأمره بأن يصنع لها صندوقاً مصفحاً بالذهب ليضعها فيه ويضعه في أشرف الأماكن المقدسة وبهذه العناية يكونان كواسطة العقد لنبوة موسى ولواء الديانة لبني اسرائيل

وأعز ودائع النبوة وأشد شعائر الله حرمة ، ومع ذلك كله يلقينها موسى من يده ويكسرهما عند الغضب ، مع انه لا يجدى كسرهما شيئاً لا في العقوبة ولا في العتاب ولا في الحث على التوبة إلا العيب والحفاة والاستخفاف بعهد الله وأمره والخيانة لأمانته والهتك لحرمة ، قل إذاً فإذا يتوقى النبي عند غضبه ؟ وأى حرمة لله يحتشم هتكها ؟ حاشا لله ورسوله موسى ، الله أعلم حيث يجعل رسالته .
ومن العجب ان المتكلف يستتر هذا بذيل أمانته ويعترض على قول القرآن الكريم ان موسى أخذ برأس أخيه يجره ويقول : ان هذا من سفهاء السفهاء ، وقد بينا لك في الجزء الأول صحيفة ٩٢ ما يمكن أن يكون وجهاً له ولكننا نقول هاهنا ان وجهه ما هو المعروف من ملازمة الأرحام وتشاكيهم عند النوائب العظيمة ، فيكون جر موسى لرأس أخيه المعاضد له في مهماته ونوائبه من باب الشكاية والتلهف كما يجر رأس نفسه ويضرب وجهه ، وإذا كان هذا من فعل السفهاء فكسر الألواح من فعل من يكون ؟ .

* * *

وقال الله تعالى في سورة البقرة ٢٤٧ : (ألم تر الى الملائكة من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم - ثم والله عليهم بالظالمين ٢٤٨ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم) .

والمتكلف (به ٢ ج ص ٢٦) قد اعترض على قوله تعالى من بعد موسى فقال الصواب من بعد القضاة .

قلت : ان القرآن الكريم لم يكن من مقصوده بيان التاريخ السنوى وتشخيص الزمان ، بل ان الذى يدخل فى مقصوده هو الظرف الذى بيّنه ، لأن المقصود هو الموعظة والتوبيخ لبني اسرائيل على ملازمتهم فى أجيالهم للتلون والتقلب ببيان انهم كانوا مع موسى رسول الله المظفر المنصور بالمعجزات والسيف وقد شاهدوا منه آيات النصر وخرجوا ببركته من الذل الى العزة ، ومن الضعف الى الشوكة ومع ذلك كانوا يتمردون على أوامره وينكصون عن دعوته حتى بدلوا دينه وتقلبوا فى طغيانهم فأبدلهم الله بالعز ذلاً وبالآمن خوفاً فجاء هؤلاء وهم أبناء اولئك القوم وعلى وتيرتهم يطلبون ملكاً يقاتلون معه فى سبيل الله مع ان القوم أبناء القوم فى التقلب والتمرد ، ولذا حذرهم نبيهم من ان يكونوا كما آبائهم إذ كتب عليهم القتال فلم يقاتلوا . . . ولكن المتكلف لا يدعه فهمه وسجيته إلا أن يقول .

فقول القرآن ان بني اسرائيل طلبوا من نبيهم بعد موسى - أى بعد وفاته - هو غلط والصواب انه من بعد صموئيل آخر قضاة بني اسرائيل .
لكي يقال له (أولاً) ان القرآن قال : (ألم تر الى الملاي من بني اسرائيل من بعد موسى) لم يقل قاوا من بعد موسى ، فإن أردت أن تتلاعب بالتراكيب حسب فهمك وأغراضك فاقصد بذلك كتابك لتكون كواحد من قومك ، وأما القرآن الكريم فانه مرصود بالعناية الإلهية ، ويفتكر فى تبديلك ألوف عديدة من حفاظ أطفال المسلمين .

(وثانياً) ان كتابك يقول : ان الذى طلب منه بنو اسرائيل ان يجعل لهم ملكاً هو نفس صموئيل ، وان طالوت (شاول) ملك فى حياة صموئيل انظر (١ صم ١٠ - ٢٥ ، ١) ، وتوارىخكم تقول : ان مدة ملكه فى حياة صموئيل كانت خمساً وثلاثين سنة ولم يلبث بعد موت صموئيل إلا نحو أربع سنين مع ملك متضعع ، وافتراق داود وجملة من بني اسرائيل عنه .

فكيف تقول (والصواب انه من بعد صموئيل آخر قضاة بني اسرائيل)
فأفق ثم تكلم في مثل هذه المقامات بعد أن تعرف ما في كتابك أقلاً .
واعترض أيضاً على حكاية القرآن الكريم لقول بني اسرائيل :
(اخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فقال انه لم يكن أحد سبي بني اسرائيل ، ولا
اخرجهم من ديارهم ، بل انهم طلبوا الملك ليقتضى لهم ويحارب حروبهم
ويخرج امامهم .
قلت : ان العهد القديم مع تفريظه في الحقائق التاريخية ، ليس كذب
المتكلف في دعواه .

أفلم ينظر مدة عمره في سفر القضاة ليرى تساط الامم على بني اسرائيل
من بعد يوشع ، وان الله غضب عليهم فدفعهم بأيدي ناهبين نهبهم وباعهم
بيد أعدائهم حولهم (قض ٢ ، ١٤) ، وباعهم بيد كوشان ملك آرام النهرين
وضرب ملك عمون بني اسرائيل وملك مدينة النخل (٣ ، ٨ و ١٣) ، وباعهم
الرب بيد يابين ملك كنعان (٤ ، ٢) ، ودفعهم ليد مديان حتى انهم عملوا
لأنفسهم الكهوف والمغائر بسبب تساط المديانيين ، وإذا زرعوا تنهبه الامم
ولا يتركون لهم قوتاً ولا بقرأ ولا غنماً ولا حميراً (٦ ، ٢ - ٦) وان الله دفعهم
ليد الفلسطينيين أربعين سنة (١٣ ، ١) فلم يزل بنو اسرائيل عرضة لإضطهاد
الملوك تعميم النواب أو تتناوب على قبائلهم .

أفلا يكفي المتكلف هذه الأحوال في صدق قولهم أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا ، وهل قال القرآن الكريم انهم قالوا سينا بجمعنا الى آشور أو الى بابل .
واعترض أيضاً على تسمية القرآن الكريم لهذا الملك (طالوت) فقال
وصوابه شاول .

قلت : سماه القرآن الكريم بوصفه الذي امتاز به عن جميع بني اسرائيل
وهو طول القامة وبسطة الجسم .

والعهد القديم يقول : انه وقف بين الشعب ، فكان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق ، وانه ليس مثله في جميع الشعب (١ صم ١٠ ، ٢٣ و ٢٤) ، فسماه القرآن طالوت تنويهاً بامتيازته ، كما يقال كهنوت وجبروت وملكوت .

واعترض أيضاً على قول القرآن الكريم (قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) .

قلت ان الذى جاء الى صموئيل لينصب لهم ملكا لا بد أن يكونوا رؤساء بني اسرائيل وشيوخهم ، كما ذكر (١ صم ٨ ، ٤ - ٦) .

وبحكم العادة والإعتبار بأحوال البشر وخصوص بني اسرائيل فى مثل هذه الواقعة أن يكون كل واحد من هؤلاء الرؤساء يرجو أن يكون هو الملك ويجد فى نفسه انه هو الأولى بذلك لرياسته وكبر سنه ، والعادة المطردة تقتضى ان الشيوخ والزعماء وأهل الثروة لا يدعون إذا وقع الإختيار على من هو دونهم فى السن والشرف والرياسة والثروة ، بل لا بد أن يقولوا ان الإختيار الذى هو لصالح المملكة ينبغى أن يقع على ذى شرف ورياسة تنقاد له النفوس ، وذى ثروة تعينه على مهمات الملك ، وذى سن قد بصرت التجارب وممارسة حوادث الأيام ، وذى قبيلة عظيمة تفي بمنعته .

فلا بد بحكم العادة للشيوخ الذين طلبوا الملك أن ينكروا تملك شاول دونهم مع انه شاب من أصغر العشائر فى اسباط بنيامين ، وكتاب المتكلف يقول : ان قبيلة بنيامين قد قاربت ان تنقرض فى أيام القضاة (فض ٢٠ و ٢١) ويقول : ان بنى بلعياى (١) قالوا فى حق شاول كيف يخلصنا هذا واحتقره فلم يقدموا له هدية (١ صم ١٠ ، ٢٧) ، ومعنى قولهم هذا هو معنى ما حكاه القرآن من قولهم .

(١) كلمة شتم شتم بها الكهنة اولاد على الكاهن ١ صم ١٢٠٢ وداود ٢ صم ١٦، ٧

ومن المعلوم ان الذي يقدم هدية للملك إنما هم الاشراف والرؤساء الذين يدبرون أمر العامة في طلب الملك وتبريكة .

وأما هتاف الشعب بقولهم ليحيي الملك (١ صم ١٠ ، ٢٤) فيجوز أن يكون بعد اعتراض الملأ والرؤساء على تملك طالوت ، وبعد أن غلبتهم آراء الجمهور انقياداً لصموئيل فتم القرار على تملكه ، ويجوز أن يكون من عامة الشعب ما عدا الرؤساء . . .

فالعهد القديم على ما به من الخلل لا يعارض القرآن الكريم في هذا المقام ، كما توهمه المتكلف ، بل هو مع انحلال نظامه يحاول المعنى الذي ذكره القرآن الكريم ولكنه لم يحسن بيانه .

وقال تعالى في سورة البقرة في تسمية المقام المتقدم ٢٤٩ : (وقال لهم نبينهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) .

فاعترض المتكلف (به ٢ ج ص ٢٨) على قول القرآن : ان التابوت تحمله الملائكة ، فقال : لم يرد في كتاب الله ان الملائكة حملت التابوت وأدخلته الى بيت شاول علامة على الملك .

قلت : وقد ذكرنا لك في التصدير حال العهد القديم على وجه لا يبقى لذي اللب أدنى زكون اليه ، فكيف بالإعراض به على القرآن الكريم ، ولماذا لا يقال ان كلمة (تحمله الملائكة) قد سقطت منه كالكلمات التي تذكر الحواشي انها تقرأ وهي غير مكتوبة في المتن وجزت التراجم على تنبيه الحواشي . . . وأيضاً ان العهد القديم يذكر ان الفلستينيين لما ردوا التابوت من عندهم الى بني اسرائيل « فعلوا فعلاً لا يمضى معه التابوت الى بني اسرائيل إلا بنحو خارق العادة يدعون بأنه من آيات الله ، كما أشار عليهم بذلك كمنتمهم وعرفوهم (١ صم ٦ ، ٦ - ١٠) ، وذلك انهم وضعوه على عجلة ربطوا بها

بقرتين مرضعتين لم يعلمهما نير وارجعوا عنهما ولديهما ، فاستقامت البقرتان في الطريق الى طريق بيتشمس ، وكانتا تسيران في سكة واحدة وتجاران ولم تميلتا يميناً ولا شمالاً وأقطاب الفلستينيين يسرون ورائهما الى تخم بيتشمس حتى أتت العجلة تسير بها البقرتان على هذا الحال الى حقل يهوشع البيتشمسي ووقفت هناك فأنزل اللاويون تابوت الرب (١ صم ٦ ، ٧ - ١٦) ومن المعلوم في العادة ان مثل هاتين البقرتين لا ينبغي أن يتحركا خطوة واحدة ولو كان لهما عدة من السائقين والقائدين لأجل انهما لم تعلما على وضع نير على أعناقهما وعلى جر الثقيل خلفهما ، بل يلزمهما في العادة في كل آن ان تشمصا وترجعا الى ولديهما الذين ارجعا عنهما .

فكيف تسيران عدة أميال على الإستقامة في الطريق الى حقل يهوشع بلا قائد ولا دليل .

وهل هذا التسخير إلا من الآيات وخوارق العادة وتصرف الملائكة ، فهو راجع في الحقيقة الى قول القرآن الكريم تحمله الملائكة ، ولم يقل القرآن ان الملائكة حملت التابوت وأدخلته بيت شاول ، بل إنما قال ذلك المتكلف من تحريك ذلك الروح الذي اخبر عنه ميخا (١ مل ٢٢ ، ٢٢) ، وإنما قال القرآن لبني اسرائيل (يأتكم التابوت) فيكون صدق النبي بمجيء التابوت من حيث لا يحتسبون على نحو معجز هو اية ودليلا على صدقه بقوله ان الله جعل طابوت ملكاً ، والعهد القديم يخبر بمجيء التابوت على هذا الوجه بنحو لا يكون إلا من تصرف الأرواح السماوية وهم الملائكة .

واعترض المتكلف أيضاً على قوله تعالى في وصف (التابوت فيه سكينه) فقال وصوابه شخيناً وهي كلمة عبرية معناها الروح ، أو مأخوذة من شاخونة ومعنى سكن ، وقد سبقه المترجم الى هذا الاعتراض (ذ) ص ٨٦ .

قلت : السكينه مأخوذة من السكون بمعنى الطمأنينة - أي روح تقتضي

سكون بني اسرائيل وطمانيتهم بها - ، وكفى عنها في الأحاديث بالريح باعتبار سريان روحها وبركتها الى بني اسرائيل ، كما تروح الريح الطيبة ، وتنعش بسريانها ، ووصفت مجازاً بأن لها وجهاً كوجه إنسان باعتبار ان روحانيتها وبركتها لها وجهة واحدة تراعى بها بني اسرائيل دون غيرهم من محاربيهم الذين يقذفهم ادبارها عنهم بالريح والوبال .

وأما دعوى المتكلف والمتعرب بأن السكينة في القرآن مأخوذة من شيخنا وشاخونة فنشأها أمور :

(١) تحاملها على القرآن كلام الله ، (٢) جهلها أو تغافلها عن وجود مادة سكن ويسكن وسكون في اللغة العربية ، (٣) بخلها على اللفظة العربية ان توافق العبرية بالنون التي في سكينة وشخيئا ، (٤) بخلها بأن يعرب القرآن لفظ شخيئا بلفظ سكينة ، (٥) بخلها بأن يذكر القرآن أمور بني اسرائيل بألفاظ عربية أو معربة (٦) عدم مبالاةها بما يقولون فوا أسفاه على الأدب وحرية الضمير .

واعترض المتكلف أيضاً على القرآن الكريم في قوله في التابوت انه :
(فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون) ، فقال : والحقيقة انه لم يكن فيه سوى لوحى العهد .

قلت : ان توراة حلقيا أو غيره ، والتي عرفت حالها من التصدير وغيره وإن لم تنص على ما وضع في التابوت الاعلى لوحى العهد ، ولكن العهد الجديد كتاب المتكلف مما ينبه على خللها في هذا المقام ، وانها أهملت ما هو لازم الذكر ، فانه يقول وتابوت العهد مصفحاً من كل جهة بالذهب الذي فيه قسط (أى كوز ، أو حقة) من ذهب فيه المن وعصا هارون التي افرخت ولوحا العهد (عب ٩ ، ٤) .

فالعهد الجديد يقول أيضاً : ان التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل

هارون ، بل ان التوراة الرائجة ربما يظهر منها هذا وإن لم تنص على وضع المن والعصا في التابوت ، بل ذكرت ان موسى أمر هارون بأن يجعلهما أمام الشهادة للحفاظ في أجيال بني اسرائيل (خر ١٦ ، ٣٢-٣٥ و عد ١٧ ، ١٠) ، ولكن المتكلف تبعثه بواعثه على الاعتراض على القرآن كلام الله وهو لا يدري بما في كتبه أو يستره بذيل أمانته .

واعترض المتكلف أيضاً على قول القرآن الكريم (إذ قالوا النبي لهم وقال لهم نبينهم . . .) ، فقال : ان هذا لعدم معرفته باسم النبي الذي مسح شاول ولا يخفى انه صموئيل .

قلت : لم يكن المقام لبيان دعوة ذلك النبي واجتهاده في إعلان الحق ليجده القرآن بذكر اسمه ، بل ان وصفه بالنبوة أحسن دخلا في توييخ بني اسرائيل على فارطهم إذ طلبوا مع وجوده ملكا وردوا عليه في تعيين الملك عن أمر الله . . .

ولكن العهدين الذين ينصان على الأسماء بلا داع خصوصاً في الفضائح فانها قد اهملا ذكر كثير من أسماء الأنبياء وغيرهم مع اقتضاء وضع الكتاب أو المقام لذكرها فقيه ، وكان لما صرخ بنو اسرائيل الى الرب بسبب المديانيين ان الرب أرسل رجلاً نبياً الى بني اسرائيل وقال لهم الى آخر مو عظته وتوييخه لهم ودعوتهم الى الإيمان (قض ٦ ، ٧-١١) ، وجاء رجل الله الى عالي (١ صم ٢ ، ٢٧) وإذا بنبي تقدم الى اخاب ، فتقدم النبي ، فتقدم رجل الله ، وان رجلاً من بني الأنبياء قال لصاحبه عن أمر الرب ، فذهب النبي فعرفه ملك اسرائيل انه من الأنبياء (١ مل ٢٠ ، ١٣-٤٢) .

ودعا يشع النبي واحداً من بني الأنبياء فانطلق الغلام الغلام النبي (٢ مل ٩ ، ١ و ٤) وإذا واحد من الذين مع يسوع مديده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه (مت ٧٦ ، ٥١ و مر ١٤ ، ٤٧ ولو ٢٢ ، ٥٠) ،

وانجيل يوحنا يذكر ان الضارب هو سمعان بطرس ، واسم العبد المضروب ملحق (يو ١٨ ، ١٠) وهذا قليل من كثير .

وقال الله تعالى في سورة البقرة في تنمة قصة طالوت ٢٥٠ : (فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم) .

والعهد القديم لم يذكر هذه القصة في تاريخ طالوت (شاول) وذكر ما هو قريب منها في تاريخ جدعون (قض ٧ ، ٤ - ٧) ، فخير للمتكلف وهمه ان يعترض على القرآن الكريم (يه ٢ ج ص ٢٩) بأنه نسب قصة جدعون الى شاول ولم يجر على ما هو المذكور في قصة جدعون ، وجرى التكيف على هذا الوهم أيضاً (يه ١ ج ص ١١٠ و ١١١) .

قلت أولاً : ما المانع من أن يكون لطالوت قصة تشابه قصة جدعون ولم يذكرها العهد القديم في أحوال طالوت - أي شاول - كما ان التوراة الرائجة ذكرت حنوك - أي اخنوخ - وهو السابع من ولد آدم ، واهملت اولى أحواله بالذكر وهي نبوته التي ذكرها العهد الجديد (يه ١٤ - ١٧) وذكرت ابراهيم واهملت اولى أحواله بالذكر وهو بدء دعوته وظهور الله له وهو فيما بين النهرين من أرض الكلدانيين حينما أمره بالهجرة منها ، كما ذكره العهد الجديد (١٠ ع ٧ ، ٢ و ٣) .

واهملت كتب العهدين أمراً مهماً في البيان والموعظة ، وهو مخاصمة ميخائيل رئيس الملائكة مع ابليس محاجاً عن جسد موسى وما دار بينهما من القول والإحتجاج ، كما أشار اليه العهد الجديد بالإيجاز الخمل (يه ٩) ، وأغفل الحادى والعشرون من سفر يشوع ذكر أربع مدن عما يرجع الى اللاويين وهي باصر ، ويهصه ، وميفعه ، وقد يموت ، ومسارحها ، فذكرتها الحواشي والتراجم بين العدد ٣٥ والعدد ٣٦ من الأصل العبراني اخذاً من سفر

الأيام الاوول ص ٦ ، ٦٣ ، و ٦٤ من الأصل العبرانى .
وأهملت ثلاثة من الأناجيل ما ذكره لوقا (٧ ، ١١ - ١٦) من احياء
المسيح لابن الأرملة فى نايين ، كما أهملت ثلاثة منها أيضاً ما ذكره حادى عشر
يوحنا من احياء لعازر .

ودع عنك أمثال ذلك بما هو كثير . . . (وثانياً) : يجوز أن
يكون كاتب سفر القضاة فى أحد أدواره قد خبط فحرف قصة طالوت ونسبها
الى جدعون ، كما خبط انجيل متى فحرف كلاماً فى كتاب زكريا (١١ ، ١٢
و ١٣) ونسبه الى كتاب أرميا مع انه لا يوجد لذلك فيه عين ولا أثر ، وقد
ذكرنا ذلك فى التصدير ، وذكرنا أوهام المتكليف فيه .

(سفر القضاة)

وثالثاً ان سفر القضاة الذى نسب الواقعة الى جدعون قد اختلفوا فيمن
ينسبونه له ، كما نقله إظهار الحق فى الفصل الثانى من الباب الاوول ، ونقله
المتكليف (يه ١ ج ص ١٠٩) عن هورن حيث قال : ذهب البعض الى ان
هذا السفر نزل على فينحاس ، وذهب البعض الآخر الى انه نزل على حزقيا
أو أرميا أو حزقيال أو عزرا ، إنتهى .

ومثل هذا الكتاب لو لم تعبت به صروف الأيام لما كان له اعتبار واحد
من كتب التواريخ مع هذا الإختلاف فى مصنفه .

وقولهم نزل على فينحاس ونزل على حزقيا إنما هو غلط وخيانة فى الكلام
فان فينحاس وحزقيا لم يقل أحد يعرف قدره بأنهما كانا نبيين ، وان بين فينحاس
وعزرا نحو ثمانمائة سنة .

فما ظنك بكتاب يتردد أمره بين كونه تصنيف نبى أو غير نبى وبين اناس
تكون المدة بين طرفيهم نحو ثمانمائة سنة .

ودع عنك الكلام في ان هذا الموجود هو المولود بهذه الولادة المبحوث عنها ، أو انه تعددت فيه المواليد وتعاقبت على اسم الأول ، وهل يجديه نفعاً دعوى هورن بأنه أجمع علماء اليهود والمسيحيين بعد التحقيق على انه نزل على صموئيل وهو آخر قضاة بني اسرائيل .

أفلا تدري ان أمر الكتب ومعلومية نسبتها الى مصنفها هو شيء لا ربط له بدعوى إجماع العلماء بعد التحقيق ، وإنما يؤخذ العلم به من النقل المتواترين العلماء والعوام من الملة بدون شبهة تحتاج الى التحقيق ، بل متى احوج الوقت الى القيل والقال عاد أمر الكتاب الى انهن الدائم . . وأيضاً فانك تعلم قد مضت عليهم دهور في ديانتهم وجلائهم كانوا فيها بحكم العدم ، ثم انتعشت جمعيتهم بعد سبي بابل كالطفل المولود جديداً ، وليس لهم من يذكروهم شيئاً من كتب أسلافهم إلا عزرا ، فصارت جمعيتهم بعد ذلك تتطلب آثار أسلافها فتحفل بما يخادعها به الوقت احتفالها بالحقائق حيث تموه عليها الأمانى والحرص على آثار السلف انه هو ضالتها المطالبة ، (وانى وقد عصفت عليها عواصف البلا) فتداركوا التفريط بالإفراط ، فلا عذر لأحد عند الله فى الإعتماد على اتفاقهم مع ما لله علينا من الحجج وأسرها ما نشاهده من تعبد اليهود فى جميع نسخ العالم لكتاب العهد القديم العبرانى بالوضع المملوء بالغلط الفاحش بجميع أنواع الغلط ، كما يعرف ذلك من متنه والتراجم والحواشى والقرائن القطعية فتعلم من ذلك بالعلم اليقين انهم أخذوا جميع ما عندهم من نسخة واحدة مشوهة بما يملأها من الغلط فاحتفلوا بها بالتعبد بصورتها ، كما ذكرنا ، (فان قلت) ان تعبدهم بأجمعهم بصورة النسخة المغلوطة التى تذكرها لا ينافى وجود نسخ صحيحة كثيرة فى وقتها ، (قلت) إذا جوزت عليهم هذا الفرض كان البلاء أعظم ، فان كل سبب تفرضه لصر فهم عن النسخ الصحيحة الى التعبد بهذه النسخة المغلوطة بهذا الغلط الفاحش هو كاف فى سخافة الإعتماد على نقلهم

واتفاقهم ، فتحرر رشديك وافتكر في هذا الشأن .
 وأما المسيحيون فلا تغتر بجرية أفكارهم وانتشار كتبهم في هذه الأدوار
 ولا تتوهم ان قديمهم كحديثهم في حرية الفكر وانتشار الكتب وتداول البحث
 بين عموم جامعتهم لكي تتوهم من اتفاقهم شيئاً ، بل ان أفكارهم في أمر الديانة
 والكتب في القديم كانت مستعبدة لأحكام المجامع المؤلفة من بعض الاساقفة
 بحكم الامراء والسلاطين لقطع النزاع ، وسد باب البحث في مبادئ
 الديانة واعتبار الكتب . . .

ولا يلزم أن نقول ان هؤلاء كانت تلجأهم الدواعي الى التواطى على
 تسليم أمر مشكوك أو ممنوع ، بل يكفي ان نقول ان الشواهد وكلمات كتابهم
 تكشف لنا عن ان مبادئ آرائهم المتفقة في أمر الكتب هي أمور اعتبارية ،
 أقواها اتفاق اليهود على الكتاب الفلاني من العهد القديم ، (وقد عرفت حال
 كتبهم وحال اتفاقهم فيها) ، أو مشابهة بعض ألفاظ الكتاب لكلمات
 الاسقف الكبير الفلاني والعالم الكبير الفلاني في القرن الثاني أو الثالث أو
 الرابع ، أو استشهاد الاسقف الفلاني ببعض فقرات الكتاب ، أو اشتمال
 التاريخ على مضامين الكتاب .

كما ان هذه الامور غاية ما أمكن المتكلف أن يأتي به لتصحيح كتبه ، كما
 تعرفه من كتابه في الجزء الأول ص ٧٩ - ١٥٧ والجزء الثالث والجزء الرابع
 ص ٢ - ١٥٥ .

وهب انا وثقنا وعلينا بصحة نقل الإستشهاد عن الاساقفة القدماء ،
 واعتمدنا على استشهادهم ولكن ذلك بعد اللتيا والتي لا يفيد إلا الظن التقليدي
 بصحة خصوص ما استشهدوا به من الفقرات ، وأما سائر الكتاب فهو في
 رهن الشك والريب إن لم يمنع من صدقه مانع داخلي أو خارجي ، بل وكذا
 لو أشار ذلك الأسقف الى اسم الكتاب فمن أين يحصل الإطمئنان بأنه هو هو

وقد مضت قرون كثيرة وأمر الكتب والنظر فيها ممنوع على عموم الأمة مختص
بأناس مخصوصين .

وقد وجدنا التحريف البديهي في التراجم والمطابع حينما تحررت الأفكار
وانتشرت الكتب بيد العامة وصارت منظورة للعموم تراصد عليها فرق الروم
والكاثوليك والبروتستنت ، فوا غوثاه لها إذ كان أمرها مختصاً بأناس معدودين
ممنوعاً عن نظر العموم . .

وقد توفى المتكلف والمتعرب لأن يكون من فعليهما في كتابيهما شاهد
صدق على وباء التحريف .

وكذا الكلام في التاريخ فانا لو فرضنا ان التاريخ القطعي قد وافق السفر
الفلافي في طرف من منقولاته فكيف تتم الشهادة على ان ذلك السفر كاه
صحيح لا ريب فيه .

ومن ذا يرضى لنا أن نقول بأن عيد الشعالب في شهر ابريل عند سكان
روما هو مأخوذ من قصة شمشون في سفر القضاة (١٥ ، ٣ - ٦) .
فكل سفر القضاة إذا حق لا ريب فيه ، كلا لا يرضى أحد منا
بذلك ، بل يقال لنا : ان هذا التقدم في المعرفة قد اخذ امتياز المتكلف
(يه ١ ج ص ١١١) .

وأيضاً لو كان سفر القضاة تصنيف صموئيل لكان ينبغي أن يتم فيه
تاريخ بني اسرائيل الى زمان التصنيف ، ولا يقطعه في أثناء المدة الفاصلة بينه
وبين تاريخ سفر يوشع فيقطعه على حرب بني اسرائيل لقبيلة بنيامين مع ان
بين هذا الحرب وبين موت صموئيل بمقتضى تقويم أهل الكتاب نحو ثلاثمائة
وست وأربعين سنة ، ولا أقل من أن يكمل التاريخ الى حين تملك شاول ،
ولا يقطعه قبل ذلك بنحو ثلاثمائة وعشرين سنة ، وهذا كاف في نفي نسبه الى
صموئيل فضلاً عما ذكرناه .

(سفر صموئيل)

(و رابعاً) لو أعرضنا عن جميع ما ذكرناه في أسفار العهد القديم لقلنا
يكفي كون المصنف لكتاب صموئيل الأول مجمولا ، فيجوز أن يكون ممن
يجوز عليه أن يكون جاهلا بقصة طالوت وجيشه في ابتلائهم بالنهر ، ولا تغتر
بتسمية الكتاب باسم صموئيل فتقول انه تصنيف صموئيل النبي كما زعم المتكلف
جازماً به (يه ٤ ج ص ١١٧) قائلاً ان سفرى صموئيل النبي نزلا عليه وهما
معنونان باسمه ، فان هذا من الغلط الفاحش وذلك لأن أول الاصحاح الخامس
والعشرين من صموئيل الأول يذكر موت صموئيل النبي ، واستمر بعد ذلك
في سبعة اصحاحات يذكر الحوادث التي وقعت بعد موته الى حين موت شاول
فكيف يكون الكتاب تصنيف صموئيل النبي .

وزد على ذلك ان سفر صموئيل الثاني كله في تاريخ ما وقع بعد وفاة
صموئيل النبي بعدة سنين .

فاعتبر بهذا وتفطن الى ان بعض الناس لا يتحاشون عن الجزم بنسبة
الكتاب الى النبي وإن خالف المعقول ، والله عليك بهذا حجة .

وقال الله جل اسمه في سورة الأنبياء ٧٨ (وداود وسليمان إذ يحكمان
في الحرت إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ٧٩ ففهمناها سليمان
وكلا آتيناه حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) .

فذكر المتكلف رواية بأن داود قضى بقضاء وخالفه سليمان فعدل داود
الى قضاء سليمان ، فاعترض المتكلف على ذلك (يه ٢ ج ص ٩١) ، وقال
لا يعقل ولا يتصور ان سليمان كان يتعقب أحكام والده ، وكيف يرضى داود
بتغيير الحكم أمام رعيته .

قلت : جاء في تفسير علي بن ابراهيم بسند صحيح معتمد عن أبي عبد الله الصادق وهو الإمام السادس من أهل البيت أحد الثقلين اللذين لن يفترقا ، ان المتحاكين في هذه الواقعة جاءا الى داود فقال : اذهبا الى سليمان ليحكم بينكما ، وأراد بذلك أن يعرف بنو اسرائيل ان سليمان وصيه من بعده فذهبا الى سليمان فحكم بينهما ، فكان حكم داود كذلك ، ولم يختلفا ولو اختلفا لقال الله تعالى وكنا لحكيمها شاهدين بتثنية الحكيم ، فدل توحيد الحكم على ان ذلك الحكم الواحد هو حكمها معاً .

وأما قوله تعالى : (ففهمناها سليمان) ، فليس المراد منه تخصيص فهم الحكومة بسليمان دون داود ، بل المراد بيان النعمة على سليمان بتفهمه تلك الحكومة حين لم يكن قد جاءته كآبيه داود نوبة النبوة والسفارة الإلهية وتسديد الإلهام في لوازم الرياسة الدينية ، وفصل القضاء ، بل كانت هذه النوبة لداود ، وكل منهما قد حباه الله بهذه النوبة في وقته ، وآتاه حكماً وعلماً مؤيداً له في نوبته .

ثم نقول للتكلف الذي يقول ان كتب العهدين كلام الله السميع العليم كيف يقول لا يعقل ولا يتصور ان سليمان كان يتعقب أحكام والده ، أيقول ذلك لأجل ورع سليمان وديانته ، نعم وهو الورع الذي علم الله أهليته للنبوة ولكن كتاب وحى المتكلف يقول : ان سليمان كان له سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية (١ مل ١١ : ٣) وهذا محرم في التوراة على الملك في اسرائيل (تث ١٧ ، ١٤ - ١٨) .

ويقول : انه « وحاشاه » ذهب وراء الأصنام وبنى لها المرتفعات وآثار العبادة (١ مل ١١ ، ٤ - ١١) .

فمن كان يصدر منه هذا فكيف لا يعقل ولا يتصور ان يتعقب أحكام والده ، أم يقول المتكلف ان هيبة داود وسطوته كانت تمنع من ذلك بحيث

يكون مما لا يعقل ولا يتصور .

قلنا : فإن كتاب إلهامك يقول : ان ابشالوم بن داود أيضاً فعل ما هو من هذا النحو وأعظم وأشنع ، (انظر ٢ صم ١٥ - ١٨) ، وانظر من ذلك (١٦ ، ٢٠ - ٢٣) .

وأما قول المتكلف (وكيف يرضى داود بتغيير الحكم أمام رعيته) ، فليس له ان يفصل القضية فيه بالإنكار ويقول (كيف يرضى) ، بل عليه ان يردد في كلامه ويقول يبعد من داود عليه السلام ان يخطأ نفسه ويعدل الى حكم العدل ان صح ما يذكره العهد القديم من فعله مع اوريا وامرأته (٢ صم ١١) واغضائه عن ابنه امنون وما فعله بأخته (٢ صم ١٣) واغضائه عن ابشالوم ابنه وبكائه وجزعه عليه (٢ صم ٨ ، ٢٩ - ٣٣) ، مع ما أشرنا اليه من فعل ابشالوم .

وينبغي لداود أن يعدل الى حكم العدل ، ولا يبالي بتخطئة نفسه ، إذا صح عنه ما ذكره العهد القديم عن قوله الإلهامى ، لأنى حفظت طرق الرب ولم اعص إلهى (٢ صم ٢٢ ، ٢٢ و مز ١٨ ، ٢١) .

(تسبيح الجبال والطير مع داود)

واعترض المتكلف أيضاً على قوله تعالى فى الآية المتقدمة (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) .

فقال : ان الذى خص بالعقل والبيان ، والإعراب عما فى الجنان هو الانسان فقط لا الجماد ولا الحيوان ، وقال أيضاً (يه ٢ ج ص ١٠٥) ان الجبال والطير لم تسبح ولن تسبح ، وإنما لسان حالها ناطق بحكمة الله وقدرته وجودته .

قلت : قد جاء في الزبور الرائج تسبيحه السموات والأرض والبحار وكل ما يدب فيها (مز ٦٩ : ٣٤) يمجدي حيوان الصحراء الذئاب وبنات النعام (اش ٤٣ ، ٢٠) .

وفي المزمور المائة والثامن والأربعين (١ - ١٤) ما ملخصه سبجيه أيتها الشمس ، والقمر ، والكواكب ، وسما السموات ، والمياه التي فوق السموات والتنانين ، وكل اللجج ، والنار ، والبرد ، والثلج والضباب ، والجبال والاكام والوحوش ، وكل البهائم والطيور ، وملوك الأرض ، وكل الشعوب والاحداث والعذارى والفتيان .

وفي تاسع عشر لوقا ٣٨ - ٤١ لما كان التلاميذ يسبحون الله قائلين مبارك الملك الآتي باسم الرب ، فقال بعض الفريسيين للسيح انتهر تلاميذك فقال لهم أقول لكم إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ .

وان مثل هذه الامور ليست بجميع أنحاء مما كانت المقدمات البديهية تستلزم الحكم بامتناعها ، ولا سبيل في ذلك حتى للطبيعي فانها يمكن أن تكون لها حقائق غيبية لا يمس الجحود الأعجمي شرف امكانها وحقيقتها ، فإن من أودع في الأشياء قوة ينشأ منها مثل التلغراف والفونغراف وسائر الآثار العجيبة ، وأودع في الحيوان والانسان ما يجده من القوى لا يمتنع عليه (سواء كان إله حق قادراً أو طبيعة عمياء) ان يودع في الأشياء قوة ينشأ عنها التسييح وشبهه على نحو ممكن ، ولكنه لا يمكن اكتشاف غيبه بقوى البشر العادية إلا برصد النبوة وإعلان الوحي ، كما لا تنكشف القوى الكهر بائية والكيمائية إلا بالخوض في حكمتها بالبحث ومزاولة التجربة .

وقد اخبرت كتب الوحي بهذه الحقيقة الغيبية ، فليس لمن يقبل تلك الكتب أن يجحدها ، بل ان الطبيعي الجاحد لكتب الوحي لا يصح في أصوله

فيما يشبه هذه الامور إلا أن يقول لم تثبت ولم يدل عليها دليل ، أو لا سبيل الى إثباتها وإن أمكن ثبوتها .

وقال الله تعالى في سورة سبأ ١٠ : (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أو بي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير) .

فقال المتكلف (به ٢ ج ص ١٠٥) لم يسمع ان داود كان حداداً وان الله الآن له الحديد .

قلت : لم يكن داود بهذه الكرامة حداداً ، بل كان ملكاً نبياً حباه الله بهذه الكرامة ، وان بعض السلاطين العظام في هذا القرن من جملة كالاته انه ممتاز في عمل النجارة ، وربما يشرف امرأته من عناياته بصناديق صغار بديعة الصنعة للمحابر ونحوها حيث تشرفت بعنايته ، فلا يقال لهذا الشخص الكبير انه نجار ، فكذا لا يقول أحد ان داود كان حداداً واما (ان الله الآن له الحديد) ، فلا يسمع به سماعاً شافياً من أوقر التعصب على القرآن اذنيه .

فمن أين يسمع المتكلف ويدعن بذلك ، والحال ان القرآن كلام الله عدوه في تثلثه وطريقة تبشيره ، وان منقولات اليهود طالما يقول انها خرافة ، وأما منقولات العرب فهو يتصامم عنها ، فلم يبق إلا العهد القديم ، وتاريخ الوثنيين القدماء من الغربيين .

أما العهد القديم فقد ذكرنا لك قريباً ان سفرى صموئيل الاوّل والثاني لا يمكن أن يكونا من كتابة صموئيل النبي لأن أكثر ما ذكر في تاريخ شاول وداود في السفر الاوّل وجميع تاريخ داود في السفر الثاني إنما كان بعد موت صموئيل النبي ، فهما إذاً كتابان نكرتان من أصلهما فضلاً عن تلاعب الأيام بهما وتعدد مواليدهما ، فمن هو كاتبهما حتى يقال كتب أو لم يكتب ، ومع ذلك

فهو مشغول بحكاية امنون مع اخته ثار ، وداود مع اوريا وامراته وابشالوم مع سرارى أبيه ، فالانسب بحال هذين أن لا يذكر مثل هذه الكرامة لداود . . . وأما الغربيون فزيادة على وحشيتهم العامة في ذلك الزمان لم تكن لهم علاقة مع الشرق ولا تردد يذكر .

وإنما حدث التردد والإرتباط بعد ذلك لليونان والرومانين بعد قرون متطاولة يزيد على الستمائة سنة .

وزيادة على ذلك ان هذه الكرامة مما تنفر منه اصول الوثنية ، فلا يمكن أن تدخل في تاريخ الوثنيين ، ولا تناسبه ، بل يرفقوا عليها لتصاموا عنها . . .

فهل تجد ذكراً في تاريخ الوثنيين من المصريين والغريين لمعجزات موسى الظاهرة بين أوف من الناس .

فهل تجد ذكراً لشق البحر وعبور بني اسرائيل من وسطه والماء عن يمينهم ويسارهم ، كما ذكرته التوراة ، أم هل تجد ذكر الحديث تعيشهم من المن أربعين سنة في البر ، ولم تبل في هذه المدة ثيابهم ونعالهم (تث ٢٩ ، ٥) وهل تجد ذكر الحديث انفجار الماء من الصخرة معجزة لموسى بسبب ضربة لها بالعصا عن أمر الله حتى شرب بنو اسرائيل وسقوا إبلهم وأنعامهم ، وهم مشآت من الأوف .

أم هل تجد في تاريخ الوثنيين ذكراً لأعمال المسيح كما تذكره الاناجيل من احياء الموتى وشفاء العمى والخرس والمرضى كلاً لا تجد شيئاً من ذلك ، فان الناس لا يكتبون شيئاً يناقض اصولهم ، بل ان كثيراً ممن يقول بنبوة موسى ووحى التوراة قد خالف التوراة وأخرج حادثة شق البحر عن موضوعها الاصلى ، وكونها آية لموسى ، بل جعلها من حادثة المد والجزر ، والمتكلف أيضاً اعترض على القرآن في قوله : ان موسى ضرب

الحجر فانفجرت منه المياه ، وقال (يه ٢ ج ص ١٦) : والصواب ان الصخرة انفجرت ماءً .

* * *

وقال الله جل اسمه في سورة سبأ ١١ : (وسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ١٢ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوان وقدور راسيات .

فقال المتكلمف (يه ٢ ج ص ١٠٥) لم يسمع أحد ان سليمان كان يطير على الرياح ، وانه كان ينتقل من مكان الى آخر في طرفة عين ، ولم يسمع تليين النحاس له أو انه كان بأرض اليمن فان سليمان كان في اورشليم وان الذين بنوا الهيكل هم العملة لا الجن ، فان الجن اسم بلا مسمى .

قلت : ان غرض القرآن الكريم هو بيان النعمة على سليمان والتكريم له بتسخير الريح لأمره بحيث يكون غدوها شهر ورواحها شهر ، ومع عظيم هذه النعمة والكرامة فلا مداخللة في هذا الغرض لبيان كيفية تسخير الريح ، وكيف يتصرف بها ومن أين تغدو وإلى أين تروح ، وبأى شيء تجيء وبأى شيء تذهب ، فانه لا مداخللة لذكر هذه الخصوصيات إلا في التاريخ المحض الذي ليس من وظيفة القرآن الكريم .

وأما الأحاديث الأحادية المختلفة فلا تكون حجة قاطعة في تعيين مراد القرآن حتى يقال فيه كيف ، ولماذا .

ولا يلزم أن يكون تسخير الريح لسليمان من الحوادث التي يلزم أن يعلم بها كل أحد وتسطر في كل تاريخ ، بل يجوز أن تكون تجرى في مقاصد سليمان حسب أمره على نحو يحسب عامة الناس انها تجرى بهيئتها الطبيعية ، (فإن قلت) لو كان لذلك أصل أو أثر لذكرته كتب الوحي المتعرضة

لأحوال سليمان وتاريخه من كتب العهد القديم كسفر الملوك الاول وسفر الايام الثاني ، فان مثل ذلك بجميع أنحاءه لا يخفى على الانبياء ، ولا ينبغي أن يهملوا ذكره .

(قلت) : انا نجاريك في أول الكلام على غرتك فنقول لك ان سفر الملوك الاول صريح في انه لم يستوف تاريخ سليمان ، لانه يقول في آخر تاريخه ما نصه : (وبقيّة أمور سليمان وكل الذي صنعه وحكمته أما هي مكتوبة في سفر أمور سليمان (١ مل ١١ ، ٤١) ، ولا تقل ان سفر امور سليمان المشار اليه هو سفر الايام الثاني ، وذلك لأن سفر الايام الثاني غير مختص بأمر سليمان حتى يسمى بها ، بل يذكر ملوك يهوذا من سليمان الى سبي بابل . وأيضاً فإنه لم يستوف ما ذكره سفر الملوك الاول في أمور سليمان ، ولم يزد عليه بشيء ، فانظر (١ مل ٢ ، ١٢ - ١١ ، ٤١ ، ٢ ، ١١ - ١ - ٩) .
نعم قد يختلفان في شيء غلطاً على أحدهما أو كليهما في النقل ، كما تخالفاً في نقلهما لصلاة سليمان ، (انظر ١ مل ٨ : ٥٠ - ٥٤ ، و ٢ اى ٦ ، ٣٩ - ٤٢) .

والذي يزعم ان سفر الملوك الاول من كتب الوحي فإنه يتجه عليه الإحتجاج من نفس السفر المذكور على أمور ، وهي ان النبي وكتاب الوحي قد لا يستوفى التاريخ ، وان سفر الملوك الاول لم يستوف تاريخ سليمان وان هناك كتاباً اسمه سفر أمور سليمان فيه بقيّة أمور سليمان وكل الذي صنعه ، ولا شك ان هذا الكتاب غير موجود في كتب العهد القديم لا باسمه ولا بوصفه فإذا ان بقيّة أمور سليمان ، وكل الذي صنعه غير مذكورة في كتب العهد القديم . . .

وأيضاً كيف يدعى ان سفر الملوك الاول هو كتابة نبي عن الوحي ، إذا فليقل مدعي ذلك انه كتابة - أي نبي من الانبياء - وإلى أي الانبياء وصله

النقل المتواتر ، أفلا ترى انه لم يحسر على تعيين كاتبه حتى خبط العشواء ،
وغاية ما في مكابرات المتكلف دعواه بأن سفرى الملوك وسفرى أخبار الأيام
كتابات جملة من الأنبياء ، فانظر (يه ٤ ج ص ١١٧) ، ولعله يقول والبرهان
الشافى الكافى على ذلك هو اتفاق الملوك الاول (٢٢ ، ١٩ ، ٢٣) ،
والايام الثانى (١٨ ، ١٨ ، ٢٢) على نسبة الخيرة الى الله جل شأنه فيمن
يعوى (اخاب) حتى اهتدى روح الكذب للرأى فاستعان بقدرته وصواب
رأيه (تعالى الله عما يقولون) . .

فلم يبق على كتاب التاريخ إذا كان كذلك فضلا عن الكتاب الذى ينسب
الى ارحى ، وقد ذكرنا لك فى التصدير حال العهد القديم ، ولاجل ذلك
قد اشتغل سفر الملوك عن ذكر تسخير الريح لسليمان وأمثال ذلك من
الكرامات بذكر شركه (وحاشاه) فى آخر عمره ، وذهابه وراء آلهة
اخرى ، وبنائه السوارى والمرتفعات وشعائر العبادة للأوثان ، فانظر
(١ مل ١١ ، ٤ - ٩) .

فمن أين يسمع المتكلف بتسخير الريح لسليمان ، ومن أين يعلم بإسالة
عين القطر ، وكيف يهتدى لمعاد القرآن الكريم من ذلك .
وأما تسخير الجن فى عملهم لسليمان فقد ذكرنا لك فيما تقدم صراحة
العهدين كثيراً بوجود ما يسميه القرآن جنأ وجانأ على وجه تعرف ان الكتابي
إذا أنكر ذلك فقد جحد كتابه واقفى أثر (دارون) ، وإذا عرفت ذلك
عرفت شطاط المتكلف فى قوله : (ان الذين بنوا الهيكل هم العملة لا الجن) ،
فان القرآن الكريم لم يقل ان الجن الذين بنوا الهيكل لم يكونوا عملة بل
قال : ان الجن كانوا عملة ، ولم يقل كان لكل واحد منهم سبعة رؤس وعشرة
قرون وعلى قرونه عشرة تيجان لى يعرف الناس انه من الجن لا من الإنس
بل كانوا على صور بنى آدم ، كما يقول العهد القديم ان الملائكة جاؤا الى

ابراهيم على صورة ثلاثة رجال ، فدعاهم لان يستريحوا ويغسلوا أرجلهم
ويسندوا قلوبهم بكسرة خبز وعمل لهم ضيافة وجلسوا تحت الشجرة وأكلوا
(تك ١٨ ، ١-٩) .

وجاء الى لوط على صورة رجلين فدعاهما الى ضيافته وأكلا عنده ولم
يكن يعرف في أول الأمر انها ملكان ولم يعرفهما قومه ، بل استداروا
بالبيت ليفعلوا بهما الفاحشة حسب عادتهم مع الناس فساء ذلك لوطاً وصار
يعمل التدابير في صرفهم عن ضيفه ، (انظر تك ١٩ ، ١-١٠) ، وان الملك
جاء الى منوح وامرأته بصورة رجل (قض ١٣ ، ١-١٧) فلا يعرف ان
عملة سليمان كانوا من الجن إلا من ناحية النبوة والوحي .

وقال الله تعالى في سورة النمل ١٦ (وورث سليمان داود وقال يا أيها
الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين ١٧ وحشر
لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) .

فقال المتكلم (يه ٢ ج ص ٩٩ و ١٠٠) ، فالقرآن ناطق صراحة
بأن الطيور تعقل وتدرك وتتكلم وتنطق بحكم يعجز عن الإتيان بمثلها العلماء
من بني آدم وهو غلط جسيم ، فان الله سبحانه وتعالى خص الإنسان فقط
بالنطق والعقل والبيان ، وعليه فيكون سليمان كذب على الناس والطيور أو
يكون ما نسب اليه هو الكذب وهو الصواب ، وثانياً هل كانت الطيور
والحشرات في عصره تعقل وتدرك ثم جردها الله من العقل الآن قلنا انها
لا تزال واحدة كما كانت فمن نسب اليها الإدراك هو الذي غلط ، وثالثاً لم
يكن لسليمان جنود من الجن ، بل كانت جنوده من الامة الاسرائيلية فقط
وتقدم انه لا يوجد شيء يقال له جن وما نسب الى سليمان من معرفة لغة
الطير هو من خرافات اليهود ، فتوسع فيها القرآن وخالها حقائق واقعية وهي
خرافات وهمية لا أصل لها .

قلنا : انا نشاهد ان الحيوانات تصوت عند مقاصدها وأحوالها بأنحاء مختلفة تتفنن فيها كما وكيفاً ووضعاً ، وإن كنا في أغلبها لا نميز لها حروفاً من حروفنا المألوفة ، ولكن الوجدان والتبصير شاهدان بأن كل من لا يعرف لغة فانه لا يميز حروفها إذا سمع من يتكلم بها ، بل يشذ عن سماعه كثير من حروفها فيحسبها صوتاً مشتملاً على حرفين أو ثلاثة وإن كانت في الحقيقة مشتملة على جميع أنواع الحروف ، فإن العربي إذا سمع الزنجي أو الهندي أو التركي أو الانكليزي مثلاً يتكلم لم يميز من حروفه إلا قليلاً ، ويخفى بل يشبهه على سماعه أغلب منطوقها مع انها الحروف الموجودة في اللغة العربية ولكن اللهجة وخرابة اللغة وجهل المعنى تحول بين السمع وبين تمييز جميع الحروف بحدودها .

ولأجل ما ذكرناه اختلج في أذهان بعض الحكماء أن يرصدوا أصوات بعض الحيوانات في مختلفات أحوالها ومقاصدها لكي يعرفوا وضع لغاتها وحروفها ، وأظن الذي صدمهم عن ذلك انهم لم يتصوروا لهذا العناء العظيم في المدة الطويلة نتيجة تخرجه عن حدود العبث وتضييع الوقت .

والحاصل ان الجزم بأن الحيوانات ليس لها في تفننها بأصواتها أو وضعها تنطبق على مقاصدها كما ينطبق كلام البشر على مقاصدهم إنما هو جزم لا يساعد عليه دليل ولا برهان ، ولا مشاحة بأن يدعى ان لغات الحيوانات أبسط من لغات البشر كبساطة لغة الطفل في مبادئه نطقه مثلاً ، وقد شاهدنا من الأطيوار البيغاء الأخضر والأسود وهو يتكلم بكلام البشر في موارد كثيرة تمرن عليها ووجدناه يستعملها معهم في بيان مقاصده .

هذا وأما كون الحيوانات تدرك فهو مما لا ينبغي أن يرتاب فيه ذو إدراك وإنما الكلام في ان إدراكها هل هو محض شعور بالموارد الجزئية وإن صدرت منها الأفعال العجيبة والأحوال الباهرة من حيث الصناعات والحيل والذائكة

أو ان هذه الإدراكات الجزئية ناشئة عن تعقل للكليات وتطبيقها على الموارد الجزئية ، ولا سبيل الى البرهان القاطع على انها لا تعقل الكليات ، نعم لا مشاحة في دعوى كونها مهما بلغت أبسط من نوع البشر في أنحاء المعقول ، وإن كان من البشر من اوحا كته بعض الحيوانات وقالت له بأى حق وبأى إنصاف انك تدعى انك تعقل وان الحيوانات لا تعقل لضاق على العدل مجال الحكومة ، أو حكم لها إذا شرحت له من أحواله وأقواله ما يزيد في السخافة على عبثيات الجحش ، وانك لترى في البرابرة المتوحشين كثيراً من ذلك ، وإذا نظرت الى حيل ابن آوى في كفيات صيده وتخلصه من أذى الناس وسائر الأذى ، وإلى الهرة في صيدها وتعليم أولادها ، وإلى النحل في صناعة بيته وانتظام أمره ، وإلى الأطيوار في صناعة أعشاشها العجيبة ومعرفتها بأوكارها القديمة وإلى القرد في أفعاله وحيله في مقاصده ، وتنبعت في أحوال الحيوانات فإفك تقف قهراً عن الحكم بأنها لا تعقل .

وكيف تحكم وان من منحك العاقلية لا يمتنع عليه ان يمنحها إياها أيضاً كما منحها الشعور ، فإن كان لك عقل فلا بد أن تقول ان عاقلتها في حيز الإمكان ولو لم يدل عليها دليل .

دع هذا فانا لو اقتصرنا فيها على الإدراك شعورى لجاز أن تكون متكلمة بشعورها ، وكاشفة عن مقاصدها وأحوالها بأصواتها على أنحاء متمايزة مبنية على اصطلاحات خاصة ودلالات كاشفة ، وإذا أوضح الوحي ذلك فلا مساع لإنكاره .

وإن من حرمه سوء الحظ بالإيمان بذلك الوحي فليس له أن يطعن عليه في اخباره بهذا الأمر الممكن .

ولم يقل القرآن الكريم ان الطيور كانت تكلم سليمان باللغة العربية أو الجيماوية فعلمه الله لغتها لكي يعترض المتكلف ويقول : (انها الآن ليست

كذلك ولا تزال واحدة كما كانت) ، وإن كان المعترض على قول القرآن كتابياً فقد نزع نفسه من الايمان بكتبه ، فان توراته تقول ان الحية كانت أحيل جميع الحيوانات البرية ، وكلمت حوا بخداع المغالطة حتى أغوتها وحملتها على الأكل من الشجرة ، فقال الله للحية : لا نك فعلت هذا ملعونة أنت ، على بطنك تسعين و تراباً تأكلين كل أيام حياتك ، وان نسل حوا يسحق رأسها وهي تسحق عقبه انظر (تك ٣ ، ١٠ - ١٦) .

وفي عاشر متى ١٦ فكونوا حكاء كالحيات ، وفي الخامس والثلاثين من أيوب ١١ الذى يعلمنا أكثر من وحوش الأرض ويجعلنا أحكم من طيور السماء ، وفي السابع عشر من الملوك الاول ٦ وكانت الغربان تأتي ايليا بجبن ولحم صباحاً وجبن ولحم مساء ، فالعهدان يقولان : ان فى الحيوان ما هو ذو حيل ومخادعة وتعقل وكلام وكذب وحكمة ، فأين المتكلف عن هذا عند اعتراضه

وقد ذكر الله تعالى فى القرآن الكريم واقعة الهدهد وملكة سبأ وعرشها وجميها الى سليمان ، فانظر الى سورة النمل من الآية ٢٠ - ٤٥ .
فقال المتكلف (به ٢ ج ص ١٠٠ و ١٠١) وهذه الخرافة من الخرافات اليهودية ذكرت فى كتبهم ومن اوتى ذرة من التميز لا يقبلها ، ولم يرسل سليمان عفريتاً من الجن وسرق عرشها ولم يأت بأخبارها هدهد ولا غير ذلك من الخرافات الفاحشة الدالة على ان الهدهد أعلم من سليمان .

قلت : ليس لمن يعرف قدره ان يحكم على الشيء بأنه خرافة حتى يقيم البرهان على امتناعه عقلاً كما امتناع اجتماع النقيضين ، وليس له أن يتشبث بامتناعه العادى إذا كانت واقعة مرتبطة بقدرة الله وكرامته الخاصة لا نبياؤه وأوليائه ، كما لا ينبغى أن يعترض بمجرد الاستبعاد والامتناع العادى على ما يذكره العهدان فى كرامات موسى وهارون ، ويوشع ، وايليا ،

واليشع ، والمسيح ، وبطرس ، وبولس .
وإنما للمعتز في المقام أن يطالب بمستنده فإن كان كتاب الوحي
فليطالب بسنده وحجته إن لم يسعده التوفيق على الطلب لذلك بنفسه ليفوز
بنعمة الايمان وينجو من هلكة الجحود الاعمى .

وليس له في قانون الادب وشرف الانسانية ان يجعل جهله الاعمى حجة
على الانكار على كتاب الوحي ، وليس مما ذكره القرآن في هذا المقام شيء ممنوع
عقلاً ، ولا يلزم منه أن يكون الهدهد أعلم من سليمان مطلقاً ، بل ان سليمان
إسان يجوز ان لا يعلم من البلاد مثل من شاهدها ، وان أراد المتكاف الخرافة
التي تبطل بها دعوى كون الكتاب إلهامياً فلينظر أقلها الى ما تذكره التوراة
الرائجة إذ تقول ان الله جل شأنه وتعالى صار يعقوب الى طلوع السحر ،
ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق نخذه فانخلع حق نخذ يعقوب في مصارعتة
فقال له اطلقني لأنه قد طلع السحر فقال يعقوب لا اطلقك إن لم تباركني ،
فقال له ما اسمك ؟ فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل
يسرائيل (أى يجاهد الله) لأنك جاهدت مع الله ومع الناس وقدرت ، وسأل
يعقوب وقال اخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي ؟ وباركك هناك فدعا
يعقوب اسم المكان فنيثيل (أى وجه الله) لأنني نظرت الله وجهاً لوجه
ونجيت نفسي وأشرقت له الشمس وهو يجمع على نخذه (تك ٣٢ ، ٢٤ - ٣٢)
وبقوته جاهد الله (هو ١٢ ، ٤) .

فلسان حال التوراة الرائجة في منقولاتها يقول : لا تليق البركة ولا
تهناً إلا ليعقوب ، إذ لم يتحمل فيها منة وذلة ، فمرة أخذها من أبيه بغلبة
المخادعة والكذب (تك ٢٧ ، ١ - ٣٧) ، ومرة أخذها من الله
(تعالى شأنه) بغلبة القوة . . ولعله لذا لا يسمح الكتاتيون بمثل هذه البركة
لغير ذرية يعقوب .

ولينظر المتكلف الى ما يذكره الملوك الاول (٢٢، ١٩ - ٢٣) والايام الثاني (١٨، ١٨ - ٢٢) من ان الله (ع يهوه) جل اسمه جلس على كرسيه وكل جند السماء وقوف عن يمينه ويساره ، فقال من يغوى (اخاب) ؟ فقال جند السماء هذا هكذا وذاك هكذا ، (ولكن المقدسون من جند السماء لم يهتدوا الى الرأى) ، وخرج الروح ووقف أمام الله وقال : أنا أغويه فقال بماذا ؟ فقال اخرج وأكون روح كذب فى أفواه جميع أنبيائه فقال : انك تغويه وتقدر فاخرج وافعل هكذا .

فماذا يقول المتكلف فى هذا ؟ ولماذا لا يقول أفلا انه يلزم من ذلك ان يكون روح الكذب أعرف بصواب الرأى وأقدر على رفع الحيرة ، ولينظر المتكلف الى ما تذكره أناجيله (مت ١٠، ٤ - ١٠، ٤ ولو ١٠، ٤ - ١٠، ٤) من ان المسيح بعد نزول الروح القدس عليه وامتلائه منه وصومه أربعين يوماً جاءه ابليس ليغويه فأخذه من البرية الى اورشليم وأوقفه على جناح الهيكل ثم أخذه أيضاً الى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك المسكونة ومجدها فى لحظة من الزمان وقال له اعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى . ولماذا لا يقول المتكلف يلزم من ذلك أن يكون ابليس قادراً على التصرف والتنقل بأقنوم الاله والاله الذى توشح الطبيعة البشرية وهو أقدر منه على ارادته ممالك المسكونة بلحظة من الزمان . . فانا نقول ان ابليس يقل ويقصر عن أن يفعل مثل ذلك مع النبي الرسول .

وقد عرفت من جميع ما قدمناه ان المتكلف طالما تغريه طواياه باللجاج فى الاعتراض على القرآن كلام الله وهو لا يدري بما فى كتبه ، فمن ذلك اعتراضه على نقل القرآن الكريم لتسخير الشياطين لسليمان ، فقال (يه ٢ ج ص ٩٧) ان الشياطين أرواح شريرة لا شغل لها سوى الافساد ، ولا يتصور ان من كان دأبه هكذا يخترع الاختراعات التى تنفع (قلت) انها وإن كانت

من حيث طبعها كما ذكر ، ولكنها كانت في عملها لسليمان مسخرة من الله له مقهورة على طاعته ، كما تذكره الأناجيل انها كانت تطيع المسيح وتخاف منه كما ذكرنا بعضه فيما تقدم في خلق الجن .

ويذكر العهد الجديد انها كانت تطيع التلاميذ وبواس (لو ١٠ ، ١٧ و ع ١٦ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٩ ، ١٢) .

ومن ذلك اعتراضه على ذكر القرآن الكريم تسخير الريح لسليمان حيث قال ما حاصله لا يابق هذا بحكمة الله وقدرته ، كأن الله أشرك سليمان في ملكه ، (قلت) وهذا كلام من لا يعرف للشرك التوحيد معنى حيث جعل تأليه المسيح وتثليث الاقانيم توحيداً ، وجعل نعمة الله على أوليائه بالكرامة شركامع الله في ملكه .

وليت شعري ألم يسمع أقل من أناجيله ان المسيح قال لتلاميذه لو كان لكم من الإيمان مثل حبة خردل لكتنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم (مت ١٧ ، ٢٠ و مر ١١ ، ٢٣ و لو ١٧ ، ٦) ، وكل شيء مستطاع لله من (مر ٩ ، ٢٣) ، فلماذا يكون تسخير الريح لسليمان مشاركة لله في ملكه ولا يكون هذا كذلك .

وقال الله تعالى في سورة البقرة ٩٦ (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملوك ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر) . « الآية »

فاعترض المتكلف (به ٢ ج ص ٢٠ - ٢٣) على ذلك بوجوه (أحدها) انه لم يكن في عهد سليمان شياطين يعلمون الناس السحر .

قلت : لا ينبغي للكتابي المتبع لكتبه أن ينكر وجود الشياطين ، ولا ينبغي أن ينكر تصديقهم لاضلال الناس وتعليمهم الضلال بكل نحو ،

أفلا ينظر المتكلف أقل إلى ما في العهد الجديد وقوله في الدجال الذي يجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وآيات وعجائب كاذبة (٢ تس ٢ ، ٩) على أنه يجوز أن يراد من الشياطين شياطين الانس ، كما حكى عن المسيح أنه قال لبطرس : إذهب عنى يا شيطان (مت ١٦ ، ٢٣) وسمى يهوذا الاسطحري بوطى شيطاناً (يو ٦ ، ٧٠ و ٧١) .

(ثانيهما) ادعى أن مراد القرآن أن الله أنزل السحر على الملوك ، فأخذ يقول : حاشا المولى أن يصنع عثرة لبني آدم بأن يقيم معلمين خصوصيين لتعليم الناس الضلال .

قلت : لا يدل القرآن الكريم على أن المنزل على هاروت وماروت هو السحر الممحص للضلال ، بل أن سوق القرآن وخصوص عطفه على السحر ظاهر في أنه شيء مقابل للسحر فيكرن من الأسماء الفعالة في الخير والشر ولذا كان الملوك يحذرون من يعلمانه ويقولون له إنما نحن بما عندنا فتنة وامتحان فلا تكفر باستعمال ما نعلمك في الشر كما تفعل بالسكينة المعمولة لمنافع البيت فتستعملها في قتل النفوس المحترمة ، وكالسموم المخلوقة للمنافع تستعملها في إهلاك النفوس فيتعلمون منها ما يستعملونه بضلالهم في التفرقة بين المرء وزوجه ، ولا يستعملونه في منافعهم ، بل يتعلمون ما يعقبهم الضرر بغوايتهم ولا ينفعهم حيث رغبوا عن منفعته إلى اقتراح أهوائهم وضلالاتهم ، هذا هو مقتضى دلالة القرآن الكريم ومقتضاه أن هاروت وماروت لم يكونا ضالين ولا مضالين ، بل لا يعلمان أحداً حتى ينبهانه على وجه الامتحان ويحذرانه عن الضلال والكفر ، كما يحذر بائع السموم لاستعمالها في الأعمال الطبيعية والكيمائية ونحوها عن استعمالها في إهلاك النفوس .

وهذا ليس كصراحة كتب وحى المتكلف بأن الله يمكن النبي الكاذب والدجال الداعين إلى الشرك من المعجزات والأعاجيب والآيات

ليمتحن عباده (تث ١٣ ، ١ ، ومت ٢٤ ، ٢٤ و مر ١٣ ، ٢٢ و ٢ تس ٨ ، ٢ - ١٢) .

(وثالثها) زعمه ان عبارة القرآن تفيد ان الملائكة غير معصومين ، وقال : ان الملائكة هم معصومون عن الخطيئة لأنهم خدام الله القائمون بطاعته وإنفاذ أمره .

قلت : قد قدمنا انه لا دلالة في القرآن الكريم على الطعن في هاروت وماروت ، بل ذكر انهما يؤدبان الناس وينبهاهم على مواقع الامتحان ، ويحذرانهم من الضلال والكفر ، ولو عولنا على اخبار الأحاد لما كان فيما ذكرته في شأنهما منافاة لعصمة الملائكة فانها تذكر انهما خرجا عن عنوان الملائكة المعصومين حيث ركبت فيهما الشهوة الحيوانية .

(ورابعها) انه لم يرد بأن اليهود نسبوا الى سليمان الكفر .

قلت : إن لم ينسبوا له الكفر فقد نسبته اليه الكتب التي يزعمون انها كتب الوحي ، فانظر (١ مل ١١ ، ٤ - ١١ و ٢ مل ٢٣ ، ١٣) ، والقرآن الكريم تعرض لهذا الافتراء الباطل .

(وخامسها) ان الملكيين ظهرا ببابل وسليمان في اورشليم فكأنه ظن ان بابل هي اورشليم .

قلنا إذا قلت أنت ان المتكلف يعلم في مصر بالتعاليم التي قررها المجمع النيقاوى ، فهل تريد ان زمان المجمع وزمان المتكلف واحد ، وان نيقية هي مصر ، وهل لأحد أن يعترض عليك ويقول لك لماذا تظن ان نيقية هي مصر وماذا تقول لمن يعترض عليك بهذا الاعتراض .

والمتكلف لم يأت ببدع في إنكاره لما ذكره وحى القرآن الكريم في أحوال داود وسليمان ، بل لو ان العهدين ذكراهما مفصلة ، وان سفر الملوك الاول لم يحل في بقية أمور سليمان وكل الذي صنعه على سفر أمور سليمان ،

وان سفر سليمان كان موجوداً وهو يشرح هذه الأحوال لكان للتكلف اسوة
واقتهاء في إنكار ذلك بكثير من قومه الذين أنكروا كثيراً بما صرح به
العهدان كتب وحيهم .

وقد ذكرنا لك جملة من ذلك في الجزء الأول صحيفة ١٢٥ - ١٢٧ ،
وأشرنا الى الطوايا الباعثة على إنكار ذلك ، وتزيد على ذلك في هذا المورد
الاسباب المقتضية للمجاهرة بالتحامل والتعصب على القرآن الكريم ، فلا
حاجة الى تكرار حال العهدين في سندهما وكتبتهما وابتلائهما بالتقلب وما
شحنتهما به الاهواء لكي تعلم ان عدم ذكرهما للحقائق لا يمس شرفها بمقدار
ما يقضى العين ، وان فرضناهما كتب تواريخ معتبرة ، كيف وهذه الحقائق
بما لا يصل اليه ولا ينبىء عنه إلا الوحى الذى لم يضعه الضلال ولم تبلمه الحوادث
ولم يشوه كتابه التحريف والتبديل .

* * *

وقال الله تعالى في سورة الاعراف ١٦٣ : (واسألهم عن القرية التي
كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيمهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً
ويوم لا يسبتون لا تأتيمهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ١٦٦ فلما عتوا عما
نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) .

فقال المتكلف (به ٢ ج ص ١٧ و ٥٩) ما ملخصه انه حاشا لله أن يجرب
عباده على اقتراف المنكر ويجعل الحيتان تأتى يوم السبت ولا تظهر في باقى
الأيام ، قال يعقوب الرسول ان الله لا يجرب أحداً بالشروع ولكن كل
واحد إذا يجرب انجذب وانخدع من شهوته .

وان عقاب المولى لهم بمسخهم قردة وخنازير من الخرافات ولا يوجد لذلك
أثر في التوراة ، والقرآن جرى في ذلك حسب مذهب اوثنيين القائلين بالتناسخ .
قلت جاء في التوراة الرائجة اذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك

آية أو اعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلفك عنها قائلنا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدوها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم وكل أنفسكم (تث ١٣، ١٠ - ٤) .

وهذا الكلام يعطى ان امتحان الله وتجربته لعباده قد يقطع بإظهار الآية والاعجوبة على يد الكاذب الداعى الى الشرك ويعطيه حجة على ضلاله كما يعطيها للنبي الصادق الداعى الى الحق .

وفي العهد الجديد فى حديث الدجال الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة ، وبآيات وعجائب كاذبة ، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ، ولأجل ذلك سيرسل اليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم (٢ تس ٢ ، ٩ - ١٣) .

ولا يخفى عليك ان مثل هذا لا يجوز على جلال الله ولطفه وعدله ، فانه إذا جاز ان يمكن الله الدجال أن يعمل بكل قوة ويأتى بآيات وعجائب فمآذاتكون إذا حجة النبي الصادق المرسل من الله بدعوة الحق ، وكيف يعذب الله من يصدق الدجال ؟ وبماذا يعلم ان هذا الذى أرسله الله هو عمل الضلال أفلا يصح حينئذ من صدقه أن يقول ان الدجال قد جاء بمثل ما يجيء به الرسل من الحججة الباهرة أو أكبر فان كان اولئك صادقين فالدجال مثلهم أو أولى منهم بالصدق لأن قوائمه وآياته وعجائبه إن لم تكن أكبر فهمى مثل حججهم ، وإن لم يكن هذا النحو حجة فمآذاتكون اعرف الصدق لكي يصح عقابي على عدم الإيمان به ، وهكذا الكلام فى الأنبياء الكذبة الذين ذكرت الاناجيل انهم يعطون آيات عظيمة وعجائب (مت ٢٤ ، ٢٤ و مر ١٣ ، ٢٢) .

وهذا بخلاف تكثير السمك يوم السبت فإنه ليس فيه تمويه الضلال
ببرهان الحق وحجته ولا فيه إغراء بالضلال .
ألا ترى ان تكثير الزايات في البلد وتكثير الخمر ليسا إغراء بالزنا
وشرب الخمر ، وإنما هو امتحان لصاحب الإيمان المستودع والتقوى الإدعائية
لكي يظهر غشه ويبرز كامن فسقه وضلال ريائه ، كما انه امتحان أيضاً لثابت
الإيمان وصادق التقوى ليظهر كماله في طاعته وتقواه فيضعف أجره ويرتفع
مقامه ، كما امتحن الله ابراهيم بذبح ولده ، انظر (تك ٢٢ ، ١ - ١٩) ، ولا
شك ان كثرة الحيتان يوم السبت لا تميل بالنفس عن التقوى والطاعة
كلاماً بربذبح الولد .

وأما تشبث المتكلف بما حكاه عن رسالة يعقوب فهو واه من وجوه
(أحدها) انه كتابه فليحتج به على نفسه وليفرح بذلك ، (ثانيها) انه لو كان
معناه كما يحاول لكان مناقضاً لما ذكرنا من كتبه ، فانه ان كان تكثير السمك في
السبت تجربة بالشر فالأمر بذبح الولد تجربة بشر منه واعطاء القوات والآيات
والعجائب للمتنبئ والحالم والدجال يكون تجربة بشر الشرور ، (ثالثها) ان
الذي في رسالة يعقوب لا يواتيه على مزاعمه ، فان معناه ان الذي صار غلوياً
لا ينسب الاغواء الى الله لأن الله لا يغوى أحداً بل الخاطيء يغوى إذا
انجذب وانخدع من جهة شهوته ونفسه الأمارة فان الشهوة إذا جبلت ولدت
خطيئة انظر (يع ١ ، ١٣ - ١٦) فان المتكلف قد بتر منقوله وشوشه .

وأما صيرورتهم قردة فهو عبارة عن تحول صور أجسامهم الى صور
أجسام القردة ، ومادة الصورتين واحدة ، وهو المسمى في الإصطلاح
بالمسخ وهو مباين للتناسخ ، فان التناسخ عبارة عن تحول النفس وحدها من
جسم الى جسم آخر مباين له في المادة والصورة .

وان المسخ ممكن في قدرة الله ، وقد ذكر العهدان وقوعه فقد ذكرت

التوراة ان امرأة لوط صارت في آن واحد عمود ملح (تك ١٩ ، ٢٦) وجاء في انجيل لوقا عن قول المسيح في علامات القيامة ووقوع الهلاك ، كما في أيام نوح ولوط ، في ذلك اليوم من كان على السطح وأمتعته في البيت فلا ينزل ليأخذها والذي في الحقل كذلك لا يرجع الى الوراء اذكروا امرأة لوط (لو ١٧ ، ٢٦ - ٣٦) ، إذا عرفت ذلك فقد اخبر الوحي بوقوع هذا الأمر الممكن فليس إنكاره إلا الجحود .

ولم يذكر القرآن الكريم ان هذه الحادثة وقعت في أيام موسى حتى يعترض المتكلف بكون التوراة الراتجة لم تذكرها ، فان أراد من التوراة بمجموع العهد القديم فقد عرفت وتزداد يقيناً إن شاء الله بأنه لا بأس على الحقائق إذا خلا منها العهد القديم ، فان عذره في ذلك مقبول ، كما ستسمعه إن شاء الله تعالى .

* * *

وقال الله تعالى في سورة البقرة ٢٦١ : (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف نشزها ثم فكسوها لحماً فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير .

والمتكلف (يه ٢ ج ص ٣١ و ٣٢) في مقام الاعتراض هاهنا عدة أوهام (الاوول) روى عن مجاهد ان الرجل المذكور في الآية كان كافراً شك في البعث ، فاعترض عليه بأن الله خاطب هذا الرجل بقوله تعالى : (كم لبثت) والله تعالى لا يخاطب الكافر .

قلت : لماذا لا يخاطب الله الكافر في مقام الحججة والموعظة والتوبيخ ، وان كتب المتكلف تذكر ان الله تعالى خاطب الحية التي أغوت حواء (تك ٣

١٤ و ١٥) ، وخاطب (أبي مالك) ملك جرار (تك ، ٢٠ ، ٣ - ٨) وخاطب الشيطان (اى ، ١ ، ٧ - ٢ ، ٧) .

(الثانى) اعترض أيضاً بقوله تعالى (آية للناس) فقال وهذا اللفظ لا يستعمل فى حق الكافر وإنما يستعمل فى حق الانبياء .

قلت ان الله لم يقل له قد أرسلتك رسولا للناس وجعلت لك هذه الآية حجة مصدقة لك على دعوى الرسالة ، بل قال الله جل اسمه (ولنجعلك آية للناس) وحجة عليهم فى أمر المعاد فى القيامة ، وإنما سيئله فى ذلك كسييل ما يحكيه الإنجيل الرابع فى قصة انقلاب الماء خمرأ إذ قال فيه وهذه بدأت الآيات فعلها يسوع (يو ، ٢ ، ١٢ - ١٣) ، أفيقول المتكلف ان الخمر المنقلب عن الماء كان نبياً لأنه قيل فيه (آية) وإنما يستعمل ذلك فى حق الانبياء ، نعم لا يبعد فيه أن يقول .

(الثالث) قوله : لو كان لهذه القصة أصل فى كتب الوحي الإلهي

لذكر اسم هذا الشخص .

قلت : وهذا الوهم ينحل الى أوهام (أحدها) يعرفه كل من مارس القرآن الكريم وعرف منه انه لم يكن متبعاً فى مواضع قصصه وحججها أحاديث العهدين (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) كما اختلفت كتب العهد القديم فى قصصها والاناجيل فى منقولاتها .

(وثانيها) ان من عرف من القرآن انه كتاب هدى وموعظة وحجة

وتمجيد للأنبياء والصالحين ليعرف انه لم يتعلق غرضه فى قصصه إلا بهذه الفوائد فيقتصر فى قصصه على ما يؤدي هذه الأغراض الحميدة من دون فضول وكل من له رشد يعلم انه ليس لذكر اسم الشخص هاهنا مداخلة فى التذكير بالحجة على المعاد ، ولم يكن القرآن مجلة تاريخية تنص على الأسماء حتى على أسماء النساء وحتى فى مقام الواقعة والهلك لا تعرض الانبياء والاولياء ، ومع ذلك فان

العهدين مع طريقتهما قد أهملنا ذكر كثير من الأسماء في مقام التاريخ الذي يكون بإهمالها مشوهاً أبتر ، فقد قالت في تاريخ ولادة موسى وجاء رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى فحبلت المرأة وولدت ابناً ، ووضعت الولد ووقفت اخته (خر ٢ ، ١ - ٥) ، مع ان التاريخ والإمتنان وبيان العناية والالطاف بموسى ، ونفوذ المشيئة الإلهية يوجب كل واحد منها النص على الأسماء ، ولكن لو كان وقية وهتكاً للأعراض لنص على الأسماء على العادة الجارية في العهدين .

وفي العهدين أيضاً في تاريخ يربعام وجاء رجل الله ، وقال رجل الله (وهكذا ١٥ مرة) ، وكان نبي شيخ ، النبي الذي أرجعه النبي الشيخ انظر (١ مل ١٢) .

وفي سيرة ايليا أمرت هناك امرأة أرملة تعولك ، وإذا بامرأة أرملة مرض ابن الأرملة ، فرجعت نفس الولد (١ مل ١٧) .

وفي العهد الجديد أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتي أم ننتظر آخر (مت ١١ ، ٢ و ٣ ولو ٧ ، ١٨ و ١٩) ، وإذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ، فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه الى امه (لو ٧ ، ١٢ - ١٧) .

وقد ذكرنا عن العهدين في قصة (طالوت) شرطاً من هذا النحو ومثله في العهدين كثير يطول بذكره الكلام .

(وثالثها) ان كل فاهم وغبي يعلم انه لا بأس على كتاب الوحي إذا ذكر أمراً لم يذكر فيما قبله من الكتب المنسوبة الى انوحى وإن كانت معافاة من الابتلاء ، ولو تنبه المتكلف من نوم غفلته أو تعصبه لوافق على ذلك ولم يعترض ، كيف لا وقد ذكر في رسالة يهوذا ٩ مخاصمة ميخائيل رئيس الملائكة مع ابليس في جسد موسى عليه السلام مع انها لا يوجد لها أثر فيما تقدم

من كتب العهدين على رسالة يهوذا مع ان هذه المخاصمة أولى بالموعظة والارشاد في الذكر وأنسب بكتاب الوحي من ذكر ملاعب شمشون (قض ١٤ - ١٧) وحالات راعوث وفضائح الأنبياء وعائلاتهم .

وأيضاً ذكر في رسالة يهوذا (١٤ و ١٥) تنبي اخنوخ (أى ادريس) وهو السابع من ولد آدم ، مع انه لا يوجد له في الكتب قبل يهوذا عين ولا أثر ، وهو أولى بالذكر من أكثر ما ذكر فيها .

والحاصل لا يخفى انه لا بأس على كتاب الوحي إذا ذكر شيئاً قد أهملته كتب الوحي الصحيحة فضلاً عما كان دعياً في النسبة الى الوحي ، بل البأس كل البأس على الكتاب المنسوب الى الوحي إذا ابتلى بما ذكرناه أو أشرنا اليه في الصدر والتمهيد ، فراجع ذلك وما ذكرناه إظهار الحق من بعض ابتلاءات كتب العهدين .

ثم قال المتكلف : ومن تأمل كتب الوحي الالهى - أى التوراة والانجيل والزبور - لا يجد فيها شيئاً من ذلك ، وهى حكاية ابيمنيدس وهو كاهن يونانى .

قلت سنبنى لك إن شاء الله عذر العهدين في تركهما لمثل هذا ، ونعرفك مشغوليتهما بما هو أهم من ذلك في اغراض كتبتهم المتأخرين ، ولكن المتكلف اشتهمى أن يزيد في حجم كتابه بشيء من تاريخ اليونان و ابيمنيدس فادعى على القرآن الكريم بأن قصته تتعلق بحكاية ابيمنيدس (يه ٢ ج ص ٣٢ و ٣٣) ثم لج في الانقياد الى بواعثه فادعى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل ابيمنيدس من الأنبياء ، انظر (يه ٢ ج ص ١٠٢ و ١١٠) ، فيا لهفاه على الصدق والامانة والادب .

* * *

وقال الله تعالى في سورة البقرة ٢٤٤ : (ألم تر الى الذين خرجوا من

ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون .

وان طوايا المتكلف وعوائده لتقتضى أن يقول في هذا المقام ان هذا من الخرافات التي لا تعقل ولا تتصور ، ولكنه اسكته عن ذلك امتلاء كتبه بكثرة احياء الموتى في دار الدنيا .

ولا تحسب انه يتضايق بما ذكر في العهد القديم ولكنه يراعى أغراضه فيما ذكره العهد الجديد .

أما ما في العهد القديم فهو ما حصل على يد ايليا في احياء ابن الأرملة (١ مل ١٧ ، ١٧ - ٢٤) ، ومع اليسع (٢ مل ٤ ، ١٩ - ٣٧) ومع حزقيال حيث تنبأ على العظام المألثة للبقعة فتقاربت وكسيت العصب واللحم والجلد ودخلت فيهم الأرواح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً (حز ٣٧ ، ١ - ١١) .

والأمر في ذلك عند المتكلف سهل ، وأما ما ذكره العهد الجديد فهو ما ذكرت الاناجيل حصوله على يد المسيح ومن جملته حياة لعازر بعد دفنه بأربعة أيام (يو ١١ ، ٣٩ - ٤٥) . وانه عند حادثة الصليب تفتحت القبور وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامة المسيح ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين (مت ٢٧ ، ٥٢ و ٥٣) ، وانه حصلت الحياة للهبة على يد بطرس (١ ع ٩ ، ٣٦ - ٤٢) وحياة الميت على يد بولس (١٠ ع ٢٠ ، ٩ و ١٠) .

فالتكلف لم يعترض على ما ذكره القرآن الكريم بما اعتاده من قوله (خرافة) ، ولم يذكره أحد ، ولا يعقل ، ولا يتصور ، فلم يقل ذلك لا ورعاً بل محافظة على ما ذكره العهد الجديد في الاناجيل وأعمال الرسل كما أشرنا اليه . ومع ذلك فقد أبت سجيته إلا أن يعترض (يه ٢ ج ص ٢٤ و ٢٥) ،

فذكر قول المفسرين بأن هؤلاء هربوا من الطاعون فأما تهم الله ثم أحياءهم على يد حزقيال بن بوذي ، فكان أدب المتكلف أن يقول في اعتراضه ، ففي زمان حزقيال النبي لم يهرب عشرة آلاف من بني اسرائيل من الطاعون كما قال القرآن وان الله أماتهم وان النبي حزقيال بعثهم من الموت .

قلت ولم يقل القرآن الكريم بأنهم هربوا من الطاعون ولكنه قال : (حذر الموت) ، ولم يقل القرآن والمفسرون انهم من بني اسرائيل ، ولم يقل القرآن والمفسرون ان حزقيال بعثهم من الموت ، بل قاله المتكلف بإلهام ذاك الروح المذكور (١ مل ٢٢ ، ٢٢ و ٢ اي ١٨ ، ٢١) .

وهب ان القرآن أشار الى قصة حزقيال فان كتاب حزقيال على ما في العهد القديم من أسباب الخلل لم يقل ان العظام المائلة للبقعة كانت عظام أموات مات كل واحد في وقت منفرد ، بل لو كانوا كذلك لتدافنوا بل ان امتلاء البقعة بعظامهم يدل على انهم ماتوا دفعة واحدة فلم يتدافنوا ، وفي كتاب حزقيال عن قول الله (٣٧ ، ٩) هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا ، والمتكلف حذف تسميتهم بالقتلى من منقوله ، وذلك لأجل دلالة وصفهم بالقتلى على انهم ماتوا دفعة واحدة بسبب واحد وان الموت باوباء والطاعون ونحوهما من البلايا والعياذ بالله يسمى قتلا ، انظر (خر ٤ ، ٢٣ مع ١٢ ، ٢٩) فينطبق ما في حزقيال على قول المفسرين أحسن انطباق ، ولكن المتكلف لما أراد أن يعترض على المفسرين حذف لفظ (القتلى) ولعله قال في نفسه ومن ذا يلتفت اليها .

ثم ان المتكلف (يه ٢ ج ص ٢٥) بدل ما ذكره حزقيال من احياء العظام وقيام القتلى جيشاً عظيماً جداً جداً ، وجعله (رؤيا) والغاية منها انعاش قلوب بني اسرائيل وإحياء آمالهم ، وان احياء الذين ذكره القرآن الكريم لا فائدة فيه ولا مصلحة .

قلت : لعل تعصب المتكلف على القرآن الكريم حمله على أن يتأول ما ذكر في حزقيال ويجعله رؤيا منامية لكي يقول ان القرآن ذكرها على سبيل الحقيقة وهي غير ممكنة ولا معقولة ولا بأس بها إذا كانت رؤيا خيالية ، فان كان كذلك فما عساه يقول بما ذكرناه عن متى من تفتح القبور ، وقيام كثير من أجساد القديسين وخروجهم من القبور ودخولهم المدينة المقدسة وظهورهم لكثيرين ، وكذا ما ذكرناه عن يوحنا من حياة لعازر بعد أربعة أيام من دفنه .

ولعل المتكلف تبعثه بعض الطوايا على إنكار حقيقة الجميع ودعوى ان المعقول منه ما كان رؤيا خيالية فيقتنى بذلك أثر بعض المفسرين المدققين حيث أنكروا حقيقة تكليم الاتان لبلعام وجعلوها رؤيا خيالية توهم منها بلعام ان الاتان قد كلمته فراغموا بذلك صراحة التوراة ورسالة بطرس كما ذكرناه في الجزء الأول صحيفة ٣٢٥ و ٣٢٦ ، أم تقول ان المتكلف سمي واقعة حزقيال رؤيا ولم يدر ما قال .

وأما زعم المتكلف ان الاحياء الذي ذكره حزقيال فائدته إنعاش افئدة بنى اسرائيل ، والاحياء الذي ذكره القرآن لا فائدة منه ولا مصلحة فيه . فهو زعم من استولت الغفلة على مشاعره ، فإنه إذا جاز أن يحيى الله جيشاً عظيماً جداً لآجل أن يسمع بنو اسرائيل بذلك من حزقيال فلتتمتعش أفئدتهم ، فلماذا لا يجوز ان يحيى الله اولئك الجيش لآجل التفضل عليهم بالحياة وانعاشهم من البلاء ، أفليسوا عباد الله أفلا يدعوهم ذلك الى الإطمئنان واليقين في الإيمان بالمعاد ولا يحتاجون في أمر المعاد الى مثل الإحتجاج الذي تذكره الاناجيل (انظر الى الجزء الأول صحيفة ٢٠٣ و ٢٠٤) .

أفلا يؤدي بهم ذلك الى الإعتبار والإرتداع والتوبة ، أفلا يؤدي بهم ذلك الى شكر النعمة ، أفلا تحسن نعمة الله على عباده إلا لإنعاش افئدة

بنى اسرائيل ، وان انعاش أفئدة بنى اسرائيل يحصل باحياء رجل واحد نصب أعينهم فيذكر لهم حزقيال البشارة عن الله .

وأما في غيبتهم فلا يفيدهم احياء أهل الدنيا خصوصاً إذا كان المشاهد له حزقيال وحده ، فان بنى اسرائيل من عرفت أحوالهم من العهد القديم والمخبر لهم بالأميرين واحد وهو حزقيال ، فإن لم يصدقوه بالبشارة لم يصدقوه بالاحياء ولا يكون انفراده بهذا الخبر إلا كقول القائل (أنا الشاهد لنفسى) .

ولكن المتكلف كأنه سمع من كتبه شواهد التبليغ في أحوال اشعيا وأرميا ، وحزقيال ، وهوشع ، (كما ذكرناه في الجزء الاول صحيفة ١٨ ، و ١٩) ، فجعل المتكلف هذا من ذلك ، ولم يدر أن ذلك على ما به أهون من هذا .

* * *

وقال الله جل اسمه في سورة لقمان ١١ : (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد ١٢) وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ، ثم وعظه بإقامة الصلوة ومكارم الأخلاق كما ذكره الله جل شأنه من الآية ١٥ - ١٩ .

فقال المتكلف (به ٢ ج ص ١٠٢) من تتبع القرآن رأى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يقتصر على جعل بعض فلاسفة اليونان الذين لم يعرفوا الإله الحقيقي من الأنبياء كما في ايمنيدس ، وتقدم الكلام عليه بل سمي بعض السور باسم بعض الفلاسفة كما في سورة لقمان ، ففي هذه السور ادعى ان الله آتى لقمان الحكمة ، وان لقمان حض ابنه على أن لا يشرك بالله وهو من الغرائب فانه لم يرد في كتب الوحي ان الله أوحى الى لقمان ولا الى غيره من فلاسفة اليونان بل الكتاب المقدس قال : انهم لا يعرفون الإله الحقيقي ، وانهم كانوا

يستبيحون المنكرات ، وكانت أذهانهم مظلمة والقرآن جعله نبياً ورجلاً
تقياً وواعظاً لابنه .

وقد قدمنا لك ان دعوى المتكلف في ايمنيدس إنما هي بما غلب به الهوى
على شرف الأمانة والأدب .

وأما تسمية السورة باسم لقمان فلا دلالة لها على نبوته ولا ربط لها
بذلك ، بل سميت باسمه للتسجيل على عنوان شأنه في توحيدِه وحكمته
وأخلاقه وموعظته ، كما سميت بعض السور لأجل تسجيل العنوان والتذكير
به بسورة السكهم والفيل ونحو ذلك . .

واما ان الله آتى لقمان الحكمة وان لقمان حض ابنه على أن لا يشرك بالله
فلا ألوم المتكلف إذا ثقل ذلك على هواه .

فان من أوليات الحكمة الحقيقية وبديهاياتها هتافها بأن الواحد الحقيقي
لا يكون ثلاثة مختلفة في الآثار والمشخصات ، وهذه الثلاثة لا تكون واحداً
حقيقياً ، ومن أساسيات الحكمة انها لا تقبل ما تحكم بداهة العقل بامتناعه
واستحالته ، ومن أساسياتها أيضاً ان الإله الغني العادل القدوس الرحيم الحكيم
العليم اللطيف الخبير لا يترك عباده هملاً فوضى من دون أن يجعل لهم من
عنده قوانين تنتظم بها مدينتهم وسياسات يستوسق بها اجتماعهم ، ونواميس
عملية ترقى بهم الى معارج النواميس الروحية ، وتحكم الرابطة بينهم وبين إلههم
فتكون لهم قياداً الى الطاعة ورادعاً عن التمرد وطريقاً الى الإنقياد الروحي .
ومن أساسيات الحكمة أيضاً ان الله تبارك اسمه لا يترك عباده هملاً بدون أن
يقيدهم بزاجر الوعيد ويقين القصاص ولا يدعمهم بترددون في غيهم آمنين . .
وأشد شيء تضاده الحكمة وتقاومه بأوليائتها وأساسياتها هو أمانى الهوى
ومغالطة الشيطان بأن الله الواحد هو ثلاثة تجسد أحدهم على الأرض وبعد
ثلاثين سنة نزل عليه الآخر بشكل حمامة جسمية وبقى الثالث في السماء ليمده عمله

في الفداء الذي بمغالطته يطلق سراح المتمردين ويخرب الشريعة المدنية السياسية المكلمة المهذبة ويلاشيها من مملكته وذلك بأن يفدى الناس من لعنة الناموس وقصاص خطاياهم بالموت في جهنم النار (ومرجع ذلك الى إغراء الغواة بغرورهم وتأمينهم من وبال غيرهم) فجعل الإله المتجسد عرضة للإهانة والاضطهاد بحيث كان يتقى الضالين في اليسير من تعليمه .

ثم نبأ (قيافا) رئيس الكهنة بأن يسعى في قتل ذلك الإله المتجسد واضطهاده الشنيع ملقنا لقيافا في النبوة بأنه خير لهم ان يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تملك الأمة كلها (يو ١١ ، ٤٧ - ٥٢) ، فجرى التصميم على قتل الإله المتجسد وان استعفى واستقال من معاملة الفداء وحزن واكتئب وصلى وطلب ان تعبر عنه كأسه ولكن لم يفده ذلك ، بل قتل ومات يوماً وبعضى يومين ، فتم العمل في قرار الفداء من قصاص الخطايا ولعنة الناموس وبعد ذلك ارسلت الرسل ليعلنوا بتمام قرار الفداء فمتف واحد منهم بالهامه المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار (وحاشاه) لعنة من أجلنا ، (غل ٣ ، ١٣) ، ولسنا بعد تحت مؤدب (عل ٣ ، ٢٥) ، وقد تقدم هذا متفرقاً في الجزء الأول .

وإذا كانت الحكمة تقاوم هذا كله وتضاده قالت الكتب المنسوبة الى الوحي - لا بشر لا بحكمة كلام لثلا يتعطل صلب المسيح - لأنه إذا كان العالم في حكمة لم يعرف الله بالحكمة استحسب الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة لأن جهالة الله أحكم من حكمة الناس وضعف الله أقوى من الناس ، (١ كو ١٧ ، ١ - ٢٦) .

وزاد المتكلف في تلمذه على هذا التعليم فبشر بالتناقض ، وقال : (يه ٤ ج ص ١٥٩) .

نعم لا ننكر ان تجسد الكلمة الأزلية هو فوق عقولنا ولكنه موافق

للعقل ، ثم عقد فصلاً لعجز العقلي عن إدراك صفات الله وأسرار حكمته وحقيقة الروح (١) فتوهم ان هذا يروج عند الناس عزل العقل عن بديهيات أحكامه وأساسيات قوانينه في الممكن والممتنع لكي يتم للتكليف الأمر في كل وسارس أهوائه ، وسوف نتعرض لذلك إن شاء الله تفصيلاً ، وان كل من منحه الله شيئاً من العقل ليعرف ان العقل هو الدليل على الله ورسله وكتبه ، وهو النور الذي يستضاء به في معرفة الممكن والممتنع ، وانه وان حجب عن أشياء قد استأثر الله بعلمها ولكن لا يعيش عن مشارق نورانيته إلا من ران الهوى على بصيرته . .

وليت شعري ان انجيله يقول : ان من يزعمه اقنوم الابن والاله المتجسد والكلمة التي هي الله لا يعلم من أمر الساعة ما يعلمه اقنوم الاب ، (مر ١٣ ، ٣٢) ، فلماذا لا يقول المتكلف لا أعتنى بأحكام اقنوم الابن وعلومه لأنه لا يعلم ما يعلمه اقنوم الأب كما لم يعتن بديهيات العقل وأساسيات أحكامه ، متشبيهاً بأن الله حجبه عن بعض المعلومات مثل الوصول الى حقيقة الروح . . وليت شعري لماذا يستغرب المتكلف وينكر أن يكون في اليونانيين من يوحد الله وينهى عن الشرك به ، ويعلم بمكارم الأخلاق ، أفيدعي ان كل اليونانيين في أجيالهم يقولون في بعض البشر انهم آلهة وأولاد الإله قد تجسدوا واتحد لاهوتهم بناسوتهم ، فالواحد منهم إله وانسان حقيقيان وربما ولد بعضهم من عذراء .

أفلم يكن توحيد الإله وتنزيهه عن مثل هذه الخرافات الباطلة موجوداً في العالم ، كيف وتوراته تقول : انه من زمان (شيث) ابتداء ان يدعي باسم الرب (تك ٤ ، ٢٦) .

وتقويم توراته العبرانية يحتمل أن يكون ابراهيم قد أدرك سنين عديدة

من حياة نوح كما زعمه المتكلف (يه ٢ ج ص ٢١٧) ، وعليه فتكون دعوة التوحيد من الأنبياء مستمرة أو قريبة من الإستمرار ، أفلا يمكن أن تسرى روحها في أرجاء الأرض ويشرق نورها على من له عقل يعرف به سخافة القول بتجسد الإله .

إذا فمن أين كان ملائكي صادق (وهو في فلسطين دار الشرك) كاهناً لله العلي (تك ١٤ ، ١٩) .

فهل يقول المتكلف ان العقل لا يمكن له أن يغلب الهوى فيهدى الى توحيد الله ويرشد الى الصلاح ومكارم الأخلاق ، وان الأنبياء الكرام لم ينشروا الدعوة الى ذلك . .

وحقيقة الأمر ان العقل الحاكم يعدل الله وغناه وحكمته و قدسه ورحمته ولطفه ليحكم بأن الله تبارك اسمه لا يخلى الارض من داع الى توحيدِه وتقديسه وهاد الى وسائل القرب من حضرته ومرشد الى نواميس الصلاح وقوانين الشريعة المتكفلة بصلاح البشر واصلاح أمرهم لآخرتهم ودينهم ، ولكن المتكلف لا بد أن يجعل هذا من الخرافات ، ويقول : ان الله جل اسمه لم يلفظ ويرحم بالشريعة إلا بني اسرائيل ولم يبين حقيقة التثليث إلا للنصارى ولكن حينما اطلقهم من قيود الشريعة وفداهم من لعنة الناموس ، وكيف قال فانا نجد في هذا القرن كثيراً من عرفاء النصارى من أشرق نور التوحيد الحقيقي على عقولهم ، فتجنبوا أغاليط التثليث ومخادعات الفداء .

ومنهم من بقي في الظاهر على النصرانية كالكونت (تولستوى) وأتباعه المحتفلين بتعليمه في أشتات البلاد ، ومنهم من حظى بهدى الإسلام وعبد الله به ، ومنهم من يعترف بحقيقة التوحيد وحق الإسلام ولكنه تمرد على نوااميسه بألفة الراحة واعتياد الهوى على الإستراحة من النوااميس الإلهية .

وان استغرب المتكلف من القرآن الكريم ذكره لما لم تذكره كتب

العهدين كذكره لما أكرم الله به داود وسليمان ، وذكره لموت رجل مائة عام ثم أحياه الله ، وكذكره للقمان وحكمته وتوحيده ووعظه ، فان ذلك لا يعود بالسؤال على القرآن الكريم ولا على الحقائق الثابتة ، بل يعود بالسؤال على كتب العهدين ، إلا أن تعتذر بلسان حالها وتقول انها صنفان صنف لا تعرف النبوة اسمه ولا مسماه ، وصنف لم تبق له دواهي الايام إلا بقايا أسماء تستعار للسميات التي اختلفت عليها الموارد والمصادر وتقلببت بها الأحوال والنشآت وهي بصنفيها قد صرفت وجهها عواصف الأهواء ووجهت عنايتها الى ما شحنت به ارجائها من عظام المصائب ، فتارة تنادى بتعدد الآلهة والأرباب وتارة تأله البشر ، وتارة تصف الله جل شأنه بالعجز والحيرة والمشاورة مع جند السماء في بعض التدابير حتى كان روح الكذب هو الموفق لإصابة الرأي وتارة تصف الأنبياء بالشك في قدرة الله وسوء الادب في خطابه والإستعفاء من رسالته ، ونسبته الى الظلم والجور ، وكونه جل شأنه خداعاً تعالى الله عن ذلك ، وتارة تصف الأنبياء بالفسق والفجور والشرك وشرب الخمر ، وتارة تبسط قولها وتطيل شرحها في نسبتها الى الأنبياء وعائلاتهم أقبح الفواحش والدنس في العرض ، وتارة تنسب الى الأنبياء المخادعة بالكذب وخلاعة الجنون في التبليغ وتنسب تلك السخافات الى أمر الله جل شأنه ، وتارة تصف المسيح بكونه وحاشاه شريب خمر وترميه بالقول بتعدد الآلهة والأرباب ، وبالكذب وبالعمق لوالده والقده بايمانها ، وترميه أيضاً بمنافيات العفة والقداسة ، وتنسب له الإحتجاجات الواهية والتناقض بين الاقوال ، وبين الاقوال والافعال ، وترمى تلاميذه بالشيطنة وغازظ القلوب وعدم الإيمان والشك في المسيح وخذلانهم له وهربهم عنه ، وتارة تقضى شطراً منها في ملاحظة الشريعة والذم لها وغييبها ، وتارة تقضى شطراً كبيراً في صنعة خيمة الإجتماع ، وثياب هارون ، وصيدلة البرص ، وملاعب شمشون وشؤنه مع

الكنعانيات ، وان أردت أن تدقق اعملت تدقيقها في نسب فاضر ابن يهوذا المنتهى الى داود ثم الى المسيح وفي نسب يفتاح ، ونصت في نسب المسيح على ذكر بعض الامهات اشارة الى أحوالها المذكورة فيما سلف مع انها اهملت ذكر جملة من الآباء .

ثم جاء بعض المتبعين لهذه الكتب من المفسرين المدققين فأنكروا قصة بلعام المذكورة بثلاث فصول طويلة من التوراة وجعلوها دخيلة لا أصل لها وجعلوا تكلم اتان بلعام وهما من طائف الاحلام .

وعمد جملة أيضاً الى شطر كبير من الاناجيل وبقى العهد الجديد مما فيها من معجزات المسيح وتلاميذه في شؤون الارواح النجسة فجعلوها من الكذب مدهنة و مجارة لغلط الاوهام .

ويسرى هذا أيضاً الى شطر كبير من العهد القديم ، ومع ذلك فقد جعلها التلاعب تتكافح في مكررات قصصها بالتناقض والاختلاف بل صارت نسخها العبرانية والسامرية والسبعينية تتكافح بالاختلاف في الأسماء والاجيال والتاريخ وبالزيادة والنقصان ، وجاء كتبتها فانتقدوا عليها بزيادة الكلمات والحروف ونقصها غلطاً ، وتبديل الحروف والخطب فيها ، وجاءت المجامع فتحكمت فيها بالرد والقبول .

وجاء مفسروها فوصموا بالنقصان والإلحاق ، وجاء الطابعون لها فاضطربوا فيها بالتبديل والنق والاصاق ، أفلا تجد من ذلك كاه عذراً لها فيما أغفلته من الحقائق .

* * *

وقال الله جل اسمه في سورة الكهف في قصة ذي القرنين ٨٥ :

(قلنا يا ذا القرنين . .) .

فاعترض المتكلف على ذلك (يه ٢ ج ص ٩١) بما حاصله ان القرآن قد

جعل اسكندر نبياً لأن الله لا يخاطب إلا نبياً مع انه كان ملكا سفا كآللدماء .
قلنا (أولاً) ليس في القرآن الكريم ما يدل على ان ذا القرنين هو
الإسكندر الرومي المكدوني .

ومن أين للمتكلف هذا التحكم فان أخذه من أقوال بعض الناس ، فان كثيراً
من الناس من قال بخلافه ، فان أبا الفداء والبيروني وغيرهما قالوا انه الصعب
ابن الرائش ، وقال بعض ان اسمه عيتاش ، وقال بعض عبد الله بن الضحاك
وهب ان الجميع لا حجة فيه و لكننه يكشف عن سوء تحكم المتكلف وتقوله
على القرآن الكريم .

(وثانياً) يمكن أن يراد من القول الإلقاء في الفكر والتأمل في النظر ،
أو القول له بواسطة نبي يبلغه .

وقد جاء في العهد القديم وكلم الله منسى وشعبه فلم يصغوا (٢ اي ٢٣، ١٠٠) .
(وثالثاً) قد ذكرنا عن كتب وحى المتكلف صراحتهما بأن الله خاطب
الحية التي أغوت حوا .

وخاطب قايين وأبي مالك والشيطان ، وتذكر أيضاً انه جل اسمه خاطب
حوا (تك ٣ ، ١٣ و ١٦) فإن كان المتكلف يسمح لهؤلاء بالنبوة فلماذا يبخل
بها على الإسكندر المكدوني ، وحتى متى يعترض وهو لا يدري بما في كتبه
أو يدري ويتغافل ، فهل هو عدو نفسه .

(ورابعاً) ان سفك الدماء لا يمنع من النبوة إذا كان لأجل احقاق الحق
وقطع فساد الشرك والجور ، بل وكتب وحى المتكلف تفصح انه لا يمنع من
النبوة حتى إذا كان لأجل امتلاك الارض واستلابها وسلطة الملك فان مقتضاها
ان من أعظم السفاكين للدماء حتى دماء النساء والاطفال والبهائم جماعة من
الأنبياء المقدسين وهم موسى ويشوع وداود عليهم السلام ، فانظر أقللا (عد
٣١ ، ٧-١٩ و يش ٦-١٢ و ١ اي ٢٢ ، ٨) .

وقل للتكلف :

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم
ثم اعترض المتكلف (يه ٢ ج ص ٩٢) على ذكر السد في سورة الكهف
في الآية ٩٢ - ٩٧ وجعله من خرافات الوثنيين الوهمية .

وقال المتعرب (ذ) ص ٥١ ان الإسكندر لم يبلغ تلك البلاد قط وان
سور الصين متأخر عن زمان الاسكندر بزهاء مائة سنة فإن قالوا ان القرآن
أراد بذي القرنين الصعب ابن الرائش كما ذكره أبو الفداء والبيروني ، قلنا
ان الصعب المذكور متأخر عن بناء السور بأكثر من مائة وعشرين سنة وذلك
بحسب أصح تقاويمهم .

قلنا : هب ان بعض التواريخ المختلفة قد خالف نص القرآن الكريم
ولكن لا يصح لمن يعرف قدره أن يعترض على القرآن الكريم بما يخالفه من
التواريخ المختلفة المضطربة ولو لم يوافقها بعضها ، فقد بينا ذلك وأوضحناه في
تتمة الصدر والتمهيد من هذا الجزء ، وبيدنا فيه وجه العيب التاريخي في
الكتاب المنسوب الى الوحي ، وأشرنا الى المكتب التي ابتليت بذلك ،
(فانظر صحيفة ٢٤) .

* * *

وقال الله تعالى في سورة مريم حكاية عن زكريا ه (وإني خفت الموالي
من ورائي وكانت امرأتى عاقراً فهب لي من لدنك ولياً ٦ يرثني ويرث من
آل يعقوب واجعله رب رضياً) .

فاعترض المتكلف وقال (يه ج ص ٩٢) وكتاب الله يعلمنا ان زكريا
وامرأته كانا بارين وسلما الأمر لله ولم يخشيا من وارث ولا غيره .

قلت : ان انجيل لوقا المتعرض لذكر زكريا يدل بأوضح دلالة على
ان زكريا طلب من الله الولد ، حيث يذكر ان الملاك قال لزكريا لا تخف

يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه
يوحنا (لو ١ ، ١٣) .

وقول الملاك (لا تخف لأن طلبتك قد سمعت الى آخره) صريح أو
كالصريح في ان زكريا كان خائفاً من أمر يرتفع الخوف منه بإجابة طلبته
وإعطائه الولد ، وإلا فلا معنى للتعليل . ، وهذا من نحو المعنى الذى ذكره
القرآن الكريم ان لم يكن هو بعينه ، ولكن المتكلف ان كان ينظر في كسبه
اتفاقاً فان تحامله على القرآن الكريم يحول بينه وبين واضحاتها ، ولا يضر
بذلك إلا نفسه وان القرآن الكريم لم يقل ان زكريا وامرأته لم يكونا بارين ،
بل وصف زكريا بصفات الأبرار ولم يذكر في حقه انه قال لله لماذا أسأت ،
أرسل بيد من ترسل وإلا فإخنى من كتابك ، أو انه صنع العجل إلهاً يعبد
بنو اسرائيل وبني مذبحاً أمامه ، أو انه زنى بالمحصنة من نساء أصحابه وحاول
أن يلبس حملها منه بزوجه المسكين ثم سعى في قتل زوجها وتزويجها ، أو انه
ذهب وراء آلهة اخرى وبني المرتفعات والسوارى للأوثان ، أو انه قال لله
حقاً انك خداعاً (أو . . .) بل حكى القرآن عن زكريا قوله (انى خفت الموالى
فهب لى من لىك ولياً يرثى) ولعله كانت له مداخلات مالية يخاف من مواليه
أن لا ينجزوها على حقها إذا اغتموا ميراثه ، فطلب الولد ليكون هو وليه
الذى ينجزها على حقها ، فان الاعتبار والتجربة شاهدان على ان الولد أقرب
لتنجيز مهمات والده فى وجوه أمواله .

وقد طلب زكريا من الله أن يجعل ولده رضيعاً ، أو لأن مواليه كانوا
من الكهنة الذين طالما ذمهم العهد الجديد ، وكان زكريا يأمرهم بالمعروف
وإداء حق الكهنوت وحفظ الشريعة واحترام بيت الله فخافهم أن ينقلبوا من
ورائه ويعودوا الى سجاياهم فطلب من الله ولياً وولداً رضيعاً يرثه فى هدايه
ووعظه لقومه وإداء وظيفة الهدى .

وهب ان القرآن الكريم قال : ان زكريا طلب الولد لمجرد المحافظة على
ان لا يرث مواليه أمواله فليس للكتابي أن يتفوه بالاعتراض على ذلك ويجعله
خطيئة ينزه منها زكريا ، فإن زكريا مهما كان لا يكون أكمل ولا أبر ولا
أعرف من ابراهيم خليل الله ، وهذه توراتهم تفصح عن انه جرى من ابراهيم
في الحرص على الارث ما هو أشد من هذا ، حيث ذكرت ان الله جل اسمه
قال لابراهيم : لا تخف يا ابرام انا ترس لك اجر ككثير جداً فقال ابرام :
أيها السيد الرب ماذا تعطيني وابن ملك بيتي هو اليغازر الدمشقي وقال ابرام :
انك لم تعطني نسلا وهو ذا ابن بيتي وارث لي (تك ١٥ ، ١ - ٤) .

ودع عنك ما في هذا الكلام من الرد على الله واحتقار عطاياه وأجره الكثير
الموعود به مما عدا الولد الوارث للمال حتى العطاء والأجر الكثير جداً في الآخرة
وقال الله تعالى في سورة آل عمران في شأن مريم ام المسيح عليه السلام
٣٢ (وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم
أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

فأنكر المتكلف (به ٢ ج ص ٣٦) ان زكريا كان يكفل مريم متشبهاً
لإنكاره ذلك بأنها كانت بنت هالي أو عالي من نسل داود ، وأنكر على القرآن
الكريم لأجل قول المفسرين بأن الله تبارك شأنه كان يأتيمها بفأكهة الجنة متشبهاً
بدعوى ان الجنة ليست محل أكل وشرب بل هي محل التسييح والتقديس وكل
تنعماتها روحية ، واستند في ذلك الى دعوى قول المسيح اجمالاً ولم يذكره ولم
يشر الى محله ، ثم قال ان هذه الاقوال مأخوذة من خرافات المسيحيين .

قلت : ان انجيل المتكلف يصرح بأن امرأة زكريا كانت من بنات
هارون ، وانها نسبية مريم - أي شريكتهما في النسب - (لو ١ ، ٥ و ٣٦) ،
ومقتضاه ان مريم هي من بنات هارون أيضاً لأن أنساب بني اسرائيل كانت
على ما يقال محفوظة متميزة بحسب أسباطهم ، ولم يذكر الإنجيل ان مريم

كانت بنت عالي أو هالي ، وإنما ذكر لوقا في نسب يوسف انه ابن هالي ، (لو ٣ ، ٢٣) . ولكن بعضهم حاول أن يرفع التناقض الكثير بين متى واوقا في نسب المسيح من جهة نسب يوسف ، فقالوا : ان لوقا نسب يوسف الى هالي أبي مريم .

وقد قدمنا في الجزء الاول صحيفة ٢٠٥ - ٢١٠ ما تعرف منه ان هذه الدعوى من تلفيقات الأوهام وتسويلات الخيال عند ضيق الخناق . .

دع هذا ولكن الباب الاول من لوقا يؤكد انه كانت بين مريم واليصابات قرابة وعلاقة اتصال وعواطف فلماذا لا يكفي هذا في كفالة زكريا لمريم ، دع هذا وقل ما المانع لزكريا المؤمن البار أن يتقرب الى الله بكفالة امرأة عذراء مؤمنة برة من بنى اسرائيل ، ولا يلزم في الكفالة أن تكون مضطرة يتصدق عليها بالقوت ، بل يكفي في ذلك قيامه بأمرها ورعايتها وحمايتها ، فهل تمتنع هذه الكفالة بوجوهها في الدين والمروءات عند من تقدمت الدنيا بمعارفهم .

وأما الرزق الذي قالت فيه مريم لزكريا (هو من عند الله) فلماذا لا يحمل المتكلف قول القرآن الكريم فيه على انه رزق يبعثه الله الى مريم الصديقة البرة برحمته وقدرته ، كما يقول العهد القديم ان الله سخر الغربان ليليا فكانت تأتية بخبز ولحم صباحاً ومساءً (١ مل ١٧ ، ٤ و ٦) ، وكما هيأ له الكعكة (بوع من الخبز) وكوز الماء فنبهه الملاك للأكل والشرب حتى سار بقوة تلك الأكلة أربعين يوماً (١ مل ١٩ ، ٥ - ٩) .

وماذا ينكر المتكلف على المفسرين في قولهم ان ذلك الرزق لمريم كان من فاكهة الجنة . .

فلماذا لا تكون من جنة آدم المذكورة في التوراة (تك ٢ ، ٨ و ٩) ، فهل يقول المتكلف : ان تلك الجنة قد يبست أشجارها ونابها الخراب فلم

يساعد الوقت على غرسها وعمارتها . . ؟ ولماذا لا تكون من الكرمة التي يشرب المسيح جديداً من نتائجها مع تلاميذه في ملكوت الله (مت ٢٦ ، ٢٩ و مر ١٤ ، ٢٥ و لو ٢٢ ، ١٨) ، أو مما يأكل منه التلاميذ على مائدة المسيح في ملكوته (لو ٢٢ ، ٣٠) .

وأما قول المتكلف ان الجنة ليست محل أكل وشرب بل كل تنعماتها روحية كما قال السيد المسيح ، فليس فيما تنقله الاناجيل عن أقوال المسيح ما يمكن التشبث به لهذه الدعوى الا نقلها عن قوله ان أبناء القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء (مت ٢٢ ، ٣٠ و مر ١٢ ، ٢٥) إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لانهم مثل الملائكة ، وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة (لو ٢٠ ، ٣٥ و ٣٦) فإن كان المستند هو هذا فقد بينا لك في الجزء الاول صحيفة ٢٠٢ سقوط هذه الحجة ووهنها من جميع أطرافها على حد ينبغي أن ينزه عن مثله آحاد أهل الأدب والمعرفة فضلاً عن المسيح رسول الله على انها لو تمت لما أمكن ان يراد انهم لا يأكلون ولا يشربون من حيث انهم كملائكة ، وذلك لأن التوراة تنافي هذه الدعوى حيث ذكرت مكرراً ان الملائكة أكلوا من ضيافة ابراهيم ومن ضيافة لوط (تك ١٨ ، ٨ و ١٩ ، ٣) وصدقت على ذلك رسالة العبرانيين (١٣ ، ٢) ، وسيأتى التعرض إن شاء الله لذكر الجنة في الأجزاء الآتية بحول الله وقوته .

وقال الله تعالى في سورة آل عمران في شأن زكريا وبشارته ٣٦ : (قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) .

فاعترض المتكلف (به ٢ ج ص ٣٧) بأنه لم يفهم من الإنجيل ان زكريا طلب آية وبان مدة صمته كانت تسعة أشهر لا ثلاثة أيام .

قلنا (أولا) ان انجيل لوقا يذكر ان زكريا قال للملك الذي بشره كيف اعلم هذا لاني أنا شيخ وامراتي متقدمة في أيامها ، فقال له الملك وها أنت

تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم لأنك لم تصدق كلامي (لو ١٨، ١ و ٢٠) ،
 فقله : كيف أعلم هو طلب لما يحصل به العلم ، ولكن القرآن الكريم
 كلام الله ذكر الواقعة على الحقيقة المناسبة لبر زكريا وإيمانه حيث انه طلب
 من الله الآية ليزداد ايمانا ويطمئن قلبه باستجابة دعائه ، فان زكريا أجل من
 يقول لله أو للملك (كيف أعلم هذا) ولا يصدق الملك في بشارته .

(وثانياً) ان القرآن الكريم كلام الله لم يكن متبعاً في وحيه مضطربات
 العهدين في منقولها ولا معنياً بإنجيل لوقا ، كيف ولو كان كذلك لمجد المسيح
 بما يذكره لوقا من وقوف الحاطئة عند قدميه وهي باكية وابتدأت تبل قدميه
 بالدموع وتمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب فشكر لها
 صنيعها وكثرة حبها حتى باهى به الفريسي (لو ٧ ، ٣٦ - ٤٨) .

(وثالثاً) ان كتب العهدين قد اضطربت واختلفت كثيراً فيما يرجع
 الى العدد فلم يقدح ذلك عند المتكشاف في زعمه انها كتب وحي صادقة ، فمن
 الظلم الفاحش اعتراضه على القرآن الكريم إذا خالف أحدها ، فانا نذكرك
 بما ذكرناه في هذا الكتاب من اختلاف العهدين واضطرابهما في العدد ، فمن
 ذلك حكاية الملائكة الذين جاؤا الى ابراهيم وذهبوا الى سدوم فجاءوا الى لوط
 حيث جعلتهم التوراة ثلاثة ثم اثنين ثم واحداً فانظر (تك ١٨ و ١٩) ومن
 ذلك إقامة بني اسرائيل وتغريبهم في مصر حيث جعلته التوراة أربعائة سنة
 (تك ١٥ ، ١٣) ، وكذا العهد الجديد (١ ع ٧ ، ٦) ، ثم جعلته أربعائة
 وثلاثين سنة (خر ١٢ ، ٤٠) ، وجعلها العهد الجديد أقل من ذلك بكثير
 (غل ٣ ، ١٧) .

ومن ذلك اختلاف النسخة العبرانية والنسخة السبعينية في اعمار آباء
 السلسلة من آدم الى ابراهيم ، كما ذكرنا في تنمة الصدر من هذا الجزء ، ومن
 ذلك حكاية الاعمي والاعميين ، والمجنون والمجنونين .

ومكث المسيح في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ويوم
وليلتين ، انظر الجزء الأول صحيفة ٥٣ و ٢٢٢ - ٢٢٧ ، ودع عنك سائر
ما ذكره إظهار الحق .

* * *

وقال الله تبارك اسمه في سورة مريم في شأن حملها الطاهر بالمسيح
وولادتها المقدسة ٢٢ (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ٢٣ فأجائها المخاض الى
جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ٢٤ فناداها من تحتها
أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ٢٥ وهزى اليك بذع النخلة تساقط
عليك رطباً جنياً ٢٦ فكلى واشربى وقرى عيناً فإما ترين من البشر أحداً ٢٧
فقولى إني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم إنسياً ٢٨ فأنت به قومها تحمله
قاوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ٢٩ يا اخت هارون ما كان أبوك امرء سوء
وما كانت امك بغياً ٣٠ فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً
٣١ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) .

فأنكر المتكلف ذلك (يه ٢ ج ص ٩٢ و ٩٣) وزعم ان القرآن نسب
الى مريم قصة هاجر ام اسماعيل ، وان مريم ولدت المسيح في بيت لحم
اليهودية ، ولم تكن في البرية ، ولم تهز جذع النخلة ، ولم يضرب ملاك ولا
غيره الأرض برجله ، ولم تنذر لله السكوت ، وان هذه الأمور من خرافات
المسيحيين ، وان كلام المسيح وهو طفل مأخوذ من خرافات المسيحيين .

قلنا لا يلزم أن نقول ان جزم المتكلف في انكاره هاهنا لا يليق إلا من
نبي مؤيد مصدق أو ممن يعتمد فيه على برهان قاطع ، بل نقول ينبغى أقل أن
يكون من معروف بالأمانة وصدق اللمجة والمعرفة بمواقع السلام وكتب
ديانته ، سالم من داء التعصب والبواعث الردية والتحريف والتغافل أو الغفلة
عما في كتب ديانته ، غير معروف باضداد ذلك ، ولا نقول أكثر من ذلك

بل نجعل الحكم لمن ينظر في مباحثات كتابنا هذا .

ولا تقل ان المتكلف اغتر واعتمد في إنكاره على أناجيله لأننا نخبرك بأنه لم يتعرض من أناجيله لهذا الحال إلا انجيل لوقا وهو لا ينفى شيئاً مما ذكره القرآن الكريم ، فانظر (لو ٢ ، ١ - ٨) .

ولا تقل أيضاً ان المتكلف اعتمد في ذلك على أحكام المجامع وإصلاحه الديني من ناشئة البروتستنت ، فإنه لا يخفى عليك انه ليس من ولاية المجامع والإصلاح إنكار وقوع الحوادث الممكنة في قدرة الله كرامة لأوليائه ، بل غاية ما يسع المجامع ان تنكر كون الكتاب المشتمل عليها كتاباً قانونياً فيكون بذلك كتاب تاريخ أو مجموع تقاليد ، نعم ان سياسة البروتستنت اقتضت أن يطرخوا التقاليد المسيحية ويطووا غشها على سمينها ، ولكن ذلك كله لو استقام لما كان فيه جزم بنفي ما أنكروه بل غايته الاعراض عنه لشكهم فيه خصوصاً أو في ضمن العموم ، فان الجزم بنفي وقوع الشيء لا يسوغه الأدب والعقل إلا بإقامة البرهان على عدمه أو امتناعه . .

ولا اظنني اخطيء إذا قلت ان هذا الإنكار الجزمي من المتكلف وقوله : ان هذه الأمور من خرافات المسيحيين إنما جائه من عبدوى داء الطبيعة فاستحكم فيه وسخر افكاره بتعليمه ، وإلا فلماذا تكون منقولات المسيحيين في شأن كرامات مريم والمسيح من الخرافات ، أو ليس المسيحيون أسلاف المتكلف وحملته ديانته .

ثم نقول : ان قصص الاناجيل في شأن ولادة المسيح تجد فيها في هذا الخصوص خلا من وجوه (الأول) ان متى ولوقا المتعرضين لذلك قد اهمل كل واحد منهما شرطاً مما ذكره الآخر ، فمتى اهمل ما ذكره لوقا في شأن مجيء الملك جبرئيل في الناصرة الى مريم وبشارته لها بالمسيح ومكالمته معها ، وجوابها له وذهابها الى جبال يهوذا الى اليصابات ومكالمتهما (لو ١ ، ٢٦ - ٥٧)

وكذا ذهاب يوسف ومريم من الجليل الى بيت لحم لأجل الإكتتاب ،
وبشارة الملاك للرعاة وشأن مجيئهم الى المسيح ، ورجوع يوسف ومريم
بالمسيح الى الجليل الى الناصرة بعد ما أكملوا أحكام الولادة في اورشليم فرجعوا
منها الى الناصرة (لو ٢ ، ١ - ٤١) .

ولوقا اهمل ما ذكره متى في شأن المجوس مع هيرودس ومع المسيح ،
والوحى ليوسف بعد انصراف المجوس بأن يهرب بالمسيح الى مصر فهرب به
ليلاً سراً ، وقتل هيرودس للأطفال في بيت لحم ، ورجوع يوسف بالمسيح
من مصر بعد ما مات هيرودس الى أرض اسرائيل ، وخوفه من ارخيلاوس
أن يذهب به الى اليهودية فانصرف الى الجليل الى الناصرة (مت ٢ ، ١ - ٢٣)
(الثانى) تناقض متى ولوقا في شأن المسيح بعد ولادته ، فمتى يذكر ان
يوسف بعد انصراف المجوس من زيارة المسيح في بيت لحم هرب به الى
مصر وبقي هناك الى أن مات هيرودس فرجع به الى أرض اسرائيل (مت
٢ ، ٧ - ٢٢) .

ولوقا يذكر ان يوسف ومريم والمسيح بقوا في بيت لحم الى أن تمت
أيام تطهير مريم (وهى ثلاثون يوماً ، لا ١٢ ، ٢ - ٢٤) ، فصعدوا به الى
اورشليم ليقدموا ذبيحة ، كما قيل في التوراة ، ولما أكملوا شريعة
ولادة البكر بمقتضى التوراة رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة ، (لو
٢ ، ٢٢ - ٤٠) .

فمقتضى متى انه بعد انصراف المجوس من بيت لحم كان لا يمكن أن يؤتى
بالمسيح الى اورشليم لأن هيرودس بسبب أخبار المجوس كان يطلبه ليهلكه ،
بل هربوا به بمقتضى الوحى من هناك سراً الى مصر الى أن مات هيرودس ،
وعلى ذلك كيف يمكن أن يؤتى به الى اورشليم ، ويتنبأ عنه سمعان وحنه
كما ذكره لوقا ، ولوقا يذكر انهم جاؤا بالمسيح من بيت لحم الى اورشليم

لكي يجرؤوا شريعة ولادة البكر ثم رجعوا من اورشليم الى مدينتهم الناصرة ،
(الثالث) يذكر متى ان يوسف لما رجع من مصر أراد الرجوع بالمسيح الى
بلاد اليهودية ولكنه خاف من ارخيلاوس أن يذهب الى هناك فأوحى اليه أن
يذهب الى نواحي الجليل ، وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما
قيل بالأنبياء انه سيدعى ناصرياً .

ومقتضاه ان الناصرة لم تكن وطن يوسف ومريم ومسكناً لها قبل
ذلك ، بل بعد الرجوع من مصر صارت لهم دار هجرة وفرار بالمسيح لكي
يتم ما في الأنبياء .

ولو قا يذكر ان الناصرة كانت قبل ذلك وطن مريم ويوسف وفيها
حبلت مريم ، ومنها صعدا الى بيت لحم لاجل الإكتتاب واليها لكونها
مدينتهم رجعوا من اورشليم .

ثم نقول للشكاف : أمثل هذه الكتب تعترض على القرآن الكريم
كلام الله ، أفلم يكن عليك في ناموس الأدب والإنصاف أن تقول أو تظن
أو تتحمل ان مخالفة كتبك للقرآن الكريم كخالفه بعضها لبعض ، وان غفلتها
عما فيه كغفلة بعضها عما في البعض الآخر .

أفتقول ان المسيح افتدك حتى من لعنة هذا الناموس ، فبأى نبوة وبأى
إلهام تنكر ما يذكره القرآن الكريم . .

ثم نقول مجازاة لك في إعجابك بأناجيلك المضطربة المختلفة ان القرآن
الكريم قال : (وانتبذت به مكاناً قصياً) ، وهذا لا يأبى الانطباق على هجرتها
الى بيت لحم كما يذكره لوقا .

ولم يقل القرآن انها تاهت في البرية ، وقال : (فأجائها المخاض الى
جذع النخلة) ، وهذا يقربه ما يذكره لوقا من ان مريم لم يكن لها موضع في
المنزل حتى انهم التجأوا الى وضع المسيح في المذود - أي الآخور - ، ومن

كانت هكذا وهي من ذوات العفة والحياء فلا تسعها الولادة في هذا المنزل الضيق بكثرة أهله لا بد لها من أن تفر بولادتها الى موضع خال من الأجنبان فإن زعم المتكلف انه لا يوجد في تلك النواحي نخل قلنا : ان انجيل يوحنا يقول ان الكثيرين في اورشليم أخذوا سعوف النخل وخرجوا للقاء المسيح (يو ١٢ ، ١٢ و ١٣) ، وان بيت لحم يعد من ضواحي اورشليم . . . وأما كرامة الله لمريم بإحياء النخلة وأثمارها لتأكل منها وتقر عينها ، فالمتكلف جدير بإنكاره فإنه لا نفع له فيه .

نعم لو ذكر القرآن الكريم (ان مريم جاءت فافتحت السماء ونزل عليها اناء فيه كل دواب الأرض والزحافات والطيور ، وقيل لها اذبحي وكلي فقالت كلا يا رب اني لم أأكل قط شيئاً دنساً أو نجساً فقبل لها ما طهره الله فلا تدنسيه أنت) (اع ١٠ ، ١٠ - ١٦) .

وراغم بذلك شريعة التوراة وأشار به الى بطلانها لقال المتكلف نعم هذا هو الحق لكي ينتفع بها في التمسك بعوائد الوثنية وإبطال شريعة التوراة وعيبتها والرد عليها في نهياها عن لحوم كثير من الحيوانات وتنجيسها ، فإن قال المتكلف ان اخضرار الجذع وأثماره ونضج ثمرته في زمان قليل هو من الخرافات الخارجة عن حد المعقول (قلنا) لا نبهظه بذكر العقل والمعقول ، ولكن توراتكم تقول : ان عصا هارون وضعها موسى في خيمة الشهادة وفي الغد وجدها قد أفرخت فروخاً - أي أغصاناً - ، وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً (عد ١٧ ، ٧ - ١١) .

وصدق على ذلك العهد الجديد (عب ٩ ، ٤) ، فإن قال المتكلف ان حديث العصا في العهدين أيضاً خرافة خارجة عن حد المعقول (قلنا) إذا قرء عيناه بالعهدين وقرء عيون العهدين به وببشارته .

وقس على ذلك إنكاره لتكلم المسيح في المهد وكيف لا يصر على ذلك

والقرآن يذكر ان المسيح (قال إني عبد الله) .
وأما نذر مريم للصوم وانها لا تكلم أحداً ، فأى برهان قائم على عدم وقوعه ، وهل هناك إلا أن انجيل متى ولو قالم يذكره ، فلماذا لا يقال انها غفلا عنه كما اهمل كل منهما كثيراً مما ذكره الآخر .

واعترض المتعرب أيضاً وقال (ذ) ص ٥٧ جاء في القرآن ان الله أمر مريم ان تقول كذبا انها نذرت للرحمن صوما فلن تكلم اليوم انسيا ، وهي لم تكن صائمة بدليل أمره إياها في العبارة نفسها ان تهز اليها بجذع النخلة تساقط عليها رطبا جنيا فتأكل وتشرب وتقر عيننا ، وبعد فإن أمره إياها ان تقول انها صائمة لا تتكلم كلام متناقض لأن الصائم لا يتكلم فإن قالت ما أمرها بقوله فقد تكلمت .

قلنا : ان للكلام مجارياً ودلالات عرفية التزامية لا يجدها غير المعاند أو الغبي . . فلا يخفى ان المولى إذا قال لعبده إذا جئتك فلان وأراد منك شيئاً فقل له إني ملتزم لمولاى بأن لا أعطيك ، فان كل من يفهم الكلام يفهم من هذا ان المولى قد أمره في مضمون كلامه بأن يلتزم .

فكلام الله دال بمضمونه على أمر مريم بأن تنذر السكوت ، وأيضاً إذا قال المولى لعبده إذا جئتك أحد فقل له بالقول اللفظي انى ملتزم بأن لا اكلمك فعناد الأمر بأن يلتزم أن لا يكلم أحداً بغير هذا القول المتكفل بالبيان ، فيكون هذا القول غير داخل من أول الأمر في الكلام المأمور بتركه بل المأمور بتركه هو ما بعد هذا القول وما عداه من الكلام .

فقول مريم (انى نذرت . . الخ) غير داخل من أول الأمر في الكلام المأمور بتركه ، هذا إذا كان المراد من القول في الآية الكريمة هو القول اللفظي ، وأما إذا اريد منه الإشارة إلى معاني هذه الألفاظ وعبر عنها بالقول مجازاً لا أجل افادة الإشارة فائدته فلا حاجة إذا إلى الإستثناء ، فدعوي

التناقض في هذا المقام إنما هي من تناقض السجية ، والبواعث مع دعوى الأديب وحرية الضمير . . .

وأيضاً أن وقت الصوم المذكور لم يكن هو وقت أكلها من الرطب ، بل كان وقته حينما ترى الناس وترجع اليهم ويسألونها عن شأنها ، فهو غير الوقت الذي أكلت فيه الرطب ، بل حينما وضعت المسيح في المهد وسألها الناس عن شأنه فأشارت إليه .

(مائدة المسيح) وقد ذكر القرآن الكريم قصة انزالها من السماء بطلب التلاميذ كما في سورة المائدة ١١٢ - ١١٥ .

فاعترض المتكلف على ذلك ، وأنكر حقيقة هذه المائدة ، انظر (يه ٢ ج ص ٤٤) .

وما السبب في ذلك إلا خلو أناجيله من ذكرها على الوجه الذي بيته القرآن الكريم ، ولو تحرى المتكلف رشداً لما اغتر بخلو أناجيله ، فانا لو أغمضنا النظر عن أحوالها وتغافلنا عن مشغوليتها عن الإستقصاء في تمجيد المسيح بذكرها لما ينافي قدسه كما مر في أشتات الكتاب لقلنا : ان اختلافها في منقولاتها يشهد على ان كل واحد منها قد فاته ذكر كثير من المهمات من أحوال المسيح وآياته وتعاليمه ودلالاته .

فإن متى ومرقس ولوقا قد فاتها ما ذكر يوحنا من حكاية قلب الماء نحرأ في قانا الجليل ، وقد ذكر انها بدء الآيات (يو ٢ ، ١ - ١٢) ، فهي إذأبشارة الدعوة وطليعة المعجزات وهلال الحجّة .

وفاتها أيضاً ما ذكره من احياء لعازر من الموت (يو ١١ ، ١ - ٤٥) ، وهي واقعة ينبغي أن يكون لها دوى في جميع الاناجيل ، لإمتيازها عن سائر ما ذكرته . . .

وفاتها أيضاً ما ذكره من البشارة بمجيء المعزى (يو ١٤ ، ١٥ - ١٦ ، ١٦)

مع انها ناموس البشائر وأساس التعليم .
وان متى ومرقس ويوحنا قد فاتها ما ذكره لوقا من احياء المسيح لابن الأرملة
في نايين (لو ٧ ، ١١ - ١٧) .

وحكاية لعازر والغنى و ابراهيم في عالم الأموات الذي يسميه المسلمون
بالبرزخ (لو ١٦ ، ١٩ - ٣١) مع ان مثل هذا أهم ما يكون في البيان لأجل
الموعظة والترهيب وكشف الحقائق والتثبيت على الإيمان والترغيب في الصبر
والزهد والورع .

وان مرقس ولوقا ويوحنا قد فاتها ما ذكره متى من حديث الجوس
ومجيمهم في طلب المسيح والنجم الذي كان يتقدمهم في السير حتى وقف حيث
كان المسيح (مت ٢ ، ١٠ - ١٢) ، مع ان ذلك من أكبر البشارات
والدلالات والإرهاصات . .

وفاتها أيضاً ما ذكره من حديث تفتح القبور عند حادثة الصليب ،
وقيام كثير من أجساد القديسين الموتي ودخولهم المدينة المقدسة وظهورهم
لكثيرين (مت ٢٧ ، ٥٢ و ٥٣) .

وان متى ولوقا ويوحنا قد فاتها ما ذكره مرقس عن المسيح من بيان
الآيات التي تتبع المؤمنين وهي انهم يخرجون الشياطين ويتكلمون بالسنة
جديدة يحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على
المرضى فيبرؤن (مر ١٦ ، ١٧ و ١٨) .

وهذه علامات آيات تبهر المرتاب ، وتقيم الحججة وتقطع المعاذير ،
لو صحت الأحلام .

فنقول : ان القرآن الكريم ذكر بوحيه من حقيقة المائدة ما فات
الإنجيل الأربعة ، لو ان مضامينها كانت وحيماً . . فما بال القلوب
التي في الصدور .

ومن الظرائف ان المتكف (يه ٢٤ ج ص ٤٤) لج في إنكار مائدة المسيح وقال : بل المائدة التي نزلت من السماء نزلت على بطرس أحد الحواريين فانه كان جائعا ، ونزلت مائدة فيها من كل دواب الارض والزحافات وطيور السماء وكانت الغاية منها أن يعلمه الله ان دعوة الإنجيل عامة ، كما في سفر الاعمال ص ١٠ ، ولـكن المتكف لم يذكر تنمة الحديد في المائدة التي ينسبها كتابه لبطرس ، فكأنه شعر بما فيها من البشاعة والسخافة من حيث العيب لشريعة موسى والإعتراض عليها في تنجيسها للحوم بعض الحيوانات ، فإن تنمة ما ذكره في مائدتهم المنسوبة لبطرس هكذا .

وصار اليه صوت قم يا بطرس اذبح وكل فقال بطرس : كلا يا رب لأنى لم أأكل قط شيئاً دنسا أو نجسا فصار اليه أيضا صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه أنت ، وكان هذا على ثلاث مرات (١٠ ع ١٠ ، ١٠ - ١٧ ، و ١١ ، ٥ - ١١) .

أفلا تعلم من هذا الكلام ان هذا الوحي الكذائى الذى ذكره فلان الانبى لا بطرس الاسرائيلى يقول ان هذه الحيوانات قد طهرها الله فتدنيسها إنما هو بشرى على خلاف ما عند الله .

وعلى ذلك جرى قول العهد الجديد لا يصغون الى خرافات يهودية ووصايا اناس مرتدين عن الحق كل شيء طاهر للطاهرين ، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهر أبل قد تنجس ذنهم أيضا وضميرهم (تي ١ ، ١٤) . و (١٥) ليس شيء نجسا بذاته الا من يحسب شيئاً نجسا فله هو نجس (رو ١٤ ، ١٤) تفرض عليكم فرائض لا تمس ولا تذق ولا تجس التي هي جميعها للفناء فى الإستعمال حسب وصايا وتعليم الناس (كو ٢ ، ٢٠ - ٢٣) .

(أصحاب الكهف) وقد ذكر الله جل شأنه قصتهم في سورة الكهف الآية ٨ - ٢٣ .

والمتكلف (يه ٢ ج ص ١٨٩) جعل قصتهم من خرافات المسيحيين المذكورة في كتب اليونان ، وادعى ان حقيقة هذه الحادثة التاريخية هي قصة (انابولوا) من أهل الاسكندرية .

ومرجع كلام المتكلف هذا الى ان الله جل اسمه محجور على أعمال قدرته وأطافه مع أوليائه حتى تخرج له الاذن ممن تأخر من مؤرخي ناشئة البروتستنت وإلا فما يكتبه القدماء هو من خرافات المسيحيين خصوصاً إذا كتبوه في تاريخ الكنيسة وخصوصاً إذا كتبه الكاتبون من كبار المسيحيين وخصوصاً إذا ذكره القرآن الكريم .

وليت شعري لماذا صار نقل المسيحيين لواقعة أصحاب الكهف خرافة أو ليس المسيحيون هم أسلاف المتكلف الذين عنهم أخذ وعليهم اعتمد حتى انه صار يتشبه لصحة كتاب برمته باستشهاد واحد منهم بفقرة من ذلك الكتاب ، أو تجيء في كلام واحد منهم فقرة مشابهة لفقرة من ذلك الكتاب فانظر (يه ١ ج ص ١٤٣ - ١٥٧) .

(والحاصل) ان كثيراً من الناس لم يجرؤوا في المنقول على طريقة مستقيمة فتارة تراهم يقبلون الخرافات الكفرية ويقطعون بنسبتها الى الوحي ويعضون الطرف عما في سند كتابها من التزيق والهرج والمرج خصوصاً في تلك الخرافة بل تراهم يتشبهون لها بقول فلان واستشهاد فلان ، وإن كانت كتبهم قد قانتها مراراً عديدة ثم يوجرها العناد في حلقها ورفضها مصلحوهم فراغهم اتباعهم بالإحتفال بها ، فانظر (يه ٣ ج ص ٢٧٤ - ٢٧٧) .

وتارة يقطعون بنسبة الكتاب الى الوحي ويحامون عنه ومع ذلك يقطعون بأن جملة وافرة منه ليست من الوحي وما هو صريح بالعيان والوقوع

يجعلونه من الرؤيا والتوهم فانظر الجزء الأول ٣٢٥ و ٣٢٦ .
أو يقطعون بأن الشطر الكثير من كتبهم في الآيات والدلائل إنما
كان كذباً ومداهنة للرأى العام الغلط ، كما امتلأ العهد الجديد بهذا النحو في
آيات المسيح والرسل بحديث الأرواح النجسة ، فانظر في هذا الجزء الى الكلام
على خلق الجان صحيفة ٥٧ - ٦١ .

(وخلاصة الكلام) لو ان أحداً كتب تصوير أصحاب الكهف وخيال
كهفهم على حجر ورسم الى جنبه صليباً أو بعض صور القديسين وأودع ذلك
الحجر في بعض الآثار العتيقة فوجده بعض الاورپاويين لكانت قصة أصحاب
الكهف من الحقائق التي لا ريب فيها وخصوصاً إذا اعطيت الاجرة الوافرة
فكتب ذلك في صدر الجرائد والمجلات الشهيرة ، نعم وتحتل مع ذلك
ان داء المضادة والمحادة للقرآن يقتضى عدم التجاهر بتصديقها ، وهذا هو
الداء الذى الجأ المتكلف وأمثاله الى تكذيب أسلافه المسيحيين لهذه الواقعة
حتى سماها خرافة .

* * *

وقال الله تعالى شأنه في أول سورة الاسراء (سبحان الذى أسرى بعبده
ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) .
والمتكلف يريد أن يعترض على معراج رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم الى السماء فاعترض على هذه الآية الكريمة (يه ٢ ج ص ٨٥) وقال وقصة
المعراج هذه اخذت من كتب الفرس ومن خرافات اليهود القديمة فانها
مذكورة في كتبهم ٤٠٠ سنة قبل الهجرة .

قلنا : ان هاهنا حقيقتين (إحداهما) الاسراء برسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ،
(وثانيتها) عروجه صلوات الله عليه الى السماء ، والآية المذكورة إنما

تعرض لفظها للحقيقة الاولى ، فالاعتراض عليها من حيث الحقيقة الثانية إنما هو من سوء الفهم .

أما الاسراء الى بيت المقدس فلا ينبغي أن يحتاج الشك في إمكانه في قدرة الله إلا أن تأتينا دواهي الأيام بمن يطرح عقله ودينه وأدبه ويقول : (واستغفر الله) ان هذه القدرة مختصة بإبليس حيث تنقل بالمسيح من البرية مرة الى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في طرفة عين ، ومرة اخرى الى جناح الهيكل (مت ٤ ، ٥ - ٩ و لو ٤ ، ٥ - ١٠) .

وقد أعطى رسول الله لقريش علائم شاهدها حال الاسراء به كنفار بعض إبليس في طريق الشام وأسمائها وأوصافها وكلام أصحابها ، فلما وردت القافلة بعد أيام تحقق المشركون من ذلك ما ارغم آنفهم وألقمهم حجراً . وأما الحقيقة الثانية فإنه وإن شك فيها بعض بواسطة سفساف قد قيلت في الطبيعيات والهيئة القديمة مما لا يختص شططه بالجحود لحقيقة المعراج ، بل أول ما يعود الى الاحاد والجحود لقدرة الله وإرادته واختياره .

والكلام على هذه إنما يلزم في مقابلة الطبيعي الملحد ، وسيجيء إن شاء الله في المقاصد .

وأما من يتظاهر باليهودية والنصرانية فيكفيينا أن نحتج عليه في إمكان الصعود الى السماء ووقوعه بكتبته التي ينسبها الى الوحي حيث تذكر صعود البشر الى السماء مكرراً ، فلا يبقى في أمر المعراج إلا المطالبة بالحجة على وقوعه ، ومرجع ذلك الى الحجة على صدق النبي (ص) الذي اخبر به في دعوى النبوة

أما ما جاء في العهدين من أمر الصعود الى السماء فقد جاء في صراحة الملوك الثاني (٢ ، ١٠ و ١١) ان ايليا صعد الى السماء .

وجاء في الاناجيل ان المسيح صعد بجسده الى السماء (مر ١٦ ، ١٩
ولو ٢٤ ، ٥١) .

وعن كورنتوش الثانية عن بولس في مقام افتخاره (١٢ ، ٢ - ٥) اعرف
إنسانا في المسيح قبل أربع عشرة سنة أفى الجسد لست أعلم أم خارج الجسد
لست أعلم الله يعلم اختطف هذا الى السماء الثالثة واعرف هذا الإنسان أفى
الجسد أم خارج الجسد لست أعلم الله يعلم انه اختطف الى الفردوس وسمع
كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ للإنسان أن يتكلم بها .
وهذا الشك منه لا يصح إلا مع تجويزه لصعوده بجسده الى السماء
الثالثة وإلى الفردوس .

وأيضاً في شأن (حنوك) - أى ادريس المسمى فى العهد الجديد اخنوخ
جاء فى التوراة ان الله أخذه (تك ٥ ، ٢٤) ، وفى العهد الجديد ان الله نقله لكي
لا يرى الموت (عب ١١ ، ٥) ، والمعروف ان المراد من هذا الكلام
اصعاده الى السماء . .

هذا وان المعلوم من دين الإسلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أخبر بعروجه بجسده الشريف الى السماء ، فالحجة على نبوته حجة على
وقوع ما أخبر به ، كما ان صعود حنوك وايليا والمسيح يتوقف التصديق
به على العلم باخبار النبوة به ، وكذا الصعود الجسماني أو الروحاني الذي
نسبت دعواه الى بولس .

(فإن قلت) إذا كان الصعود الى السماء المذكوراً فى العهدين بهذا التكرار
فماذا يقول المتكلم ان المعراج مأخوذ من خرافات اليهود القديمة ، (قلت)
ان شئت أن تقول انه لا يدري بما فى كتبه ، وإن شئت أن تقول انه يريد
أن يموه على البسطاء ، ومن لم يطلع على العهدين ويغشهم بأن دعوى
الصعود الى السماء دعوى ابتدائية لم يتفق لها حقيقة فيتيسر له بزعمه

أن يقول لهم : انها خارجة عن حد المعقول . .
 (فإن قلت) لعل المتكلف يدعى انحصار الصعود الى السماء بصعود
 المسيح ويحتج لدعواه بقول انجيله نقلا عن قول المسيح ليس أحد صعد الى
 السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء (يو ٣ ، ١٣) ،
 (قلت) لا نحتاج الى ان ننسبها على حال الاناجيل ، ونذكر ك ما ذكرناه من
 تناقضها واختلافها ونسبتها الى المسيح ما لا يرضاه له من يحبه ويعتقد بآيمانه
 وكاله وصلاحه ، على ان هذا بل بعضه يكفي في بطلان هذا التشبث الواهي بل
 نقول ان هذا المنقول كذب على المسيح لأن هذا الكلام يكذبه العهدان ، فانه
 ان اريد منه الزمان الماضي بالنسبة الى حال التكلم كما يقتضيه لفظ (صعد)
 فانه يكذبه العهد القديم بما يذكره من صعود ايليا وهو كاذب أيضاً بنسبة
 الصعود الى المسيح لأنه حينئذ لم يكن قد صعد الى السماء ، وهو مع كذبه من
 هاتين الجهتين لا يمس معراج رسول الله بشيء من أوهام النفي ، وإن اريد منه
 ما يعم الماضي والمستقبل رغماً على اللفظ فانه يكذبه أيضاً صعود ايليا وكلام
 بولس في صعوده الى السماء الثالثة ، فانه لو كان هذا الكلام صادقاً لما صح
 لبولس أن يتردد في صعوده بين كونه في الجسد أو خارج الجسد .
 وأيضاً ما معنى قوله ابن الانسان الذي هو في السماء ، فهل في السماء
 إنسان يكون المسيح ابنه .

* * *

وقد اقسم الله جل شأنه في جملة من فواتح السور بأشياء من بدائع صنعته
 إذ كانت مظاهر قدرته وآثار رحمته ووسائل نعمه ، فاقسم بها تنويهاً بآثار
 القدرة في خلقها وتنبيهاً الى أسرار النعمة فيها وإعلاماً بتشرفها بشرف الآثار
 وجلالة أسرار الآلاء .

فقال جل اسمه مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم : (يس والقرآن

الحكيم إنك لمن المرسلين) ، وقال جل اسمه : (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) ، وقال جل شأنه : (والتين والزيتون - وهما أظهر ثمار الأرض المقدسة - وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . .) ونحو ذلك من الأقسام .

فاعترض المتكلف (يه ٢ ج ص ١٠٨) بقوله والمسيح يعلننا ما نصه لا تحلفوا البتة لا بالسما لا لأنها كرسي الله ولا بالأرض لأنها موطن قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء ، بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير (مت ٥ ، ٣٤ - ٣٧) يعني ان الحلف هو من عمل الشيطان والقرآن يحلف بكل شيء .

قلنا : ان الذى أقسم بهذه الأقسام فى القرآن هو الله جل جلاله ، فهل يقول المتكلف ان الله جل شأنه محكوم لإنجيل متى ، مع ان العهدين يذكران ان الله جل اسمه أقسم بذاته لإبراهيم (تك ٢٢ ، ١٦) وبقدسه لداود (مز ٨٩ ، ٣٥) ، وباسمه العظيم ليهوذا (ار ٤٤ ، ٢٦) وبيمينه وذراع عزته لصهيون (اش ٦٢ ، ٨) وبغضه لبني اسرائيل (مز ٩٥ ، ١١) وبفخر يعقوب (عا ٨ ، ٧) ، وذكر أيضاً لله أقساماً كثيرة فانظر (لو ١ ، ٧٣) و (١٦ ، ٢٠) و (عب ٧ ، ٢١) وغير ذلك . .

وان القسم هو توسط العظيم فى تثبيت الكلام وتأكيده مضمونه ، وقد يقصد به مع ذلك معنى آخر وهو التنبيه على عظمة المحلوف به والتنويه بشأنه كما تقول المزامير ان الله أقسم بغضبه ، فإن المراد من غضبه جل شأنه هو انتقامه وتنكيله بمن يعصيه لأنه جل جلاله منزه عن عروض صفة الغضب كما تعرض للبشر ، فأراد الله بقسمه بغضبه أن ينبه الى عظمة نعمته وشرف شأنها فى التأديب والتوبيخ وقطع دابر المفسدين .

ونحو ذلك ما ذكرناه عن اشعيا من ان الله اقسم بيمينه وذراع عزته فان المراد من ذلك آثار قدرته في نعمته ونعمته جلت عظمته ، وبهذا الاعتبار اقسم الله في القرآن الكريم بالقرآن الحكيم والأماكن المقدسة مظاهر البركة والرحمة كما نبهنا عليه في أول العنوان .

ولا بأس أن نتعرض لنهي انجيل متى عن حلف البشر ، فنقول : ان العهد القديم جعل الحلف بالله نحواً من العبادة والإعتراف بإله الحق وتوحيده فقد جاء فيه الرب إياه تعبد وباسمه تحلف (تث ٦ ، ١٣ ، و ١٠ ، ٢٠) يفتخر كل من يحلف به (مز ٦٣ ، ١١) والذي يحلف في الارض يحلف بإله الحق (اش ٦٥ ، ١٦) كيف اصفح لك عن هذه بنوك تركوني وحلفوا بما ليست آلهة (ار ٥ ، ٧) ويكون إذا تعلموا علما طرق شعبي ان يحلفوا باسمي حتى هو الرب (ار ١٢ ، ١٦) وكثير من نحو ذلك .

وجاء أيضا إذا نذر رجل نذراً للرب أو اقسم قسماً أن يلزم نفسه بلازم فلا ينقض كلامه بكل ما خرج من فمه يعمل (عد ٣٠ ، ٢) .

وجاء في متى (٣٣ ، ٥) أيضا قد سمعتم انه قيل للقديما لا تحنث بل أوف للرب اقسامك ٣٤ وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسما لا أنها كرسى الله ٣٥ ولا بالارض لا أنها موطن قدميه ولا بأورشليم لا أنها مدينة الملك العظيم ٣٦ ولا تحلف برأسك لا أنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء ٣٧ ، بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد عن ذلك فهو من الشرير . . .

وهذا الكلام ان كان المراد منه تحريم القسم مطلقا صادقا كان أم كاذبا ، فهذا الإحتجاج فيه لا يستقيم وذلك لوجهين (أحدهما) ان القسم إنما يكون بما له شأن وجهة عظيمة ، وان كون السماء كرسى الله هي المصححة للقسم بها لا مانعة منه .

وكذا كون الارض موطىء قدميه - أى محل نفوذ مشيئته ، وكذا كون اورشليم مدينة الملك العظيم .

فإن هذه الثلاثة قد اكتسبت بنسبتها الى الله جل جلاله شرفا وكرامة فيحق القسم بها وإلا فماذا يحق القسم ، أترأه يحق بالأوثان وهياكلها ومرفعاتها وسواريتها .

وأیضا ان صورة هذا الإحتجاج تعطى ان المانع من القسم بالامور العظيمة هو أمر عقلي لا يختلف بحسب الأزمان والشرائع ، وفي ذلك اعتراض على التوراة بتسويةها القسم وتغليط لشريعتها في ذلك .

أجل فأين يكون القول المنسوب في هذا الإصحاح للمسيح ، لا تظنوا انى جئت لاقض الناموس والانبياء - بل لا أكمل - الى نزول السموات والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات (مت ٥ ، ١٣ - ٢٠) .

فإن هذا الكلام يناقض مخالفة التوراة ولو بنحو النسخ فضلا عما يعود عليها بالإعتراض والتغليط لشريعتها ، نعم الذى يناسب هذا الإحتجاج هو قول القائل لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضعا لثان (عب ٨ ، ٧) ولو لا تشويش الكلام المتقدم لا يمكن حمله على التعليم بالإجتناى من إكثار القسم حذراً من الوقوع فى الحنث الكثير وأن لا يستهان بالحلف بالسماى والارض وأورشليم والرأس الذى هو من عجائب صنع الله ، وذلك لكرامة هذه المذكورات بانتسابها الى الله بالوجوه المذكورة ، فتكون الإستهانة بها جرئة على الله . فطريق الإحتياط هو اجتناب القسم لئلا يعتاد اللسان على إكثاره فيقع فى الحنث كثيراً ، فإن إكثاره واستسهال أمره من الشرير .

ويؤيد هذا الحمل ما جاء فى الرسالة المنسوبة الى يعقوب (١٢ ، ٥) لا

تحلفوا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر ، بل لتكن نعمكم نعم ، ولاكم لا اثلا تقعوا في دينونة أي لثلا توقعكم كثرة الحلف في دينونة الحنث وعقابه ، وقال الله جل شأنه في سررة البقرة ٢٢٤ : (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبرؤوا وتتقوا) ، وفي سورة القلم ١٠ (ولا تطع كل حلاف مهين) . (تنبيه) : لا يوجد في التوراة ما ذكر في متى من قوله قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك . بل الموجود فيها من هذا النحو ما ذكرناه عن عد (٢ ، ٣٠) .

* * *

وقال الله تعالى في سورة النحل ١٠٨ : (من كفر من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) .

فقال المتكلف (به ٢ ج ص ٨٥) نزلت في عمار بن ياسر وذلك فإن المشركين أخذوه وأباه وامه وغيرهم فعذبوهم وقتلوا أباه وامه ، وأما عمار فوافقهم وكفر بمحمد وقلبه كاره فأتى عمار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي فقال له محمد (ص) ما وراك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك ؟ قال مطمئناً بالإيمان فجعل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا فعد لهم بما قلت ، يعني يجوز الكفر باللسان إذا كان في القلب الإيمان وهو تعليم فاسد ، وهل يرضى الله بالشرك به باللسان انظر قول المسيح من ينكرني قدام الناس أنكره قدام ملائكة أبي في السموات وقوله لا تخافوا ممن يقتل الجسد بل خافوا ممن يقتل الجسد ويعذب النفس معاً فالبدأ الذي وضعه محمد (ص) يساعد المنافق على نفاقه .

قلنا : أما الآية الكريمة فلا تعرض فيها لتسوية الكفر باللسان مع اطمئنان القلب بالإيمان ، وغاية ما تعرضته هو استثناء هذا المكره المطمئن

القلب بالإيمان ، وأخرجته من الوعيد بغضب الله والعذاب العظيم الذين يستحقهما الكافر الذي شرح بالكفر صدرأ ، وهذا الاستثناء حقيقة لازمة لا يمكن لذي شعور إنكارها ولا يسوغ لذي عقل ومعرفة ان يدعى ان المكروه على كلمة يقولها والمراد الحقيقي يكون عذابها واحداً .

وأما تشبث المتكلف فإنما هو ببعض وجوه الرواية الأحادية المختلفة الألفاظ المضطربة النقل المقطوعة السند .

وزاد المتكلف على ذلك فخطب ولفق ما ذكره من روايات مختلفة ويكنى في اضطراب الرواية ان المذكور من طريق أبي عبيدة (فإن عادوا فعد) وعن محمد بن سيرين (فإن عادوا فقل ذلك لهم) ، وفي رسالة الكشاف (ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت) .

وفيما أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس لم يذكر من ذلك شيء بل مقتضى الرواية المذكورة انه لا محل لشيء من هذا القول فانها تذكر ان عماراً أخبر رسول الله (ص) بما جرى له حينما لحقه في هجرته الى المدينة دار المنعة والأمان من عود المشركين الى تعذيب عمار وإكراهه . . .

وأما النقل لما قاله عمار للمشركين فهو مضطرب أيضاً ، ففي رواية ابن عباس ان عماراً قال للمشركين كلمة أعجبتهم تقيية .

وفيما روى من طريق أبي عبيدة سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر آلهة قريش بخير ، وفيما عن السدي ان عماراً وخباباً أخذهما قريش وعذبوهما حتى كفرا ، وفيما عن قتادة ان بني المغيرة غطوا عماراً في بئر وقالوا أكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فاتبعهم على ذلك وقلبه كاره ، وفي رسالة الكشاف ان عماراً أعطى قريشاً ما أرادوا بلسانه ، وغاية ما يتفق عليه هذا النقل المضطرب هو ان عماراً نال من رسول الله (ص) بلسانه وهو مكروه

ملجأ ، وعلى فرض صحة ذلك لنا أن نقول ان فلسفة الايمان ونشر كلمة الحق وإعلاء كلمة الدين تقتضى أحوالاً مختلفة بحسب اختلاف الوقت ومصالحته ومناسباته ، فرب وقت لا يسع فيه إلا الملاينة والابقاء على أنفس المؤمنين الداعين الى الحق ليتلطفوا في نشر الدعوة بالرفق والمطايبة الى أن تسنح له الفرصة الى نشرها بالحزم والجد ، وذلك حيث يأمنون بحسب العادة من استئصالهم الموجب لانعدام أنصار الدعوة ، فان الغرض في مثل هذه الامور ليس مجرد تسليم النفوس للهلاك وإنما هو النهضة لاعلاء دين الحق ببث الدعوة وكسر شوكة الضلال بتعاقد الأتصار ، فربما لا يمنع العقل ولا الشرع من بعض أنحاء الملاينة والمداراة من بعض الأشخاص في بعض الأحوال إذا كان الحزم والشدة فيها هادمين لبنيان الدعوة مضعفين لأساسها ، نعم لا يجوز للنبي معلم الدعوة أن ينكل عنها وينكرها أو يبدل في تعليمها بحال من الأحوال ، وإنما له في فلسفتها ان يتمهل في الجد في تكرارها ويتلطف في أمرها الى أن تسنح له الفرصة في اجرائها بالحزم والشوكة ، فنقول بناء على الرواية والسيرة المعلومة ان عماراً قد اخذ في أمر الايمان ونصرة الحق بمجامع الحكمة واعطى كل مقام حقه بحسب حاله ، فانه رجح الملاينة مع المشركين بكلمة يورى بها في شأن رسول الله (ص) وذلك حيث كان محتقراً بين المشركين يعلم ان قتله لا يجدى في قوة الدعوة ولا يهيا لها ثاراً تعزى بطلبه ، بل إنما ينقص قتله من عيدها ، ومع ذلك فقد رهقه الوجع بما قال وجاء الى رسول الله (ص) باكياً .

ولعل هذا الحال أحسن أثراً في نصرة الدعوة من قتله في تلك الحال . ولكن لما قويت شوكة الحق وكثرة دعائه وعلم ان قتله ان لم يشيد كلمة الحق لا يضعضعها اخذ حينئذ بالحزم والشدة بجدى سيفه ولسانه . . هذا ولو صح من الرواية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار ان عادوا فعد لهم بما

قلت لكان ناظراً الى مثل الحال في اكرام عمار وان يقول مثل ما قال بما تصلح التوراة فاسدة .

وقد بيننا ان حكمة الدين قد تقتضيه ورضاه الله لأجل إعلاء دينه ولم يكن ذلك تجويزاً للكفر باللسان مطلقاً ولا تعليماً به ، ولكن جاء في انجيل المتكلف عن قول المسيح كل خطيئة وتجديف يغفر للناس ، وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس ، ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له ، وأما من قال على الروح القدس فان يغفر له (مت ١٢ ، ٣١ و ٣٢) .

ولا تلتفت الى تشبث المتكلف للنع من ذلك مطلقاً بما نقله عن قول المسيح من ينكرني قدام الناس أنكره قدام ملائكة ابي في السموات ، فانه لا بد أن يحمل الانكار على إنكار المسيح حقيقة كن شرح بالكفر صدرأ ، ولا يمكن عمومه للكفر بالمسيح وإنكاره باللسان ، وإلا كان هذا الكلام المنقول عن المسيح كاذباً بمقتضى العهد الجديد .

فإن الأناجيل اتفقت على ان بطرس أنكر المسيح وصار يحلف ويلعن مع ان المسيح أنذره بذلك وهو قد عاهد المسيح على أن لا ينكره ، ومع ذلك فالعهد الجديد يقول : ان المسيح بعد ذلك بأيام قلائل سلم اليه رعاية الكنيسة (يو ٢١ ، ١٥ - ١٨) .

ومن الظرائف ان المتكلف لم يكتف باختلاف متى ولوقا في نقلهما لكلام المسيح حتى ثلثهما بالاختلاف والتعريف ليكمل له التثليث ، ففي متى (٣٣ ، ١٠) من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات ، وفي لوقا (٩ ، ١٢) ومن أنكرني قدام الناس 'ينكر قدام ملائكة الله ، والمتكلف ينقله بتعريفه هكذا من ينكرني قدام الناس أنكره قدام ملائكة أبي في السموات ، وكذا ثلث بالاختلاف والتعريف في نقله عن قول المسيح لا تخافوا ممن يقتل

الجسد بل خافوا من يقتل الجسد ويعذب النفس معاً فطابقه مع (مت ١٠، ٢٨ ولو ١٢، ٤ و ٥) .

ويكفي في بطلان التشبث بهذا الكلام انه يفتح باب الاعتراض على المسيح حيث تذكر الاناجيل انه سئل عن اعطاء الجزية لقيصر فصار يعنى في الجواب ويورى به على وجه يوهم ما يخالف حكم الله ، فانظر (مت ٢٢ و مر ١٢ ولو ٢٠) ولم يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون ان يقتلوه (يو ٧، ١) ولأجل ذلك لم يكن يمشى بينهم علانية (يو ١١، ٥٣ و ٥٤) وهذا يقتضى ان الخوف من الناس قد صده عن دعوته وتعليمه ، هذا كله ولم يكن في دعوة التلاميذ إلا الوعظ بأنه قد اقترب ملكوت السموات وملكوت الله (مت ١٠، ٧ ولو ١٠، ٩) .

وليس في هذا مظنة خوف لأنه ليس فيه مصادمة لنحلة المدعوين لا في عبادتهم ولا في شريعتهم ، بل هي بشارة بحملة تمتد اليها الأعناق وتشرح لها الصدور فان اليهود كانوا ينتظرونها .

* * *

وقال الله تعالى في سورة النحل ٧١ : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) .

فقال المتكلف (به ٢ ج ص ٨٤) : ادعى القرآن ان عسل النحل شفاء من كل داء .

قلنا : لا يخفى على من اطالع على الطب ان العسل فيه شفاء من أدواء كثيرة ، وأيسر ذلك انه الجزء المقوم في المعاجين والترياقات الكبار الفعالة وقد قال القرآن الكريم فيه شفاء ورحمة ولم يقل فيه شفاء من كل داء ، وإنما قال ذلك روح الكذب والتعصب .

* * *

وقال الله تعالى في سورة الأحزاب ٧٢ : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) .

فقال المتكلف (يه ٢ ج ص ١٠٤) ولم يكتف القرآن بأن جعل البهائم والدبابات من العقلاء بل جعل الجمادات أيضاً ، ثم قال : ان الإنسان وحده المختص بالعقل .

قلنا مما جاء في كتاب العهدين من هذا النحو قوله ابصرتك ففزعت الجبال (حب ٣ ، ١٠) رأت الأرض وارتعدت من (٣ ، ٩٧) لماذا أيتها الجبال المسنمة ترصدن جبل الله (من ٦٨ ، ١٦) ترنمي أيتها السماوات اهتفي يا أسافل الأرض أشيدي يا جبال ترنما الوعر وكل شجرة فيه (اش ٤٤ ، ٢٣) ان سكت هؤلاء فان الحجارة تصرخ (لو ١٩ ، ٤٠) .

فإن قال المتكلف ان هذه حقائق غيبية قد كشف عنها الوحي وأعلنا منها بما قصرنا عن إدراكه فلماذا لا يقول بمثل ذلك في القرآن الكريم . وإن قال انها استعارات وكنائيات فلماذا لا يقول بمثل ذلك في القرآن الكريم ، أم انه لا يدري بما ذكرناه من كتابه ، أو يدري ولكن روحه لا تدعه حتى ينفث بما عنده .

* * *

وقال الله تعالى في سورة النمل ٨٤ : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) .

فزع المتكلف (يه ٢ ج ص ١٠١) نقلا عن بعض المفسرين ان الدابة المذكورة هي الجسماسة الواردة في أخبار الأحاد المضطربة والأقوال المشوشة المختلفة فجعلها من الخرافات . .

وذكرها « سايل » (ق ١٥٧) ، وذكر اضطراب الأقوال فيها ، ثم

قال (ص ١٥٨) وكل هذا الهذيان إنما هو نتيجة خواطر مختبلة أصلها الوحش المذكور في سفر الجليان .

قلنا لم يدل دليل قاطع على ان المراد بدابة الأرض غير الإنسان ، بل دلت بعض الأدلة المعتبرة ان المراد بها إنسان خاص ، وان الإنسان بما يدب على الأرض ، وقد قال الله تعالى : (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) وانظر الى التوراة الرائجة (تك ٧ ، ٢١ ، ٢٢) ، وشتان ما بين حسن هذا الإبهام المناسب لمقتضى الحال وبين سماجة الكناية عن المسيح بالحروف الذى له سبعة قرون (روه ٦ ، ٥ ، ٨) وعن جسده بالهيكل - أى بيت المقدس ، (يو ٢٠ ، ٢١) .

ولئن قبلنا أخبار الأحاد في هذا الشأن فليكن ما روى فيها من تأثير الدابة على الجباه مثل ما جاء من السمعة والكتابة على الجباه (خر ٩ ، ٤ وروء ٣ ، ٧ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٤) .

وان مقتضى أخبار الأحاد ان الدابة المذكورة أشبه شئ بالحروف المذكور (روه ٦ ، ٥) أو أحد الحيوانات الأربعة المذكورة (روه ٦ ، ٤) ، ولئن كانت أقوال بعض المسلمين وروايات آحادهم في الجساسة من الهذيان الناشئة عن خواطر مختبلة ، فما ظنك بسفر الجليان - أى رؤيا يوحنا - الذى يمثل لك سورة البرسام وهذيانه ، وان أخبار الجساسة والأقوال فيها ليست من أصول الإسلام ولا كتب وحيه ، ولا يقطع المسلمون على صدورها من مأخذ الدين الإسلامى ، ولكن النصارى في قرون كثيرة قد اتفقوا على أن سفر الرؤيا ليوحنا الرسول ولا يشكون في انه كتاب وحي وإلهام .

* * *

وقال الله تعالى في سورة الحجر في شأن الناوين اتباع ابليس ٤٣ (وإن جهنم لموعدهم أجمعين ٤٤ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) .

فقال المتكلف (به ٢ ج ص ٨٣) وكتاب الله يعلمنا انه لا يوجد سوى محلين وهما الجنة والنار فحل المؤمن الحقيقي هو النعيم وحل الغير المؤمنين هو الجحيم ، فالاعتقاد بوجود سبع دركات وسبع أبواب لجهنم من الإعتقادات او ثنية ومن خرافات اليهود .

قلنا لا يخفى اختلاف الغاوين في غوايتهم والمجرمين في عظامهم جرهم فلا بد لمن يؤمن بالآخرة والعقاب و جهنم ان يدعن باختلاف العقاب فيها بحسب أنحاء الاحاد والكفر والفساد والظلم واضطهاد الداعين الى الله ، ولا بد أن تختلف دار العقاب في معاقل سجونها في شديد العقاب وأشدّه ، وهذه حقيقة لا ينكرها غير الملحد ولا طريق لتفصيل مجملها إلا الوحي الالهي ، وقدين الله العظيم في كتابه الكريم نحواً من ذلك حسبما يقتضيه حال الموعظة ، وأما الكتب الرائجة التي اغتر المتكلف بها فلم تصرح بخلاف هذه الحقيقة ولم تقل ان جهنم لها باب واحد أو طبقة واحدة ، وان اقتصارها على ذكر جهنم لا يقتضى دلالتها على انها عرصة بسيطة فيها نار واحدة بكيفية واحدة وعقاب واحد ، وانها ليدبغى التشكك لبعضها إذ سمح بذكر جهنم ، فان التوراة الرائجة - وحاشا الحقيقية - لم تظر لجهنم ذكراً ، وإنما شددت وعيدها بالقحط والأمراض ، وأن يتزوج الخاطيء امرأة ورجل آخر يواقعها (تث ٢٨ ، ٣٠) .

وقد عرفت من أشتات كتابنا حال كتب المتكلف الرائجة في نسبتها الى الوحي ، واشتغالها بالتناقض والفضول الفرغة ، الحوجج الواهية ، والتفصيل القبيح في مثالب الانبياء والأولياء ، ونسبة الكفر والفضائح الى قدسهم وإلى عائلاتهم .

ولعل المتكلف يغتر ويقول ان الكتب التي لا يفوتها مثل الاكثار من ذلك لا يفوتها تفصيل الحقيقة لجهنم لو كان لها أصل ، فقل له مهلاً ولا تبشر

أوهامك فإن الكتاب الذى تستودعه تقلب الأحوال والنشآت وتلاعب الأيام والأهواء مثل ما ذكرناه لا بد من أن تستلب منه كثيراً من الحقائق وكفى بحال التوراة الرائجة حجة عليك ، فإنها أكثرت في سفاسفها في شأن الأنبياء والأولياء وتفصيل ثياب هارون وصيدلة البرص ولم تسنح لها الفرصة بذكر جهنم أصلاً ورأساً ، وانك في اعتراضك على القرآن بغفلة كتبك قد فتحت للطبيعى باب الاعتراض على العهد الجديد إذ قال لك ان جهنم المذكورة في العهد الجديد هي من الخرافات ، فإن التوراة التي هي أساس تعليم العهدين لم تذكر جهنم أصلاً ، على ان اعتراضك على القرآن الكريم بغفلة كتبك المعروف حالها انما هو شطط واه ، واعتراض الطبيعى على كتبك بتوراتك جدل لازم فحى متى .

* * *

(المقدمة الرابعة عشرة)

فيما تضمنه العهدان الرائجان من حيث اللاهوت والنبوات
والشريعة والآداب ، وفيها فصول

* * *

(الفصل الأول في الإلهيات) .

لا يخفى ان عنوان العهدين هو التعليم بوجود الإله الصانع القادر العليم الحكيم الحى الأزلى الدائم ، وبجلال قدسه وكمال ذاته وبتوحيده ، وانه جل جلاله لا إله غيره ولا شبيه له ولا مثل ، غير منظور ولا يرى ، والتعليم بالتزهد من ضلالة الشرك وعبادة الأوثان .

ولكن دواهي الأيام ودواعي الأهواء قلنا تدع حقيقة لا تكدر صفوها

ولا تدخل عليها أضدادها في ديوان بيانها وكتاب تعليمها حتى تتركها
وأضدادها في معترك التناقض ومثابرة التنافر ، وإن أوهمت كثيرين بتليبس
المختلس على الغافل وخدعة الماذق للغر انها قد نظمت فرائدها في سمط البيان
وجمعت فوائدها في ديوان الوحي ، (وهيئات فقد سبق السيف العذل واتسع
الخرق على الراقع ، ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر) .

ولذا جاء في العهدين في الأمور الإلهية والشؤون النبوية ما لا يقف في
صف الحقيقة ، ولا يستقيم على قاعدة الايمان ولا يدور على محور العرفان .
فقد ذكرت التوراة الرائجة عن وحى الله لموسى باللغة العبرانية ان اسمه
المقدس جل اسمه « يهوه » (خر ٣ ، ١٥ و ٦ ، ٣) .

وكذا جاء في المزمور (١٨ ، ٨٣ و عا ٤ ، ١٣ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ٦) ،
ويهوه هو الاله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت ليس سواه ،
(تث ٤ ، ٣٩) .

وهو إله ابراهيم واسحاق ويعقوب (خر ٣ ، ١٥ و ١٦) ، وهو الاله
الذي خلق السموات والأرض وجبل آدم تراباً من الأرض (تك ٢ ، ٤ و ٧)
ومقتضى هذا ان (يهوه) اسم علم لله جللت أسماؤه .

ولكن التوراة الرائجة تقول وأخذ يهوه الاله آدم ووضع في جنة عدن
ليعملها ويحفظها ، وأوصى يهوه الاله آدم قائلاً من كل شجر الجنة أكلت كل
ومن شجرة معرفة الخير والشر (أو معرفة الحسن والقبیح) فلا تأكل منها
لأنك بيوم أكلك منها موتاً تموت (تك ٢ ، ١٥ - ١٨) .

وقالت (الحية) للمرأة (حوا) : أحقاً قال الله لا تأكل من كل شجر
الجنة ؟ فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل ومن ثمر الشجرة التي في
وسط الجنة ، قال الله تعالى : (لا تأكل منه ولا تمسأه لئلا تموتا) ، وقالت
الحية للمرأة لا تموتا موتاً بل يعلم الله انه بيوم أكلكما منه تنفتح أعينكما وتكونان

كالله عار في الخير والشر ، (فلما أكل آدم وحواء) انفتحت أعينهما
وعلمتا انهما عريانان .

فالتوراة الرائجة تقول بسخافة مضمونها واستغفر الله انه قد كذب القول
لآدم بأنه بيوم أكله من شجرة الخير والشر يموت موتاً بل كانت الحياة هي
الصادقة في قولها ، فانهما لما أكلتا من الشجرة انفتحت أعينهما وعلمتا انهما
عريانان وصارا عار في الخير والشر كما سيأتي .

والمتكلف (يه ٢ ج ص ١٣١) جمع في الاعتذار عن ذلك بين أمرين
متباينين تتكفل ذات التوراة ببيان غلطهما (أحدهما) ان المراد من الموت هو
الموت الروحي لأن آدم لما تعدى الوصية استوجب سخط خالقه ، وتوراة
المتكلف تغلظه في هذا الاعتذار فانها تقول ان آدم قبل أكله من الشجرة لم يكن
عارف الخير والشر حتى انه لا يميز انه عريان ولا يخجل من ذلك وهذا الحال
هو الهمجية والموت الروحي ، وإن من كان على مثل هذا الحال لا يدرك قبس
المخالفة ولا يصح السخط عليه ، وكيف يصح السخط على من لا يعرف الخير
والحسن لكي يعرف حسن الطاعة ولا يعرف الشر والقبسح لكي يعرف قبسح
المخالفة وتعدى الوصية .

بل مقتضى التوراة ان أكله من الشجرة أوجب له الحياة الروحية ، إذ
صار عار في الخير والشر كالاله وصار قابلاً بمعرفته أن يشرق في قلبه نور
العروان والايمن والرغبة في الطاعة .

(وثانيهما) انه يوم أكله من الشجرة دبت فيه أسباب الموت وغرست
في جسمه بذور الفناء . . .

والتوراة توضح ان هذا وهم فاحش لأن مقتضاها ان آدم لم يخلق للبقاء
بل قد وقعت المحاذرة والتدابير لئلا يأكل من شجرة الحياة فيعيش الى
الأبد كما ستسمعه فهو من يوم خلق قد غرس التقدير في جسمه بذور الفناء

فهذا الموت التقديرى لازم له قبل أكله من الشجرة .
ثم اعلم ان كاتب التوراة الرائجة وحاشا الحقيقية قد اودع مضمونها
السخيف أكثر مما قالته الحية فى المنشأ لنهى آدم عن الأكل من الشجرة ،
غفرانك اللهم وأنت المستعان على عبث الالهواء .

وتقول التوراة الرائجة أيضاً ان يهوه تبارك اسمه وجل شأنه سمع آدم
وحوا صوته وهو متمش فى الجنة عند ريح النهار فاختمباً آدم من وجهه فى
وسط شجر الجنة فنادى يهوه الاله آدم وقال له أين أنت ؟ فقال : سمعت
صوتك فى الجنة فخشيت لاني عريان فاختمبأت فقال : من أعلمك انك عريان
هل أكلت من الشجرة (تك ٣ ، ٨ - ١٢) .

أفلا ترى ان هذا الكلام يقول بسخيف مضمونه ان الله جل شأنه جسم
يتمشى فى الجنة وله فى تمشيه صوت ، وان آدم بعد ما صار عارفاً للخير والشر
عرف ان الاختباء فى شجر الجنة يخفيه على الله تعالى شأنه ، وكأنه لا جل
ذلك سأله أين أنت .

وتقول لما أكل آدم من الشجرة وصار عارفاً للخير والشر ، قال يهوه :
هو ذا الانسان صار كواحد منا عارفاً للخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ
من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيى الى الأبد فأخرجه يهوه الاله من جنة عدن
وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم وهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة
الحياة (تك ٣ ، ٢٢ - ٢٤) .

أفلا ترى ان هذا الكلام يقول مضمونه ان الله جلت عظمتة وعظمت
قدرته قد خاف من عاقبة آدم وصار يحاذر منه على استقلال مملكته واستبداده
فى أمره حتى أعمل التدابير والاحتياطات اللازمة .

وتقول أيضاً (لما عزم بنو آدم بعد الطوفان أن يبنوا فى بابل مدينة
وبرجاً حصيناً لتلا يتبدوا على وجه كل الأرض) نزل يهوه لينظر المدينة

والبرج للذين كان بنو آدم يبنونهما ، وقال يهوه هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداءهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كلما ينوون أن يعملوه هم ينزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، (تك ٢٢ ، ٥ - ٨) .

أفلا تقول ما حاجة علم الله جل جلاله الى النزول لأجل الاطلاع وما حاجة قدرته العظيمة الى الاستعانة والنزول ، وما أقبح هذه التعبيرات حتى لو سمح أسلوب التوراة الزائجة بحملها على المجاز ولكننه لا يسمح ، أو لا ترى ان مضمون هذا الكلام يقول بسخافته ان الله جل شأنه خاف على مملكته من تمرد الرعية وخروجهم عن نفوذ سلطانه فاستغاث بمن يعينه على النزول معه لأعمال التدابير والاحتياطات في حفظ المملكة عن الانحلال .

وتقول أيضاً : وقال يهوه صرخة سدوم وعمورة قد كثرت وخطيئتهم قد عظمت . جداً انزل وارى كصرختها الآتية إلى عملوا كما وإلا أعلمها ، (تك ١٨ ، ٢٠ و ٢١) .

وقل ما حاجة علم الله جل اسمه الى النزول لأجل الاطلاع وتحقيق الحال والكشف على مطابقة الصرخة والشكاية لحقيقة العمل ، أم لا لكي يحصل له العلم بحقيقة الحال في هذا النزول للإكتشاف .

وتقول أيضاً : ما حاصله ان يهوه جل اسمه وعد موسى بأن يصعد بني اسرائيل من مصر الى أرض الكنعاني والأموري والحوي واليبوسي ، ولكننه جل شأنه قال لموسى : تدخل أنت وشيوخ بني اسرائيل الى ملك مصر وتقولون يهوه إله العبرانيين استقبلنا فالآن نمضي طريق ثلاثة أيام في البرية ونذبح ليهوه إلهنا .

مع انها تصرح بأن الله لم يستقبل بني اسرائيل ، بل أرسل اليهم موسى ولم يكن المقصود هو الذهاب طريق ثلاثة أيام الذبح ، بل المضي .

الى أرض الموعد المذكورة ، وحاشا لله أن يعلم بالكذب ويفتح رسالته بهذا العمل الفاسد .

وتقول أيضاً : لما رجع موسى برسالة الله من مديان الى مصر حسب الأمر والموعد صار في الطريق في المنزل والتقاءه يهوه وطلب أن يقتله فأخذت صفورة امرأة موسى صوانة فقطعت غرلة ابنها ومست رجله وقالت : انك عريس دم لى فانفك عنه (تك ٤ ، ٢٤ - ٢٦) .

أفلا ترى ان هذا الكلام يقول بسخافة مضمونه ان الله جل شأنه أخاف وعده لبني اسرائيل وموسى ، وطلب أن يقتله ولكنه انفك عنه بمخادعة صفورة .

وتقول أيضاً : ان يهوه كلم موسى وهارون أن يأمر بني اسرائيل في مصر بذبح الفصح ، وأن يجعلوا من دمه على أبوابهم ويعبر يهوه ويضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم ويكون الدم الذى على الأبواب علامة على بيوت اسرائيل فيرى يهوه الدم ويعبر عنهم فلا تكون عليهم ضربة للهلاك حينما يضرب مصر (تك ١٢ ، ٦ - ١٤ و ٢١ - ٢٤) .

ويا للعجب العجيب ما حاجة الله الى العلامة ، أفلم يكن من الممكن في علمه جل شأنه أن يعرف بيوت اسرائيل بدون العلامة .

وتقول أيضاً : ان موسى وهارون وناداب وايبهو وسبعين من شيوخ اسرائيل رأوا إله اسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ، فرأوا الله وأكلوا وشربوا (خر ٢٤ ، ٩ - ١٢) .

وكيف يكون التجسيم إذا ، بل لو قيل ان الله جل شأنه جسم متحيز فى مكان لا حتمل من المجاز ما لا يحتمله هذا الكلام .

وتقول أيضاً : فنزل يهوه فى السحاب ووقف - أي موسى - عنده هناك

ونادى باسم الرب وعبر يهوه قدامه (خر ٣٤ ، ٥ و ٦) فنزل يهوه في عمود
سحاب ووقف بباب الخيمة (عد ١٢ ، ٥) .

ويقول العهد القديم : ان يهوه كان جالسا على كرسيه وكل جند السماء
وقوف لديه عن يمينه وعن يساره ، فقال يهوه من يغوى اخاب فيصعد ويسقط
في راموت جلعاد فقال هذا هكذا ، وقال ذلك هكذا ، ثم خرج الروح
ووقف أمام يهوه فقال أنا أغويه فقال له يهوه بماذا ؟ فقال أخرج وأكون
روح كذب في أفواه جميع أنبيائه فقال انك تغويه وتقدر فأخرج وافعل
هكذا (١ مل ٢٢ ، ١٩ - ٢٣ ، ٢ و ٢ اي ١٨ ، ١٨ - ٢٢) .

ولا تخفى سخافة هذا الكلام في تضمنه للتجسيم والعجز والحيرة وعدم
الاهتداء الى الرأى حتى اهتدى اليه روح الكذب ، وان القدرة تقصر عن
نفوذها حتى تتوصل بالكذب .

ويقول العهد القديم عن وحى أرميا ، فقلت : آه ياسيدى يهوه حقاً خداعاً
خادعت الشعب هذا وأورشليم قائلاً سلام يكون لكم وقد بلغ السيف الى النفس .
وسخافة هذا الكلام لا تحتاج الى البيان .

وجاء في العهد الجديد ان المسيح لما صعد الى السماء جلس عن يمين الله
(مر ١٦ ، ١٩ و عب ١٠ ، ١٢ وانظر اع ٧ ، ٥٦) .

وهذا يقتضى التجسيم وان الله جل جلاله يحويه المكان ويكون له جهة
يمين ، كما جاء في التوراة ان الله جل شأنه له جهة وراء (خر ٣٣ ، ٢٣) .
ويقول العهد الجديد أيضاً ان الله جل شأنه محبة (١ يو ٤ ، ٨ و ١٦) .
ولا يخفى ان المحبة ميل شىء الى شىء فهمى عرض لا تأصل له في الوجود .
ويقول العهد الجديد أيضاً : والكلمة كان عند الله والكلمة كان
الله ، (يو ١ ، ١) .

فكيف يكون الكلمة الله والذي هو الله كيف يكون عند الله .

وجاء في العهد الجديد أيضاً : لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه ،
(١٠ ع ٢٠ ، ٢٨) .

وهذه من الدواهي التي توقف العقل والعرفان موقف الحسرة والعجب .
هذا ودع هناك ما تضمنه العهدان مما يمكن حمله على المجازات الواهية
المستهجنة كوصفه جل شأنه بطويل الروح (عد ١٤ ، ١٨) وانه حزن
وتأسف في قلبه لأنه عمل الإنسان والحيوانات (تك ٦ ، ٦ و ٧) ، وانه ندم
على جعله شاول ملكا (١ صم ١٥ ، ١١) وانه رجل الحرب (خر ١٥ ، ٣)
وكنسبة الرأس له جل شأنه (اش ١٩ ، ١٧) ، وحادقة العين (تث ٣٢ ، ١٠)
والأجفان (مز ١١ ، ٤) والأنف (خر ١٥ ، ١٠) والفم (تث ٨ ، ٣) ،
والجناحين والأجنحة والخوافي وهي الريش الصغار من الأجنحة (مز ١٦ ، ٨ ،
و ٩١ ، ٤) والحضن (يو ١٨ ، ١) وباطن القدمين (خر ٤٣ ، ٧) وموطيء
القدمين (١ اي ٢٨ ، ٢) وكنسبة المشي له جل شأنه (مز ١٠٤ ، ٣) والجلوس
(مز ٩ ، ٤) وانه جل شأنه ركب على كروب وطار (مز ١٨ ، ١٠) وجالس
على الكروبيم (مز ٨٠ ، ١) والركوب على سحابة سريعة والقدوم الى مصر
(اش ١٩ ، ١) والإبتلاع (مر ٢١ ، ٢) والإلتحاف بالسحاب (مر ٣١ ،
٤٤) ، والتحير (اش ٥٩ ، ١٦) ، والفرح (مز ١٠٤ ، ٣١) ،
والضحك (مز ٣٧ ، ١٣) .

* * *

ولا يخفى ان الملائكة مخلوقون لله يسبحونه ويقدمونه ويعملون بأمره
كما جاء في العهد القديم (مز ١٠٤ ، ٤ و ١٠٣ ، ٢٠ ، و ١٤٨ ، ٢) وجاء أيضاً
ان الله ينسب اليهم حماقة (اي ٤ ، ١٨) وفيهم ملائكة أشرار (مز ٧٨ ، ٤٩)
وانظر الى العهد الجديد (٢ بط ٢ ، ٤ و ٦) ، هذا والتوراة الرائجة كثيراً
ما تنسب الى الملاك ما تختص نسبته بالله جل شأنه وتسمى الملاك (يهوه) أو

(الإله) وهما اسمان مختصان بذات الجلالة ، فمن ذلك قولها ان ملاك يهوه موجود (هاجر) وذكرت مكالمته معها ثم قالت وقال لها ملاك يهوه تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة .

ثم قالت التوراة فدعت (أى هاجر) اسم يهوه الذى تكلم معها أنت ايل رنى (اى إله رؤية) (تك ١٦، ٧-١٤) .

فالتوراة الراجعة سمت الذى كلم هاجر أولاً ملاك يهوه ثم نسبت له ان يكثر نسلها حتى لا يعد من الكثرة ، وهذه النسبة لا تصح إلا لله تبارك اسمه ثم سمت الملاك الذى كلم هاجر (يهوه) .

وقالت التوراة أيضاً ونادى ملاك الرب هاجر من السماء قومي احمل الغلام لأنى سأجعله امة عظيمة (تك ٢١، ١٧ و ١٨) .

وقد كثر خبط التوراة الراجعة بين الله جل اسمه وبين الملاك الذى هو الملك ، فقد جاء فيها ما ملخصه ان يهوه وهو الله جل اسمه كما قدمنا ظهر لإبراهيم فرفع عينيه وإذا ثلاثة رجال واقفون فنظر وركض لاستقبالهم وسجد الى الأرض وقال يا سيد ان كنت وجدت نعمة فى عينك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكأوا تحت الشجرة وأأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون فعمل لهم طعاماً وأكلوا فقالوا أين سارة وقال : رجوعاً ارجع كوقت الحياة وهو ذا السارة امرأتك ابن .، وكانت سارة سامعة فضحكت فقال يهوه : لم ضحكت سارة ؟ هل يستحيل على يهوه شئ للبعاد ارجع اليك ولسارة ابن ثم قام الرجال وتطلعوا نحو سدوم (تك ١٨، ١-١٧) .

ويا للعجب كيف يكون الله جل شأنه ثلاثة رجال يمشون ويأكلون ؟ وكيف يخاطبهم إبراهيم تارة بخطاب واحد فيقول (يا سيد) (عينك) (عبدك) وتارة بخطاب الجمع فيقول (اغسلوا أرجلكم) (واتكأوا) (فتسندون قلوبكم) وكيف تعبر عنهم التوراة مرة بضمير الجمع فتقول (أكلوا) (وقالوا) ، ومرة

بضمير الواحد فتقول (وقال) (وقال يهوه ارجع) .
وليت شعري هل تقول التوراة ان الله يهوه جلت أسماؤه هو جمع الرجال
الثلاثة الذين أكلوا أم هو واحد منهم . .
نعم ان الرسالة المنسوبة لعبد المسيح تقول : ان الرجال الثلاثة هم
أقانيم الإله الواحد .

واعلمه يحتج لخرافتها هذه بأنهم أكلوا تحت الشجرة فترغم بحجتها أنوف
الوثنيين ، وتمثل مجد الإله وقدسها للملحدين سبحانه اللهم .
واعلم المتكلف يحتج على ان الرجال الثلاثة هم الله جل شأنه بقول التوراة
ان ابراهيم ركض لإستقبالهم وسجد الى الأرض ، فان المتكلف يدعى في مثل
هذا المقام (يه ٤ ج ص ٢٠٥ و ٢٠٦) ان سجد ابراهيم دليل على ان الذي
سجد له هو الله .

ولم يشعر المتكلف ان التوراة تبين من سخافة هذه الحججة ان ابراهيم
سجد مرتين لبني حث (تك ٢٣ ، ٧ و ١٢) .

واعلم ان النصارى يتشبهون لدعوى الثالث وألوهية المسيح بأوهام
كلمات في كتبهم الرائجة ، فحاول إظهار الحق أن يجادلهم بما في كتبهم لكي
يوضح انها لم يدعها قلم كذب الكتبة لأن تقف على حد المعقول وصواب
المحاورة ، بل ان أمرها دائر بين المقالات الكفرية ، أو التأدي على سخافة
الجاز ومقوت التعبير وان أبي الكثير منها إلا مناقضة الحقائق المعقولة في
اسم الله والإله ويهوه ، وما تختص نسبته بالله جل اسمه كما سمعت بعضه ،
ولكن المتكلف نكص الى تلفيقات لم يتدبر بها ما في كتبه ، فكأنه لم يفهم مراد
إظهار الحق ، أو لم يجد ما يتعب به القلم ويسود به وجه الصحف إلا هذه
التلفيقات حتى حاول أن يلوث إظهار الحق بما جادلهم به من كتبهم بل عابه به
انظر (يه ٤ ج ص ٢٠٢ - ٢١٠) .

ثم قالت التوراة في هذا الموضوع على الأثر ما ملخصه وجاء الملاك الى سدوم فاستقبلها لوط وسجد بوجهه الى الارض ودعاها الى ضيافته فأكلا فقال الرجلان للوط : اخرج من لك في هذا المكان لأن يهوه أرسلنا إليك وكان الملاك يعجلان لوطاً وكان لما أخرجاهم قال اهرب لحياتك فقال لهما لا يا سيد هو ذا عبدك وجد نعمة في عينيك وعظمت لطفك هو ذا المدينة قريبة اهرب اليها فقال : رفعت وجهك في هذا الأمر لأنى لا أقدر أن أفعل شيئاً حتى تجيء الى هناك (تك ١٩ ، ١٠ - ٢٣) .

وليت شعري ان الرجال الثلاثة الذين جاؤا الى ابراهيم وذهبوا الى سدوم كيف صاروا ملاكين إثنين .

أيقول المتكلم ان ثالثهم هو يهوه الإله الذى كلم ابراهيم وذهب وانه رجع عن صحبة الملاكين بعد ما أكل من ضيافة ابراهيم ؟ ولماذا صار الملاك واحداً يقول لهما لوط (لا يا سيد) (هو ذا عبدك) ؟ ومن هو الذى يقول أنا لا أقدر أن أفعل شيئاً حتى تجيء الى هناك .

وان الرسالة المنسوبة لعبد المسيح وأمثالها تقول : ان العهد القديم يرمز الى الثالوث ، أترام يريدون بذلك هذا الخطب في العدد .

وان يعقوب صارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى - أى ذلك الإنسان - انه لا يقدر عليه ضرب حق نخذه بنخذه يعقوب فى مصارعة معه وقال - أى ذلك الإنسان - اطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال : - أى يعقوب - لا اطلقك إن لم تباركنى ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب فقال : لا يدعى اسمك بعد يعقوب بل يسرائيل - أى يجاهد الله - لأنك جاهدت مع الله ومع الناس وقدرت ، فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل - أى وجه الله - لأنه رأيت الإله وجهاً لوجه ونجيت نفسى (تك ٣٢ ، ٢٤ - ٣١) .

والعهد القديم يقول أيضاً : ان يعقوب بقوته جاهد الله جاهد الملاك وغلب (هو ١٢٠ ، ٣ و ٤) .

فانظر الى سخافة هذا الكلام كيف جعل الموضوع الواحد إنساناً وملاكاً وسماه الإله ووصفه بالجسمية والمصارعة ليعقوب والمخلوية .

وتقول التوراة الرائجة في بدء خطاب الله لموسى ان ملاك يهوه ظهر لموسى بلهيب نار من وسط عليقة وناداه الله « اخلع نعليك » وقال له أنا إله أبيك ابراهيم الى آخر كلام الله معه .

وهذا وإن أمكن محمله على ان الذى ظهر فى لهيب النار لموسى هو الملك ، والذى كلم موسى هو الله .

ولكن التوراة الرائجة تأبى هذا التأويل حيث تقول وغطى موسى وجهه لانه خاف أن ينظر الى الله (خر ٣ ، ٦) وهذا يعطى انها تقول : ان الله هو الملك الذى ظهر فى لهيب النار ، ويؤكد قول العهد الجديد ان الذى كلم موسى هو الملك (اع ٧ ، ٣٨) .

ثم ان التوراة الرائجة تارة يصرح مضمونها بأن الله جل اسمه وهويهوه سار أمام بنى اسرائيل بعمود سحب نهاراً وعمود نار ليلاً ، وذلك من سكوت وهو المنزل الثانى لهم من مصر الى عربات مواب حيث توفى موسى عليه السلام وذلك فى مدة أربعين سنة .

كقولها عند ذكر ارتحالهم من سكوت ، ويهوه يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحب ليهدىهم الطريق وليلاً فى عمود نار ليضىء لهم ليشوا نهاراً وليلاً (خر ١٣ ، ٢١) .

وقولها عن خطاب موسى لله يهوه فى بركة فاران ، وعمود سحب أنت سائر أمامهم نهاراً ، وعمود نار ليلاً ، (عد ١٤ ، ١٤) ، وقولها عن قول موسى فى خطاب بنى اسرائيل فى عربات مواب ، يهوه إلهكم السائر

أمامكم في الطريق في نار ليلا وفي سحاب نهاراً (تث ١ ، ٣٢ و ٣٣) .
وتارة تنقض ذلك وتذكر ان السائر أمام بني اسرائيل هو ملاك الاله
يهوه الذي يرسله يهوه .

فقد قالت في شأنهم في فم الحيروث وهو المنزل الثالث لهم من مصر
عند ما أدركهم فرعون وجنوده ، فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر
اسرائيل وسار ورائهم ، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف
ورائهم (خر ١٤ ، ١٩) .

وذكرت عن قول الله لموسى في طور سيناء في خطاب بني اسرائيل ،
ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك في الطريق ويجيء بك الى المكان الذى
أعددت له ، فان ملاكا يسير أمامك (خر ٢٣ ، ٢٠ و ٢٣) .

وذكرت عن قول موسى في ذكر مراحم الله أرسل ملاكا وأخرجنا
من مصر (عد ٢٠ ، ١٦) وجاهرت بالصرامة في ذلك أذكرت عن قول الله
لموسى في طور سيناء في خطاب الشعب ارسل « أو ارسلت » أمامك ملاكا ،
فإني لا أصعد في قربك لأنك شعب صلب الرقبة ، وقال يهوه لموسى : قل
لبني اسرائيل أتم شعب صلب الرقبة لحظة واحدة ان صعبت في قربك
أفنيك (خر ٣٣ ، ٥) .

وهذا صريح في ان الله جل اسمه لم يسر أمام بني اسرائيل ولم يصعد
بقربهم بأى نحو أو لت صعود الله معهم وسيره امامهم ، بل ان السائر امامهم
والذى أخرجهم من مصر هو الملاك الذى أرسله الله ويؤكد ذلك قول العهد
الجديد في شأن موسى ، هذا هو الذى كان في الكنيسة في البرية مع الملاك
الذى كان يكلمه في جبل سيناء (اع ٧ ، ٣٨) .

وهذا كله مناقض لقول التوراة ان السائر أمام بني اسرائيل في عمود
السحاب هو الله بأى نحو أولته .

وقد كثر في التوراة والعهد القديم قولها : (فنزل الله) (فصعد الله)
(فترأى الله) وهو في مقام يمتنع من أسلوبها التأويل ، فهو لا يخلو من أحد
وجوه ثلاثة أما القول بالتجسيم وان الله تعالى شأنه يحويه المكان فيصح عليه
الصعود والنزول وتقع عليه الرؤية تعالى الله عن ذلك ، وأما الخبط في
تسمية الملك بالأسماء الخاصة بذات الجلالة ، وأما الضلال بالبناء على ان
الملك هو الله جل شأنه .

وإذا نظرت الى التوراة الرائجة وجدتها كأنها كتابة اناس متعددين مختلفين
في المعرفة وصحة الاعتقاد لا يدري كل واحد بما كتبه الآخر ، أو لأنه كتاب
جدد اسمه في بقايا ديانة توحيدية سرت فيها روح الوثنية فتقاسمت مخالته
مشابهة هذين الأيوين .

ولذا جاء في العهدين وخصوص التوراة صراحة التعليم بوحدة الاله
وان الله يهوه هو الاله وليس آخر سواه ، وهو الاله في السماء وعلى
الأرض وليس سواه ، ولا إله معه ولا إله غيره ، وذكرت عن قول
الله جل اسمه لا تذكروا اسم آلهة اخرى ولا يسمع من فمك ، ولا يكن
لك آلهة اخرى أماى .

وجاء في العهدين أيضاً عن قول الله ان موسى إله هارون ولفرعون ،
وان الذين صارت اليهم كلمة الله آلهة انظر الجزء الأول صحيفة ١١٥ و ١١٦
وجاء في العهد القديم أيضاً لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على
كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أبدياً رئيس السلام (اش ٩ ، ٦) .
ولا يخفى ان هذه المقالة لا تناسب الديانة المؤسسة على توحيد الإله
وتقديسه وتنزيهه عن النقائص البشرية .

بل إنما تناسب أن تدرج في كتب الهنود والصينيين والإشوريين

واليونان والمكسيكيين من الوثنيين الذين يقال انهم يعتقدون بتولد الإله بالولادة البشرية . . .

ومن هذه التعاليم جاء قول العهد الجديد ، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً الى الأبد (رو ٩ ، ٥) .

ومن أجل هذا الداء صدر ما تضمنه العهدان من نسبة صفات النقص البشرى الى الله جل جلاله وعلا شأنه ، كما نسبت له الدم وصفات الجسم في أساليب لا تحتل المجاز كما نسبت له نوازم الضعف والمغلوبة والحاجة والخيرة والكذب وعدم العلم كما تعرفه مما سبق تعالى الله عما يقولون .

وكما نسبت اليه جل شأنه انه يمكن الكاذب في دعوى النبوة والداعى الى الشرك والدجال المضل الاثيم ويتركهم تجرى على أيديهم الآيات والقوات والعجائب ، وان الله جل شأنه يرسل الى الناس عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب ، فانظر (تث ١٣ ، ١ - ٤ ، ومت ٢٤ ، ٢٤ و ٢ تس ٢ ، ٩ - ١٢) .

وفي هذا نسبة جملة من القبائح الى الله جل شأنه بجد لا يرضاه لنفسه آحاد البشر .

(أحدها) إغراء الناس بالضلال ، فان الزكون في التصديق الى ظهور الآيات والقوات والعجائب العظيمة إنما هو من مرتكزات الفطرة وأوليات البديهة بحيث لا يتطرقه الشك كما يتطرق سائر البديهيات من المعارف ، ولذا ترى كثيراً من الناس قد كبروا البدهاة وجانبوا عقولهم في المعارف لشبهة المعجزة ومنقولها الموهون .

وقل من يكون له العقل ونور الحقيقة هما الهاديان اليها والشاهدان عليها كما هو روح العرفان وثابت الايمان وقليل ما هم .

(وثانيتها) سد باب الحججة على النبوة الصادقة وتضييع فائدتها لاجل

التباس الأمر على غالب الناس فإنه إذ جاز ظهور الآيات والقوات والعجائب العظيمة من الكاذب والداعي إلى الشرك كما تزعمه الكتب التي تغير بصورة نسبتها إلى الوحي فحينئذ لا حجة عند عامة الناس بظهور هذه الأمور من النبي الصادق حيث يكون أمرها مشترك بين الصادق والكاذب .

(وثالثها) لزوم العبث بإظهارها على يد الصادق سواء كان للحجة على رسالته أو لبيان كرامته حيث أنها لا تفيد شيئاً من ذلك مع اشتراكها بين الصادق والكاذب .

(ورابعاً) أن إظهارها على يد الكاذب نقض للغرض من إظهارها على يد الصادق وهو كونها حجة على صدقه .

(وخامساً) إذا كان إظهارها على يد الصادق لا أجل للحجة على صدقه مع إظهارها على يد الكاذب لزم من ذلك أمران :

(أحدهما) قبح العقاب والملامة والتوبيخ لمن صدق الكاذب وآمن به لأنه قد جاء بما هو حجة على صدق الصادق .

(وثانيهما) قبح العقاب والملامة والتوبيخ لمن لم يؤمن بالصادق ولم يصدقه وذلك لأنه لم يجبي إلا بما يجبي به الكاذب .

ولا يخفى أن كل واحد من البشر لا يرضى بأن ينسب إليه واحد من هذه الأمور .

* * *

(خلق السموات والأرض وما فيها)

وقد قدمنا في هذا الجزء في آيات خلقها من القرآن الكريم ما تعرف به شيئاً من تنافي كلمات التوراة واضطرابها في هذا الشأن ، (فراجعه صحيفة ٥٥ و ٥٦)

(النبوة والأنبياء)

أما النبوة فللعهدين مقالات غريبة وإن شئت قلت ظريفة (منها) انها تذكر ان المتنبىء يقوم بخلع الثياب والتعري والإنطراح عرياناً انظر (١ صم ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤) ويقوم بالرباب والدف والنأي والعود (١ صم ١٠ ، ٥ ، ٦) وان ضرب العود يوجب حلول يد الله على النبي وإعلان الوحي له فيطلب النبي عوداً وعوداً عندما يسئل عن الوحي (٢ مل ٣ ، ١٥) ، بل ان العهد القديم سمي الجنون تنبياً حيث قال الاصل العبراني في أحوال شاول مع داود ويهي بما حارات وتصلح روح الهيم راعاه آل شاول ، ويتنبأ بتوك هبيت (١ صم ١٨ ، ١٠) .

وتعريبه وكان من الغد ، واقتحم روح الإله الردي على شاول فتنبأ في وسط البيت ، والتراجم أصابت حيث ترجمت قوله (ويتنبأ) بقولها (وُجنّ) .

وقد ذكر العهدان أحوال الانبياء عند الوحي اليهم وأحوال ظريفة في تبليغهم ذكرناها في الجزء الاول صحيفة ١٤ - ٢٠ .

ولم يذكر العهد القديم ان الله أرسل نبياً الى عامة البشر ليدعوهم الى هدى التوحيد وحقيقة الايمان وأدب الشريعة وإصلاحها .

وغاية ما ذكر في أحوال الانبياء قبل موسى بعض الأحوال الخصوصية ولكن كثيراً منها يرجع الى القدح بقدمهم أو التسجيل بالفضائح على عائلاتهم أو الجرثة على جلال الله وعظمته وقد ذكرناها أو أشرنا اليها متفرقة في هذا الكتاب فلا نؤثر إعادتها هنا بمجموعة .

نعم تذكر التوراة الرائجة ان نوحاً لما نجا من الطوفان بنى مذبحاً لله وقرب فيه محرقات من كل الحيوانات والطيور الطاهرة . . . وهذا يقتضى

انه قد أعطى شريعة القرايين ، وطهارة بعض البهائم والطيور ، ونجاسة بعضها الآخر (تك ٨ ، ٢٠) .

بل ومقتضى التوراة ان شريعة القرايين من الابكار وغيرها ثابتة من عهد آدم وهاييل وقابيل إذ عملا بها (تك ٤ ، ٣ و ٤) ، وان ابراهيم حينما بلغ عمره تسعاً وتسعين سنة ، وعمر اسماعيل ثلاث عشرة سنة اعطى شريعة الختان له ولنسله ، وعبدته الغريب المبتاع بالفضة علامة للعهد بينهم وبين الله فيختن المولود وهو ابن ثمانية أيام (تك ١٧ ، ١٠ - ١٤) .

ولم تذكر لنوح ولا لإبراهيم ولا لغيرهما دعوة الى التوحيد والصلاح ولا نهياً عن عبادة الأوثان .

نعم تذكر ان موسى علم بني اسرائيل بالتوحيد ولم تذكر انه دعا اليه غيرهم حتى فرعون وقومه ، بل يكاد مضمونها أن يصرح بأنه لم يعلم بالتوحيد ولم يدع اليه إلا بني اسرائيل .

وذكرت ان موسى جاء من الله بالشريعة ولكن كثيراً من كلماتها يصرح باختصاص الشريعة ببني اسرائيل والجار الذي في وسطهم .

وأما العهد الجديد فانه يذكر عن قول المسيح انه لم يرسل إلا الى خراف اسرائيل الضالة (مت ١٥ ، ٢٤) : وانه ارسل دعواته وتلاميذه للدعوة وأوصاهم أن لا يذهبوا في طريق امم ولا يدخلوا مدينة للسامريين بل يذهبوا الى خراف بيت اسرائيل الضالة (مت ١٠ ، ٥ و ٦) .

ولكن العهد الجديد يذكر عن المسيح بعد حادثة الصليب انه قال لتلاميذه اذهبوا وتلمذوا جميع الامم (مت ٢٨ ، ١٩) .

وأما ما ذكره العهدان في أحوال الانبياء ونسبة المعاصي والكفر والكذب الى قدسهم فانك تعرفه من متفرقات الكتاب ، وخصوص

الفصول المتقدمة من الباب الثاني من المقدمة الثامنة في الجزء الأول صحيفة (٥٧ - ١١٦) .

وان العهد الجديد يعتبر التلاميذ وبولس أنبياء ورسلا ، وقد ذكر في أحوالهم ما تجل عنه مرتبة سائر الصالحين فضلا عن الأنبياء ، فانظر الى الجزء الأول (صحيفة ٣٠ - ٣٣) ، وقد أحلناك على متفرقاته استقباحاً لجمعه في مقام واحد .

وذكرت التوراة الرائجة في أمر النبوة أشياء لا تناسب الوحي وكتبه بل تناسب خرافات الأهواء (منها) ان الله كلم موسى بأن الكاهن الذي يعمل ذبيحة الخطيئة يأكلها في مكان مقدس (لا ٦ ، ٢٤ - ٢٧) ، ثم ذكرت ان موسى طالب تيس الخطيئة فإذا هو قد احترق فسخط على العازرا وايشامار بنى هارون وقال : مالكم لم تأكلوا ذبيحة الخطيئة في المكان المقدس فإن الله أعطاكم إياها لتحملوا إثم الجماعة تكفيراً عنهم أكلها كما أمرت فقال هارون انها اليوم قد قدما ذبيحة خطيئتهما ومحرقتهما أمام الرب وقد أصابني اليوم مثل هذه - يعني احتراق « ناداب » و « ابيهو » ابنيه - ، فلو أكلت ذبيحة الخطيئة اليوم هل كان يحسن في عيني الرب ، فلما سمع موسى حسن في عينيه (لا ١٠ ، ١٦ - ٢٠) .

فيا عجبا ان الله يأمرهم بأكل ذبيحة الخطيئة وموسى يبلغ ذلك عن الله ، وهارون يعترض على هذه الشريعة وشريعة المحرقة ويتشائم بهما ويقول : ان ذلك هل يحسن في عيني الرب ؟ فماذا ترى في هذا الكلام ؟ أيقال ان هارون كان مكذبا لموسى في تبليغه عن الله ؟ أم يرى ان له أن يعارض الوحي بالرأى والاعجب من ذلك قول التوراة ان موسى استحسّن رأى هارون مع معارضته لما أوحاه الله من الشريعة المذكورة .

أيقال ان موسى كان شاكياً في أمره فيستحسن الرأي المعارض للوحي ،

حاشا لله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

(ومنها) ان الإله أنى (بلعام) ليلا وقال له : ان أتى الرجال اليك فانطلق معهم وتعمل الكلام الذى اكلمك به فقط ، فقام بلعام صباحاً وانطلق معهم فحى غضب الإله لكونه منطلقاً ووقف ملاك الرب فى الطريق ليقاومه (عد ٢٢ ، ٢٠ - ٢٣) .

ويا عجبا كيف يأمر الله بلعام بالإنتلاق معهم ثم يحى غضبه عليه لأنه انطلق ويرسل ملاكه ليقاومه ، مع ان بلعام حسب نقل التوراة لم يتكلم فى ذهابه معهم إلا بما كالمه الله به ، (عد ٢٣ و ٢٤) ثم بعد هذا أيضاً أمر بالذهاب معهم (عد ٢٢، ٣٥) أم تقول التوراة الرائجة (كلام الليل يحويه النهار) . واعلم ان العهدين لم ينصا على نبوة آدم ، وغاية ما ذكرت التوراة خطاب الله معه فى شأن الشجرة فى النهى عن الأكل منها وبعد الأكل ولكن ذلك بمقتضى التوراة لا يدل على النبوة ، حيث تذكر ان الله خاطب الحية وحواء بنحو هذا الخطاب . .

ثم ذكرت انه عندما ولد (انوش) ابتداء ان يدعى باسم الرب ، وهذا يشعر بوجود نبوة ودعوة الى الله فى ذلك الوقت ، ولكنها لم تبين ان تلك الدعوة باسم الرب كانت من آدم أو من شيث ، فان ذلك الوقت كان بمقتضى التوراة قبل موت آدم بنحو ستمائة وخمس وتسعين سنة ، وبعد ولادة شيث بنحو مائة وخمس سنين . .

ثم ذكرت نوحاً و ذكرت خطاب الله معه بنحو يشعر بنبوته ، وصرح العهد الجديد بالوحى اليه (عب ١١ ، ٧) ، وذكرت (حنوك) - أى ادريس - ولم تذكر إلا انه سار مع الله والله أخذه ، وصرح العهد الجديد بنبوته (يه ١٤) ، وذكرت ابراهيم ونصت على خطاب الله معه وعلى نبوته ، وذكرت إسحاق ويعقوب وخطاب الله معهما ولم تنص عليهما بعنوان النبوة ، ولم تذكر

لهؤلاء دعوة الى التوحيد ولا موعظة ولا إرشاداً الى الهدى ، كما لم تذكر لهم شريعة ولا كتاباً ولكنها لا تنفي ذلك .

وذكرت مع نبوة موسى نبوة هارون أخاه ومريم اختها وسبعين من شيوخ اسرائيل ورجلين آخرين معها ، ولم تصرح بنبوة يشوع - أي يوشع - بل ذكرت انه امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه ، لكن سفر يشوع قد تكرر فيه قوله ان الله كلم يوشع . .

ثم لم ينص سفر القضاة فيما بين يوشع وسموئيل على نبوة أحد إلا على نبوة (دبوره) امرأة لفيدوت ، ورجل آخر لم يذكر اسمه بل ان الله أرسله فوبخ بني اسرائيل ، نعم ذكر ان (جدعون) ظهر له ملاك يهوه وكلمه يهوه مراراً ثم من سموئيل صار العهد القديم يتعرض لكثرة الانبياء فذكر انه كان مع سموئيل في الرامة جماعة من الانبياء ، ولكنهم يتعاطون الرباب والنأي والدف والعود حتى ان رسل (شاول) في دفعات ثلاث لما ذهبوا الى الرامة ووجدوا الانبياء يتنباون كان عليهم روح الله فتنبأوا ، وكذا شاول لما ذهب أيضاً خلع ثيابه هو أيضاً وتنبأ أمام سموئيل ، وانظر ح عرياماً ذلك النهار كله وكل الليل .

ولم تتضح حقيقة هذه النبوة والتنبى الذى يقوم بالدف والرباب والنأي والعود والتعرى والإنطراح كل النهار وكل الليل .

وكان النبي في زمان سموئيل ونحوه يسمى «الراى» (١ صم ٩ ، ٩) ، ويسمى أيضاً في العهد القديم (رجل الله) ، والعهد القديم ذكر ان الله كلم داود وخاطبه ، وكذا سليمان ، ونص العهد الجديد على نبوة داود ، وذكر العهد القديم في زمان داود (ناتان) النبي و (جاد) النبي و (يدوثون) راى داود ، وذكر من بعد ذلك اخيماً الشيلونى ، ورجل الله من يهوذا ، والنبي الساكن في بيت ايل ، وحنانى ، وشمعيا ، وعدو ، وعوديد ، ويعدو ،

وعزرياهو ، وياهو بن حناني ، وايليا ، وجماعة في زمانه من الأنبياء الذين قتل منهم (ابزابل) من قتل وأخفى عوبديا منهم مائة ، واليشع ، ونيا لم يسمه ، وآخر من الأنبياء لم يسمه أيضاً ، وغلانم نبي لم يسمه أيضاً وميخا ابن يملة ، وعدة من الأنبياء في زمان (منسى) ، والنبيه خلدة ، وحنيا ، والأنبياء الذين تنسب إليهم كتب من العهد القديم وهم أشعيا وأرميا وحزقيال ودانيال ، وهوشع ، ويوثيل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان ابن امتاي - أي يونس بن متي - وميخا المورشي ، وناحوم ، وحبقوق ، وصفينا ، وحجي ، وزكريا ، وملاخي ، ويقال ان ملاخي آخر أنبياء العهد القديم .
وأما الأنبياء الذين يذكروهم العهد الجديد فهم زكريا (لو ١ ، ٦٧) ، والنبيه حنة (لو ٢ ، ٣٦) ، ويوحنا المعمدان - أي يحيى بن زكريا - ، والمسيح عليه السلام رسول الله ، وقد ذكره العهد الجديد بسماوات وصفات (منها) تسميته بالمسيح .

وهذه تسمية سبقت في العهد القديم (لشاول) سماه داود مراراً مسيح الرب ، وسبقت أيضاً عن وحي الله لأشعيا ، هكذا يقول الرب لمسيحه (كورث) وهو من ملوك فارس (اش ٤٥ ، ١) .

(ومنها) انه عليه السلام كان إذا أراد أن يعبر عن نفسه المقدسة يسمى نفسه ابن الإنسان .

أفلا تقول ان الإلتزام بهذا التعبير إنما هو للمحافظة والإحتياط من وقوع الشبهة التي علق بها الأوهام وسرى دائها من المجاورة .

(ومنها) انه نبي (ا ع ٣ ، ٢٠ - ٢٥) وانه هو النبي الذي قال عنه موسى لبني اسرائيل ان الله يقيم لهم نبياً مثل موسى (تث ١٨ ، ١٥) .

(ومنها) انه رسول الله كما كثر ذلك في الأناجيل وخصوصاً يوحنا ، (ومنها) تسميته ابن الله ، والابن ، والابن الوحيد .

وهذا اصطلاح جرى عليه العهدان في ان المؤمنين أو الصالحين يسمون ابن الله البكر ، وأبناء الله ، أولاد الله ، ومولودين من الله ، والله ولدهم ، والله أبوم ، ولا يسهل أن يحصى ذلك من العهدين لكثرتة ، فانظر أقل (تك ٦ ، ٢ و ٤ و خر ٤ ، ٢٢ و ٢٣ و تث ١٤ ، ١ و ١٠ أي ٢٢ ، ١٠ و هو ١٠ ، ١ و مت ٦ ، ٦ - ٣٢ و يو ١٢ و ١٣ و ١٠ يو ٣ ، ١ و ٢ و ٩ و ١٠ ، و ١٠ ، ٥) .

وجاء في الاناجيل المترجمة بالعربية ان المسيح عبر عن نفسه بالرب ، (مت ٣ ، ٢١ و مر ٣ ، ١١ و لو ٣١ ، ١٩) ، وكثر التعبير بذلك في التراجم العربية لرسائل العهد الجديد ، ونص عبارة الاناجيل « الرب محتاج اليه » ، وفي الترجمة العبرانية « هادون » - أي السيد أو المولى - ، وفي التراجم الفارسية « خداوند » .

ولكن لا يخف عليك ان نفس الانجيل يقول : ان لفظ الرب تفسيره (المعلم) (يو ١ ، ٣٨ و ٢٠ ، ١٦) .

وذكرت حواشي العهد الجديد ان المذكور في انجيل متي (٧ ، ٢٣) في العربية (سيدى سيدى) وفي الفارسية (آقا آقا) إنما هو في العبرانية (ربي ربي) والمراد بالعبرانية هي نسخة انجيل متي الأصلية .

ويشهد لذلك قوله لأن معلمكم أو مدبركم أو مرشدكم واحد ، وهذه شهادة كافية من ذات الانجيل على ان اللغة العبرانية التي هي لغة المسيح وخصوصاً في خطابه للتلاميذ واليهود يدعى فيها الرئيس والمعلم والمرشد « الرب » و « ربي » ، والمذكور في انجيل يوحنا (٣ ، ٣) في العربية « يا معلم » هو في اليونانية « ربي » .

وان نفس قول الاناجيل « الرب محتاج اليه » يكفي في إبطال أو هام الغلو ويبين ان المراد منه وصف مخلوق محتاج ويكفي في ذلك ان الاناجيل تشهد

ان المسيح لم يكن يمكنه أن يبين لبني اسرائيل مراتبه من النبوة والكمال البشري فكيف يدعى الاًلوهية .

وجاء في المزمور العاشر بعد المائة ما نصه : نأوم يهوه لادناى - أى أوحى الله لسيدى - فترجموه في المزامير العربية « قال الرب لربى » ، والفارسية « يهوه بخداوند من كغفت » و « خداوند بخداوند من فرمود » .

وذكرت الاناجيل ان المسيح استشهد بهذا الكلام من المزامير فترجمته بالعربية « قال الرب ربي » ، وبالفارسية « خداوند بخداوند كغفت » ، واعلم ان الاناجيل تذكر عن قول المسيح انه أنكر على الكتبة والفريسيين قولهم ان المسيح يكون ابن داود ، واحتج لإنكاره بأن داود قال بالروح القدس في المزامير « قال الرب لربى » ، فإذا كان داود يدعو رباً فكيف يكون ابنه؟ ومن أين هو ابنه؟ (مت ٢٢ ، ٤١ - ٤٦ ومر ١٢ ، ٣٥ - ٣٨ ولو ٢٠ ، ٤١ - ٤٥) .

فاتفقت تراجم العهد الجديد وتراجم أصحابه للمزامير على تغيير معنى « سيدى » الذى هو فى الأصل العبرانى الى معنى « ربي » ، وذلك لئلا تبطل صورة المغالط فى الإحتجاج المذكور حيث ان كل أحد يعلم أن لا منافاة بين أن يكون المسيح ابن داود وبين أن يدعو داود « سيدى » ، فان كثيراً من الأبناء يكونون بشأنهم الجليل ورتبهم العظيمة سادات لأبائهم كما يكون الانبياء بالنسبة الى آبائهم الذين ليسوا بأنبياء .

وان مقام المسيح فى النبوة والرسالة العامة ليقضى لداود وإن كان نبياً أن يدعو سيداً . . .

فلذلك بدل المترجمون معنى « سيدى » بمعنى « ربي » ، لأن كل موحد يعلم ان ابن البشر لا يكون رباً ولا إلهاً . . . ولكن ماذا يصنعون وعهدهم الجديد يصرح بأن المسيح هو ابن داود ، وقد قدمنا فى الجزء الاول شيئاً من هذا فراجع صحيفه ١٩٧ و ١٩٨ .

وجاء في العهد الجديد انه هو صورة الله (٢ كو ٤ ، ٤) .
ومن تتبع العهدين لم يجد من أمثال هذا الكلام دلالة الا على تقحمهما
في سماجة التعبير حتى انهما لم يقفا فيه على حد ولا مجاز مناسب ، فقد جاء
في التوراة الرائجة ان الله جل شأنه خلق آدم على صورته ، ولم ترض بهذا
المقدار ، بل كررت وقالت على صورة الله خلقه (تك ١ ، ٢٧) ، وذكر العهد
الجديد ان الرجل صورة الله (١ كو ١١ ، ٧) ، فلماذا يكون الرجل والمسيح
صورة الله ؟ وكيف يكون ذلك ؟

وجاء في العهد الجديد ان المسيح بكر كل خليفة (كو ١ ، ١٥) وبداية
خليفة الله (روء ٣ ، ١٤) .

ولا يمتنع أن يكون المسيح باعتبار نورانيته بكر خليفة الله وبداية
خليفته إذ لا يمتنع أن يكون الانبياء والمرسلون قد خلقوا بنورانيتهم قبل
خلق أجسامهم ، وأما خلق أجسامهم فلا يشك عاقل في ان وجودها إنما هو
بأزمانها وأوقاتها المحدودة المترتبة .

وكيف كان فهذا الكلام من العهد الجديد جرى على ما ينبغى في بيان
الحقيقة والتصريح بأن المسيح مخلوق لله . . .

ولكن ماذا ترى في قول العهد الجديد المسيح يسوع الذي إذ كان في
صورة الله لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله ، « أو لم يحسب المساواة بالله
غنيمة » ، لكنه اخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس ، وإذ وجد
في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله
أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم (في ٢ ، ٥ - ١٠) ترى ان هذا القائل يريد
في كلامه هذا ان هناك إلهين متعادلين في مجد الألوهية وصفاتها ، وان المسيح
هو أحدهما فهو يستحق بمقامه الإلهي أن يكون معادلاً لله ، ولكنه ترك الشقاق
والنزاع وتنازل عن حقه من مجد الألوهية وصفاتها مراعاة ومحاباة أو صلحاً

بمعادلة ، فأخلى نفسه من معادلة الله وأخذ بنفسه بصورة عبد وصار من ذاته في شبه الناس .

وعلى هذا فلا يكون من خليفة الله ولا يكون هو الله لأن الله على هذا الكلام هو معادلة الآخر (تعالى الله عما يقولون) .

ولماذا لم يتم هذا الكلام بيانه فيبين ان هذا التنازل كان بمعاملة يصح فيها الفسخ أو لا يصح ، وان المسيح لو أراد فسخ هذه المعاملة هل يقدر على فسخها أو لا يقدر .

نعم يمكن أن يفهم من الاناجيل مع كلام المتكلم وأمثاله في مسألة الفداء ويعرف ان المسيح على أي حال كان لا يقدر على فسخ معاملاته مع الله ، وان أراد وطلب وبكى واكتتب وحزن وصلى بأشد الحاجة ، فانظر الجزء الأول صحيفة ٢٩٤ - ٣٠١ .

ثم ان كان بهذا التنازل خرج عن حقيقة الألوهية الى حقيقة العبودية وشبه الناس فحينئذ لا يبقى له شيء من مجد الحقيقة الاولى وصفاتها العظيمة بل هو إنسان كسائر البشر ان فاز بشيء من المجد فبمجد النبوة والرسالة الذي يمكن ثبوته لأحد البشر ، وإن كان لم يخرج عن حقيقته الاولى في الألوهية ومعادلة الله ، ولم تنقلب حقيقته الى الإنسانية ، فحينئذ لا بد أن تبقى له المعادلة لله ، وصفات الألوهية كالعلم والقدرة وسائر الكمالات الإلهية على وجه لا يمكن أن يتصف بضعها لأنها لا يمكن أن تنفك من حقيقة الألوهية .

قل : إذا فما حاجة هذا المعادل لله الى أن يرفعه الله ويعطيه اسماً فوق كل اسم ، أم تقول : ان الكلام المتقدم المنقول عن ثاني « فيلبي » إنما هو من محض الغلو في التعبير ، وتعدي الحد المقبول في المبالغة ، فان الذي ينسب له هذا الكلام هو الذي ينسب اليه قوله ان المسيح بكر كل خليفة ، ولذا قال ها هنا ان الله رفعه وأعطاه اسماً فوق كل اسم .

وزد على ذلك ان الانجيل ينقل عن قول المسيح أبي أعظم مني (يو ١٤ ، ٢٨) ، وقوله وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الاب (مر ١٣ ، ٣٢) .
ومن المعلوم من العهد الجديد ان المراد بالابن هو المسيح فهو لا يعلم بذلك اليوم وتلك الساعة .

وقوله : أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً (يوح : ٥ : ٣٠ و ١٩) وانه لم يقدر أن يصنع في وطنه ولا قوة واحدة (مر ٦ ، ٥) ، وليس له ان يعطي شيئاً إلا للذين أعده الله لهم (مت ٢٠ ، ٢٤) وانه يتضرع الى الله ، ويعبده بالصلاة والصوم ويطلب منه ويفزع اليه في حوائجه وضيقة ، ويطلب منه النجاة ويجرب من ابليس ، ويطمع فيه ابليس بغوايته بالشرك وينقله من مكان ومن كان بهذه الصفات لا يقال فيه انه معادل الله ، وكيف والاناجيل تنسب له انه قال على الصليب إلهي إلهي لماذا شبتني ؟- أي لماذا تركتني ؟- وهذا كاف في الصراحة بأنه ليس معادلاً لله وانه ليس إلهاً ، لأن الإله لا يكون له إله ، ولا هو الله ، وإلا كان هذا الكلام كله غلط وكذب .

وكذا حكاية الانجيل اصعد الى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم ، (يو ٢٠ ، ١٧) ، أفليس في هذا صراحة في كونه مساوياً للبشر في انه له إله هو إله البشر .

ولكن المتكلم يقول (يه ٤ ج ص ٢٨٧) لو سوى بينه - أي المسيح - وبينهم - أي البشر - لقال الى أبينا وإلهنا ، ولكنه لم يقل ذلك إشارة الى كونه الكلمة الأزلية الخالق للعالمين ، وانه والاب واحد ، فأبوة الاب للمسيح هي أزلية لانه كلمته وروحه ، أما ابوته لنا نحن فهمى ابوة الخالق للمخلوقين .
فنقول (أولاً) : ان المسيح قال إلهي وإلهكم ، ويكفينا من ذلك قوله ان له إلهاً هو إله البشر ، ولا يجدي في ذلك اختلاف الجهات لو كان معقولاً

فان الإله لا يكون له إله ، وهذا من أوضح البديهيات على رغم فلتات الاوهام والمتكلف يقول (يه ٤ ج ص ٢٨٥) المسيح هو الله .
فليت شعري إذاً من هو الإله للمسيح الذى يكون على ذلك إلهاً لله الذى هو المسيح .

(وثانياً) ان العهدين ذكرا عن خطاب الله لموسى أنا إله أبيك إله ابراهيم إله اسحاق وإله يعقوب (خر ٣ ، ٦ و مت ٢٢ ، ٣٢) .
أفيقول المتكلف انه قال ذلك لكي يدل على ان ألوهيته لإبراهيم واسحاق ويعقوب متخالفة في الجهات ؟ ولو سوى بينهم لقال : إله ابراهيم واسحاق ويعقوب .

(وثالثاً) ان العهد الجديد يقول ! ان المسيح بكر كل خليقة ، وبداية خليقة الله ، فلا بد حينئذ من أن تكون ابوة الله له ابوة الخالق للمخلوقين ، وكيف يكون الخالق والمخلوق واحداً .

ومن هذا كله يتضح لك الوهن والغلو في العبارة ، أو المراد في قول العهد الجديد في شأن المسيح الكائن على الكل إلهاً .

والمتكلف يقول (يه ٤ ج ص ٢٨٨ و ٢٨٩) فلا عجب إذا تألم وتوجع وحزن وطلب عبور الحزن واحتمل كل هذه الأحزان لا جئنا فقد مات البار من أجل الآئمة ليبررنا ، فاللاهوت لم يبتلع الناسوت ، بل كان إلهاً تاماً وإنساناً تاماً يحول ويمشى ويجوع ويمجى ويحزن ويتوجع ، ولكنه كإله كان قديراً خالقاً حفيظاً .

أفلا تقول للمتكلف إذا كان المسيح إلهاً احتمل هذه الاحزان لا جئنا الآئمة فلماذا يطلب عبور الحزن وكأس المنية ، ومن يطلب إذا كان هو الإله وهو الله ، وإن كان اللاهوت لم يبتلع الناسوت فلماذا كان الناسوت قد ابتلع اللاهوت وشرب عليه الماء .

وليت شعري ما معنى قول المتكلف ان المسيح كان إلهاً تاماً ولكنه كان كإله ، فهل كان المسيح يتقلب حسب هوى المتكلف مرة يكون إلهاً تاماً ، ومرة يكون كإله .

وكيف يقول المتكلف كان قديراً حفيظاً ، مع ان الاناجيل تقول : ان المسيح اعترف بعدم القدرة وعدم العلم ، وان بعض الامور ليس له أن يعطيها ، وتقول الاناجيل انه حزن واكتئب وسأل من الله بأشد الحاجة أن يعبر عنه كأس المنية فلم تعبر كما ذكرناه في الجزء الاول صحيفة ٢٩٨ ، بل يقول الانجيل انه قال على الصليب إلهي إلهي لماذا شبتني - أي لماذا تركتني - وهذا قول عبد عاجز ضعيف مستغيث بإله يقدر على تخليصه .

وقد جاء في العهد الجديد في شأن المسيح كلمات لو كانت وحدها لا وهمت شيئاً من الغلو ولكنها قد جاء مثلها في شأن غيره من البشر ، وذلك مما يكفي في رده لتوهم الغلو منها خاصاً ، فضلاً عن سائر القرائن من ذات العهد الجديد .

فمنها ما يحكيه عن قول المسيح أنا والآب واحد (يو ١٠ ، ٣٠) وقد جاء مثله في شأن التلاميذ عن قول المسيح في الدعاء الى الله ليكونوا واحداً كما نحن (يو ١٧ ، ١١ ، ٢٢) .

وقوله في شأن التلاميذ وغيرهم ليكون الجميع واحداً كما أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم انك أرسلتني (يو ١٧ ، ٢١) ، وهذا بنفسه وحده يشهد بأن المراد بالوحدة والاتحاد هو الإنفاق على الحق ، وان المراد من قوله « أنت أيها الآب في » هو عناية الله به في تأييده بالمعجزات وإجابة الدعاء ونحو ذلك .

والمراد من قوله : « أنا فيك » هو إيمانه بالله ، والدعوة الى توحيده وطاعته ونحو ذلك . .

وكذا قوله : (ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا) ، فهو كما يحكى من
قوله للتلاميذ : في ذلك اليوم تعلمون انى أنا فى أبى ، وأتم فى وأنا فىكم
(يو ١٤ : ٢٠) .

وكقول العهد الجديد فى المؤمنين بصلاخ المسيح ورسالته ، فانه يثبت
فيه وهو فى الله ، يثبت فى الله والله فيه (١ يو ٤ ، ١٥ و ١٦) .
وكقوله أيضاً : نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح ، (رو ١٢ ،
٥) ، وقوله : لأن أعضائنا جسمه - أى المسيح - من لحمه ومن
عظامه (اف ٥ ، ٣٠) ، والكنيسة جسده (اف ١ ، ٢٣) وان المؤمنين
به جسده (١ كو ١٢ ، ٢٧) .

(ومنها) ما يحكى عن قول المسيح الكلام الذى اكلتمكم به استأتكم
به من نفسى ، لكن الأب الحال فى هو يعمل الأعمال (يو ١٤ : ١٠) ،
وهو كما يحكى عنه من قوله للتلاميذ لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبىكم الذى
يتكلم فىكم (مت ١٠ ، ١٠) .

والمراد من ذلك تأييد الله فنسب اليه الفعل والحلول فيه وفيهم ، وعن
قول بولس لاهل كورنتوش أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يمكن فىكم
(١ كو ٣ ، ١٦) ، ولاهل فيلبى إله وأب واحد للكل الذى على الكل وبالكل
وفى كلكم « أو وفى كلنا ، أو وفى الكل » .

فاستعمال لفظ « الحال فى » و « فىكم » و « فى كلكم » مجاز جرى عليه العهد
الجديد ، وليس على عهدتى أن يكون مقبولاً .

(ومنها) ما يحكى عن قول المسيح أتمم من أسفل ، أما أنا فمن فوق
أتمم من هذا العالم ، أما أنا فلست من هذا العالم (يو ٨ ، ٤٣) .

وقد جاء مثله فى العهد الجديد فى شأن المؤمنين فوصفهم بالولادة من
الله ومن فوق .

ففيه الذين ولدوا ليس من دم ولا مشيئة جسد ولا مشيئة رجل ، بل من الله . (يوحنا ، ١٣ ، ٦) .

وعن قول المسيح إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله ، لا تتعجب انى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق . (يوحنا ، ٣ ، ٣ و ٧) ، وعن قوله فى شأن التلاميذ لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خلاصته ولكن لأنكم لستم من العالم . (يوحنا ، ١٥ : ١٩) . وأنهم ليسوا من العالم ، كما انى لست من العالم . (يوحنا ، ١٧ ، ١٤ و ١٦) .

(ومنها) عن قول المسيح الذى رآنى فقد رأى الأب . (يوحنا ، ٩ ، ٤) ، وذات العهد الجديد يوجب تأويل هذا الكلام فضلا عن سائر القرائن لقوله فيما هو بمقتضى فرض الترتيب بعد زمان المسيح ، وبعد الكلام المذكور مانصه الله لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه . (انى ، ٦ ، ١٦) ، وان الله لم ينظره أحد قط . (يوحنا ، ٤ ، ١٢) ، والله غير منظور . (كورنثوس ، ١٥ ، ١) ، ولو كان الكلام الأول له حقيقة لكان الله جل شأنه مرئياً ومنظوراً ، ويقدر كل أحد على أن يراه .

هذا هو العمدة بما يؤهم الغلو وقد عرفت من نفس محلورة العهد الجديد سخافة تؤهم الغلو منه . . .

وإن حكمت عقلك فى ذلك فقد فزت بالسعادة وأضاء لك صبح اليقين وقد جاء فى الإنجيل عن قول المسيح فى خطاب الله ، وهذه هى الحياة الأبدية ان يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته . (يوحنا ، ١٧ ، ٣) .

وذكرت الانجيل فى عبادة المسيح لله انه اعتمد من يوحنا بمعمودية التوبة ، وهو غسل التوبة ، لكن يكمل كل بر . (مت ، ١٥ ، ٣) وصار مع الوحوش فى البرية أربعين يوماً صائماً ليحرب من ابليس . (مت ، ٤ و ١ و لو ، ٤) ،

« ومعنى ذلك انه يروض نفسه الكريمة على الطاعة لله ومجانبة الهوى ، وكان يصعد الجبل ليصلى منفرداً يقضى بذلك أكثر النهار وأكثر الليل (مت ١٤ ، ٢٣-٢٦ و مر ٦ ، ٤٦-٤٨) ، ويقصد لصلاته المواضع الخالية (مر ١ ، ٣٥) والإفراد (لو ٩ ، ١٨) ، ويبين ان بعض شفائه للمرضى لا ينال إلا بالصوم والصلاة (مت ١٧ ، ٢١ و مر ٩ ، ٢٩) .

ويصرح بأنه لم يجيء لينقض الناموس ، ويذم على نقض وصاياه حتى الصغرى (مت ٥ ، ١٧-٢٠) ، ويحث على اتباع قول المكتبة والفريسيين لأنهم جلسوا على كرسي موسى (مت ٢٣ ، ١-٤) .

* * *

وأما القيامة والآخرة والثواب والعقاب فيهما ، فلم تذكر التوراة الرائجة فيها شيئاً أصلاً حتى ان اهمال ذلك بالكلية في مقامات الوعد والوعيد كاد أن يكون تعليماً بأنه لا حقيقة لشيء من ذلك ، فإنك ترى التوراة الرائجة كثيراً ما تصدت للترغيب والتخويف والوعد والوعيد ، فلم تذكر في الوعد والترغيب إلا التمتع الدنيوي الفاني كالإستعلاء على القبائل والبركة في المزارع ونتاج البهائم والسلة والمعجنة وثمره البطن وما أشبه ذلك ، ولم تذكر في الوعد والتخويف إلا نحو اللعنة فيما تقدم ذكره ، والإبتلاء بالأمراض الرديئة ، والقحط والذلة ، وانه يخطب امرأة ، ورجل آخر يضطجع معها ، ونحو ذلك ، انظر (تث ٢٨) .

وعلى ذلك جرى سائر العهد القديم فلم تذكر فيه القيامة والآخرة إلا في دانيال (١٢ ، ١ و ٢) ، ولكنه نسب القيامة لكثير من الموقى الراقدين وهذا خلاف حقيقتها .

وجاء في اشعيا (٢٦ ، ١٩) كلام يشبه الكلام على القيامة ولكن سوقه ياباه ، وجاء في أيوب (١٩ ، ٢٦) كلام لا يدل الا على بقاء الروح

في الجملة بعد الموت .

ويحتمل أن يكون لأجل ما ذكرناه من تفريط العهد القديم في ذكر القيامة والآخرة نبغت فرقة من اليهود يسمون الصدوقيين فأنكروا القيامة ، كما جاء ذكرهم في الاناجيل .

نعم ان العهد الجديد قد جاء فيه التعرض لذكر ما بعد الموت ، فقد جاء في انجيل لوقا في حال العالم الذي يسميه المسلمون عالم البرزخ وهو عالم الأموات فيما بين الموت والقيامة ، ففيه عن موعظة المسيح للفريريسيين انه مات إنسان فقير مبتلى فحملته الملائكة الى حضن ابراهيم ومات غني فدفن فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ، ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر في حضنه ، فنادى يا أبني يا ابراهيم ارحمني وارسل لعازر ليبل طرف اصبغه بماء ويبرد لساني لأنني معذب في هذا اللهب فقال ابراهيم يا ابني اذكر انك استوفيت خيراتك في حياتك ، وكذا لعازر البلاء والآن هو يتعزى وأنت الغني تتعذب وفوق هذا كله ان بيننا وبينكم هوة عظيمة لا يقدر من يريد العبور أن يجوزها فقال أسألك إذا يا أبت ان ترسله الى بيت أبي لأن لي خمسة اخوة حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً الى موضع العذاب هذا فقال له ابراهيم عندهم موسى والانبياء ليسمعوا منهم فقال : إذا مضى اليهم واحد من الأموات يتوبون فقال : ان كانوا لا يسمعون من موسى والانبياء فلا يصدقون وإن قام واحد من الأموات (لو ١٦ ، ١٩ - ٣١) .

ويوجد في أثناء هذا البيان خلل ظاهر يجعل عنه تعليم المسيح حيث علل نعيم لعازر بابتلائه وعذاب القضي بثروته في الدنيا . وهو تعليم فاسد ، فان الله العادل الكريم لا يعذب على نعمه التي وهبها برحمته وإنما يعذب على المعاصي ، وقد يجتمع للصالح سعادة الدنيا والآخرة ، ولا يكون ثواب الآخرة مرهوطاً بمجرد الإبتلاء في الدنيا ، بل إنما هو مرهوط بالطاعة والصبر على البلاء ،

والتسليم للقضاء ، قرب مبتلى يكون بمعصيته واعتراضه على الله من الكافرين فيخسر الدنيا والآخرة .

وجاء في رسالة بطرس الأول (٣ ، ١٨ و ١٩) في ذكر المسيح وانه تألم بماتا في الجسد ، ولكنه محي في الروح الذي به أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن إذ عصت قديماً .

وكان هذا الكلام يشير الى سجن الأرواح الشقية في عالم البرزخ . . . ولعل هذا هو المأخذ لما كتبه البروتستنت في كتاب صلاتهم من وجوب الاعتقاد بأن المسيح نزل الى الجحيم .

ولكن المتكلف مع ما سمعته عن انجيل لوقا يقول في أمر البرزخ (يه ٢ ج ص ٢٠٥ س ٦) ، ان الديانة المسيحية منزهة عن هذه الخرافات ، فليس عندهم برزخ . . .

ولعل المتكلف يقول فيما جاء في لوقا عن المسيح في شأن ابراهيم ولعازر والغنى كما قاله كثير من أصحابه فيما جاء كثيراً في الاناجيل من حديث الأرواح النجسة بأنه كلام لا حقيقة له ولكنه كان مداهنة لأفكار الناس في غلظهم واصلاح رأى الناس في غلظ الاعتقادات ليس من وظائف الرسالة ، بل من وظيفتها مداهنتهم بالغلط واغرائهم بالجهل .

وقد كثر في العهد الجديد التعرض لذكر القيامة محتجاً لها ، ولكن باحتجاج واه لا يرضاه لأنفسهم عوام الناس وأرباشهم ، انظر الجزء الاول صحيفة ٢٠٣ و ٢٠٤ .

وفي كورنتوش الاولى يذكر ان بولس يحتاج للقيامة بقيام المسيح من الأموات . . . وبأن بولس تحمل المتاعب في افسس ولو لا القيامة لما فعل ذلك (١ كو ١٥ ، ١٢ - ٣٣) .

ولا يخفى عليك انه احتجاج ساقط لا يثبت شيئاً على من لم يثبت عنده

قيام المسيح من الموت ، ولا يثبت القيامة بالنحو المطلوب وان فرض التصديق بموت المسيح وقيامه ، اذ لا ملازمة بين الأمرين خصوصاً اذا كانت الشبهة في أمر القيامة من حيث بلاء الأجسام وانعدام صورتها وتفرق أوصالها ، وأما متاعب بولس فالإحتجاج بها واه ولو فرضنا ان كل من أجهد نفسه لم يقصد بمتاعبه الا وجه الله ، كيف والموجود المعروف ان سلطان الهوى وحب الجاه والرياسة بعد الخمول يسخر لاكثر من ذلك ، فكم من مضمم لنار الثورة القاسية قاذف بنفسه في مهالكها معذب لنفسه في متاعبه - وهو يعلم بإنكار القيامة .

وفي العهد الجديد عن بولس قوله : لا نرقد - أى لا نموت كلنا - ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فانه سيبوق فيقام الاموات عدمي فساد ونحن نتغير (١ كور ١٥ ، ٥١ و ٥٢) وان الاموات في المسيح سيقومون ونحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب وهكذا نكون مع الرب في كل حين (١ تس ٤ ، ١٦ و ١٧) .

وقد ذكرنا في الجزء الاول صحيفة ٥٤ و ٥٥ ما في هذا الكلام من لزوم الكذب وبيدنا لك وهن ما تشبث به المتكلف لإصلاح هذا الكلام فراجع . وعن قول المسيح انه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته - أى صوت المسيح - فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة (يو ٥ ، ٢٨ و ٢٩) .

وهكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم في أتون النار (مت ١٣ ، ٤٩ و ٥٠) وان الصالحين أصحاب اليمين يرثون الملكوت المعد لهم منذ تأسيس العالم ، وأصحاب الشمال الملاعين يذهبون الى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته ، (مت ٢٥ ، ٣٤ و ٤١) :

وهذا ناطق بأن الصالحين لهم ملكوت يرثونه لتعظيمهم وهو معذ لهم .
وعن قوله لتلاميذه : وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا
وتشربوا على مائدتي في ملكوتي (لو ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠) .
وقوله من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما
أشربه معكم جديداً في ملكوت الله (مت ٢٦ ، ٢٩ و مر ١٤ ، ٢٥) .
وقوله لهم أيضاً لا تضرب قلوبكم أتم تؤمنون بالله فثأمنوا بي في
بيت أبي منازل كثيرة والا كنت قات لكم أنا هاض لا أعد لكم مسكناً ،
(يو ١٤ ، ١ و ٢) .

وهذا صريح في التعليم بأن ملكوت الله الذي يرثه الأبرار في القيامة
لتعظيمهم فيه مساكن وما كل ومشرب وشرب من نتاج الكرمة .
وجاء أيضاً عن قول المسيح ان العصاة يمضون ويطحرون في جهنم النار
التي لا تطفى حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفى (مر ٩ ، ٤٣ - ٤٩) ، وان
جسدكم يلقى في جهنم أتون النار الأبدية (مت ٥ ، ٢٩ و ٣٠ ، و ١٨ ، ٨) .
نعم جاء عن قول المسيح ان أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ،
ولكن الذين حسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الاموات لا
يزوجون ولا يزوجون اذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة
وهم أبناء الله اذ هم أبناء القيامة (لو ٢٠ ، ٢٤ و ٢٧) .

ومقتضى هذا الكلام ان القيامة مختصة بالأبرار الذين حسبوا أهلاً
للقيامة وهم أبناء الله ، وهذا مناقض لما تقدم في بيان قيام الاشرار أيضاً للعذاب
ودخول جهنم ، وقد أشرنا الى ما في هذا الكلام في الجزء الاول صحيفة ٢٠٢ .
وعن بولس هكذا أيضاً قيامة الاموات يزرع في فساد ويقام في عدم
فساد يزرع في هوان ويقام في مجد يزرع في ضعف ويقام في قوة يزرع جسماً
حيوانياً ويقام جسماً روحانياً (١ كور ١١ ، ٤٢ - ٤٥) .

ومقتضى هذا الكلام أيضا اختصاص القيامة بالابرار الذين يقومون في مجده وقوة .

وفي العهد الجديد ان يوم الرب تزول فيه السموات وتنحل ملتبهبة وتنحل العناصر وتذوب محترقة وتحترق الارض والمصنوعات فيها ولكنه وعد بسموات جديدة وأرض جديدة يسكن فيها البر .

ويبنى أن يكون هذا اليوم هو يوم القيامة .

وفيه أيضا المسيح با كورة الراقين ثم الذين للمسيح في مجيئه وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الاب متى ابطال كل رياسته وكل سلطان وكل قوة لانه يجب أن يملك حتى يضع جميع الاثمداء تحت قدميه ، آخر عدو يبطل هو الموت لانه أخضع كل شيء تحت قدميه ، ولكن حينما يقول ان كل شيء قد أخضع فواضح انه غير الذي أخضع له الكل ومتى أخضع له الكل ، فحينئذ الابن نفسه سينضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل (١ كو ١٥ ، ٢٣ - ٢٩) .

ولم يتيسر لي فهم المراد والمحصل من هذا الكلام ، ولكنه يتألف منه برهان على ان المسيح المسمى بالابن هو غير الله لانه يخضع لله والخاضع غير الذي يخضع له الكل .

وفيه أيضا ان التلاميذ سألوا المسيح عن علامة مجيئه وانقضاء الدهر فأعطاهم علامات بضيق وفن وأضاليل وحذرهم وذكر لهم ان مجيئه يكون بغتة ، وقال : والوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تنزع ويبصرون ان الإنسان - أي المسيح - آتيا على سحب السماء بقوة ومجد كثير فيرسل ملائكته بيبوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الاربع الرياح من اقاصم السماء الى اقاصمها الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله السماء والارض تزولان

ولكن كلامي لا يزول ، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماء الى أبي وحده ، (مت ٢٤ ، ٣ - ٣٧ - وانظر مر ١٣ ، ٣ - ٣٣ ، ولو ٢١ ، ٧ - ٣٤) .

وقد اضطرب المتكلف وأمثاله في المراد من هذا الكلام ، فمرة قالوا ان المراد من ذلك مجيء المسيح ورجوعه في آخر الزمان وقالوا ان المراد بالجيل الذي لا ينقضى حتى يكون هذا كله هو الامة اليهودية والقبيلة الإسرائيلية وانها لا تزال موجودة الى مجيء المسيح ، ولذا ترى الترجمة الكلدانية المطبوعة في نيويورك ذكرت بدل لفظ الجيل لفظ « هو جاج » - أي القبيلة - ومرة قالوا ان المراد من مجيء المسيح هو انتشار النصرانية ، والمراد من الجيل هو الطبقة من الناس ، ولذا ذكر في التراجم العبرانية بلفظ « دور » وفي الفارسية بلفظ « طبقه » ، وفي الإنكليزية والفرنسوية بلفظ « جنراشن » وان هذه الحوادث علامة لخراب بيت المقدس ولفظها كناية عن حادثة « انطوخيروس ابيفانس » ووقيعته ونكايته في اليهود .

وما وقعوا بهذا الإضطراب والتحملات الواهية إلا من اضطراب الأناجيل ، فان متى ذكر هذه الامور جواباً لسؤال التلاميذ من المسيح عن مجيئه وانقضاء الدهر .

ولو قد ذكرها جواباً لسؤالهم عن وقت خراب الهيكل بيت المقدس ، ومرقس شوش الأمر وقرن الإشارة بأسباب الابهام والانحلال فلم يربط أطراف كلامه ، فانظر (يه ٢ ج ص ٢٣٠ - ٢٣٣) .

ومن الظرائف ان المتكلف صار يتشبث لتحلته باستعمالات لفظ الجيل في اللغة العربية بمعنى الصنف من الناس ، ولم يشعر ان لفظ الجيل ليس من اللغة الأصلية للأناجيل وإنما هو من لغات التراجم ، واشترآكه في اللغة العربية لا يواتيه على تأويله لاصلاح ظهور الكذب على أناجيله .

ولو تحرى رشحاً ووجد مناصباً أو كانت له سعة من الاطلاع لذكر اللفظ الاصلى من أناجيله باللغة اليونانية القديمة ، ثم يبين انه هل يحتمل التأويل بمعنى الصنف من الناس كلفظ الجيل لكي يأول بالامة اليهودية أم لا يحتمل ذلك .

وفي العهد الجديد أيضاً فإن ابن الانسان - أى المسيح - سوف يأتى فى مجد أبهى مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله ، الحق أقول لكم ان من القيام هاهنا فوما لا يدورون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً فى ملوكته .

والمتكلف لم يجد هاهنا لفظ الجيل لكي يذكر معانيه فى اللغة العربية ، وان جميع القائمين هناك قد ذاقوا الموت منذ قرون عديدة فالتجأ الى تأويل مجيء المسيح ومجازاته للناس حسب أعمالهم، ورؤية بعض القائمين هناك آتياً فى ملكوته ، فانظر (يه ٢ ج ص ٢١٩-٢٢٣) .

أترى المتكلف لا يشعر ان هذه التأويلات السخيفة لمثل هذا الكلام المنسوب الى مثل المسيح عليه السلام فى مقام البيان والتعليم والاعلام بما يأتى ليفتح للكذابين باباً واسعاً تركهم يتكلمون بما يجرى على لسانهم ثم يطبقونه بمثل هذا التأويل على أى حادثة تقع فيقول أتباعهم قد تمت نبواتهم والحمد لله فتأيدوا بالآيات الباهرة . .

فلا يبقى محل للعلامة التى أعطتها التوراة للدلالة على كذب الكاذب بدعوى النبوة وهى عدم الوقوع لما اخبر به ، انظر (تث ١٨ ، ٢١ و ٢٢) ولا يبقى لها وظيفة إلا أن تقف موقفة الحيرة والتعطيل ، ولعلمها إن قالت كلمة قيل لها ان أضاليلك كأضاليل إظهار الحق .

وليت اضطراب الأناجيل الرائجة وخلقها قد اعطى قدس المسيح كفافاً لاله ولا عليه .

وقد تركنا في هذا المقام ذكر الهوسات التي جاءت في أمر القيامة في الكتاب المسمى رؤيا يوحنا تكريماً لهذا المقام عن مثلها .

* * *

وأما شريعة موسى فقد ذكرت التوراة الرائجة في ابتدائها شريعة ذبح الفصح في ليلة الرابع عشر من شهر ابيب وهو نيسان بين العشائين يذبحون لكل بيت شاة ، والفقراء يكتفي الجماعة من الجيران حسب أكلهم بشاة ويأكلون الفطير من ليلة الرابع عشر الى ليلة الحادي والعشرين من نيسان ومن شريعة الفصح أن لا يأكل منه إلا المختون ، ولا يخرج من لحمه خارج البيت ولا يكسر عظمه (خر ١٢) .

وذكرت فيما بين المنزل الأول لهم من مصر وبين المنزل الثاني أن الله أمر موسى أن يقدم كل بكر فاتح رحم من الناس والبهائم فانه لله ، ومتى قدموا الى أرض الموعد يقدمون كل بكر ذكر من نتاج البهائم لله ولكن بكر الحمار يفديه بشاة وإن لم يفده يكسر عنقه ، وكل بكر من الأولاد يفديه ، ولم يعين حينئذ فدائه (خر ١٣) .

وفي برية سين في نحو الخامس عشر من أيار أنزل الله عليهم المن وأرسل إليهم السلوى وشرع لهم في المن أن يأخذوا لكل واحد عمراً وهو عشر الأيفة يأخذوه يوماً فيوماً لا يوم الجمعة فانهم يأخذون فيه ليوم السبت ، والمن كيزر الكزبرة وطعمه كرقاق بعسل (خر ١٦) .

وفي « رفيديم » أشار على موسى حموه « يثرو » وهو شعيب أن يعصم بني اسرائيل الشرائع ويقم عليهم رؤساء ألوف ومآت وخمسين وعشر ليت فيقضون للشعب في الدعاوى الصغيرة ويرجعون الى موسى في الدعاوى الكبيرة لكي تخف عن موسى المشقة التي كان يتحملها بتصديه للقضاء بنفسه في كل الدعاوى ففعل موسى كل ما قال حموه (خر ١٨) .

وهذا يقتضى أن يكون هو موسى نبياً قد بلغ موسى بهذا الأمر عن الله وإلا فحاشا لموسى أن يسلط الناس على وظيفة القضاء وفصل الخصومات بدون أمر من الله بل بمجرد مشورة من رجل من سائر الناس ، والتوراة الراجعة تذكر أن موسى كان يؤخر ما يصدر عليه إلى أن يبين الله له حكمه فذكرت أنه لم يحكم على ابن الإسرائيلية الذى سب الإسم بل حبسه إلى أن أمره الله بقتله رجماً ، انظر (لا ٢٠ ، ١٠ - ١٧) ، وكذا فيمن وجدوه يحتطب في يوم السبت (عد ١٥ ، ٣٢ - ٣٧) .

وذكرت عن أول كلام الله لموسى في طور سيناء في خطاب بني اسرائيل لا تكن لك آلهة اخرى امامي ، لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ، (وعبارته في العبرانية فسل) ، ولا صورة مما في السماء والأرض والماء لا تسجد لهن ولا تعبدهن .

وكثيراً ما كررت وأكدت هذا النهى وتوعدت على مخالفته ونهت عن مخالطة شعوب الأرض بل أمرت بملاشاتهم احتياطاً لهذه الحقيقة وحماية لحوزة التوحيد من مهاجمة الأهواء بعادية أضاليلها وحفظاً لصحة الاعتقاد من عدوى داء الوثنية وسريان وباء الشرك بالتجاوز عن التوحيد وتأليه البشر وعبادة جند السيلم والحيوان والجماد .

ثم لنذكر باقى الشريعة فى فصول ملخصة ، وربما نشير فى مكرراتها الى مورد واحد .

(الفصل الاول) فى الأوامر والنواهي الواردة فى الآداب وتهذيب الأخلاق ، وقد أمرت بنى اسرائيل بعبادة الله والخلف باسمه وإكرام الأبوين ، والمساعدة حتى للعدو والمبغض ، والحكم بالعدل لقريبهم . ولكنها وحاشا للتوراة الحقيقية قد باهضت التعليم الالهى وشوّهت صورته ، إذ خصّت أمرها بالحكم بالعدل بالقريب - أى من كلن

اسرائيليا - ، فان التعليم الصحيح ووجدان كل البشر يشمئزان من حقيقة هذا التخصيص وصورته .

ونهدت بني اسرائيل عن القتل والزنا والسرقه والالتفات الى الجان وطلب التوابع والتفؤل والعيافة وتدنيس البنت بتعريضها للزنا وعن أخذ الرشوة ومتابعة المنافق واتباع الكثيرين لفعل الشر والتحريف وعن الحلف باسم الله كذبا واضطهاد الغريب وظلم الأجير والمسكين والاساءة الى الأرملة واليتيم وشتيم الاصم وجعل المعثرة قدام الأعمى وعن الجور في القضاء .

ويا حبذا هذا التعليم الجارى على حقه من الاطلاق ، ولكنها لم تتم الاحسان به بل خصصت جملة من التعاليم ويا أسفاه .

فنهتهم عن الانتقام والحقد على أبناء شعبهم ، والسعى بالوشاة بين شعبهم وشهادة الزور على قريبهم وأن يغدر أحدهم بصاحبه .

ويا ليتها لم تقيد هذه التعاليم بالشعب والقريب ، فان الحقد والغدر والوشاية وشهادة الزور رذائل ينبغى أن تجتنب من أصلها وذاتها مع كل أحد ولا يحسن بالتعاليم الصحيحة ان تقيدها وتخصها ولو في الصورة ، ولكن في المثل (حن قدح ليس منها) .

نعم لا يوجد هذا البأس في منعها عن أخذ الربا من الاسرائيلي وجواز أخذه من الأجنبي .

(الفصل الثانى) فى الشعائر والمواسم والعبادات « ومنها » محرقة كل يوم وهى خروف فى الصباح وخروف بين العشائين مع التقدمة والسكيب من الخبز ، « ومنها » محرقة السبت أيضا وهى خروفان مع التقدمة والسكيب من الخبز ، « ومنها » محرقة رؤس الشهور وهى ثوران وكبش وسبعة خراف حولية وتيس مع تقدمتها وسكيبها من الخبز ، « ومنها » محرقة الفصح فى كل يوم من خامس عشر نيسان الى الحادى والعشرين ، « ونحوها » محرقة عيد

الأسابيع بعد خمسين يوماً من أوائل الحصاد ومحرقه عيد المظال مع التقدّمات والسكائب من الخمر مع تفاوت في المقادير والأيام .

هذا ما عدا محرقات القرابين ، وكيفية إحراقها أن توضع الليلية على الموقدة كل الليل ، والنهارية كل النهار والنار تنقد دائماً ، ويحرق أيضاً على هذه النار الإلية والشحم من ذبائح الخطيئة وذبائح السلامة على تفصيل طويل في الذبح والإحراق وإلقاء الرماد والاكل من ذبائح الخطيئة والسلامة ، انظر (عدد ٢٨ ولا ١-٩) .

ولا يمتنع فرض الحكمة في شريعة المحرقات باعتبار حال الوقت والعوائد وبني اسرائيل ، فلا تقل لا يوجد فيها أثر إلا اتلاف المال وتضييعه من دون نفع للفقير أو غيره . . .

ولكن قل متأسفاً ما أسوء التعبير عن المحرقات بأنها رائجة سرور الله ، ومع ذلك تنسب العبارة الى قول الله جل وعلا ، وكذا رائجة سروري ، وقل أيضاً ما معنى سكب المسكر ، وما أسوء التعبير بأنه سكب مسكر للرب وهذا يقتضى أن يعمل مصنع للمسكر ويدخر لأجل هذا الشعار ، أفلا يدعو هذا الى الرغبة في المسكر ودوام وجوده ، وهو رأس الخبائث ، ومنبع الشرور ، إذأ وأين ذم الخمر والمسكر في العهدين كما ذكرناه في الجزء الأول صحيفة ١٧٦ و ١٧٧ .

« ومنها » السبت ولزوم ترك الاعمال فيه ، « ومنها » عيد الفصح وعيد الاسابيع وعيد المظال وأن يحضر في هذه الاعياد جميع الذكور من بني اسرائيل في المحل الذي يختاره الله كبيت المقدس في اورشليم .

واعلك تشك في ان هذا من شريعة الله المعطاة لموسى وتقول ان الله الحكيم الذي شرع في القرآن الكريم صلوة الخوف والتحذر من العدو لا يناسب حكيمته أن يأمر بني اسرائيل بأن يجتمع جميع ذكورهم في الاعياد في بيت المقدس

ونحوه ويتزكوا حرهم ونسائهم بلا ذكر يحميمين من سوء الاعداء والفسقة ،
 وهم بين كفار وثنيين يطلبون بني اسرائيل بالاحقاد والثارات والذحول ، وان
 الله تبارك اسمه ليعلم مشآت من الاثوف سينتثرون في أرض الموعد بحيث
 تبلغ مسافة كثير منهم عن بيت المقدس ونحوه مسيرة يوم أو يومين ، ويعلم
 ما تذكره التوراة الرائجة وكتاب يشوع (يوشع) ان صح نقلمنا فيما صنعته
 بنو اسرائيل بسكان الارض من سوء اولاية وقتل النساء والاطفال واحراقهم
 مع البلاد والبهائم ، وقولها ان ذلك عن أمر الله ، إذا فكيف يأمرهم بشريعة
 تترك نسائهم وبناتهم مطمعا للثاثرين والفسقة .

« ومن الشعائر » صنعة خيمة الاجتماع والتابوت وثياب هارون وبنيه
 والذبايح لتقديسهم وللتكفير وسائر أحكام الكهنة ، (خر ٢٥ - ٣١
 ولا ١٦ - و ٢١) .

ولا تستغرب ما ذكر في وضع ثياب هارون وزينته للكهنوت فان الازمان
 تختلف والزى والوقار يتفاوت بحسب الزمان والمكان وبذلك يمكن أن يكون
 لذاك المنقول حظ من الحقيقة .

« ومنها » شريعة المنذور لله وفيها اجتنابه عن الخمر وما يؤخذ
 منه كالخل والعنب ونحوهما . . . وعند ما يحل من اتذاره يسوغ له شرب
 الخمر (عد ٦) .

فأين حماسة المتكلف في قوله (يه ١ ج ص ١٣) في قوله فأنت ترى انها
 كانت جائزة والتوراة والانجيل ناطقان بأنها حرام قطعا .

« ومنها » شريعة إخراج العشر لله من الحبوب والثمار ، وكذا
 البقر والغنم مما يعبر تحت العصا سنة بسنة ، (لا ٢٧ ، ٣٠ و ٣٢ و تث
 ١٤ ، ٢٢ و ٢٣) .

ولكن التوراة الرائجة قد اختلفت في هذه الشريعة ، (مرة) ذكرت ان هذه العشور لله واطلقت كما تقدم .

(ومرة) ذكرت ان الله أعطاها للاويين ميراثاً ونصيباً واجرة عوض خدمتهم لخيمة الاجتماع إذ لم يجعل لهم قسمة في أرض الموعد حتى ان اللاويين يرغبون عشر العشر ويعطونه ربيعة لهارون كما يعشر الناس أملاكهم ، انظر (عد ١٨ ، ٢١ ، ٣٢) .

(ومرة) ذكرت ان العشر يأ كاه صاحبه ولكنها منعتة عن أ كاه في محله بل يحمله الى المكان الذي يختاره الله ويأ كاه هناك ، وإذا طال عليه الطريق فلم يقدر أن يحمله فانه يبيعه بفضة ويحملها الى المكان الذي يختاره الله وينفقها في كل ما تشتميه نفسه من البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطاب منه نفسه فيأ كاه هناك أمام الرب إلهه ، ولا يترك اللاوي بل يعطيه شيئاً لأنه ليس له نصيب في الأرض (تث ١٢ ، ١٧ و ١٨ ، ١٤ و ٢٣ ، ٢٧) .

ثم ذكرت ان الإسرائيليين في آخر ثلاث سنين يخرج كل عشر محصوله في تلك السنة سنة العشور ويضعه في أبوابه فيأتي الغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابه ويأكلون ويشبعون ، وكذا اللاوي لأنه ليس له قسم ولا نصيب في الأرض (تث ١٤ ، ٢٨ و ٢٩ ، ٢٦ ، ١٢ و ١٣) .

وظاهر الكلام يقتضى ان هذا العشر غير العشور السنوية ولذا خالفها في الاحكام ويحتمل أن يكون منها ولكن الاحكام اختلفت من حيث النسخ أو تعدد مواليدها التوراة .

« ومنها » ما جاء في التوراة الرائجة في خطاب الشعب الإسرائيليين ست سنين تزرع أرضك وتجمع غلتها ، وأما في السنة السابعة فتريحها وتركها - أى لا تزرعها - ليأكل فقراء شعبك وفضلتهم تأكلها وحوش البرية كذلك تفعل بكرمك وزيتونك (خر ٢٣ ، ١٠ و ١١) .

وهذا كلام غير مستقيم يشهد بأنه لا يعرف موسى عليه السلام فان
الارض إذا اريحت ولم تزرع لم يمكن أكل الفقراء منها ولا وحوش البرية ،
وهل يأكلون ترابها ، ولو قيل هذا في الكرم والزيتون لكان مناسباً كما جاء
في (لا ٥ ، ٧) .

« ومنها » سنة الأبراء وهي في آخر سبع سنين يبرء فيها كل ذى دين
من بنى اسرائيل صاحبه وأخاه مما عليه من الدين إلا أن يكون غنياً أو يكون
المديون أجنبياً عن بنى اسرائيل (تث ١٥ ، ١ - ٥) .

ومما يناسب ذلك ان العبد العبرانى يخدم ست سنين وفي السنة السابعة
يخرج حراً ويؤده سيده من غنمه ويبدره ومعصرته وإن دخلت زوجته معه
خرجت معه ، وان تزوج عند سيده وصار له أولاد خرج وحده وان أحب
البقاء عند سيده مع أولاده يقدمه سيده الى الله ويشقب اذنه بالثقب فيخدمه الى
الأبد ويكون عبداً مؤبداً (خر ٢١ و تث ١٥) .

ويا حبذا هذه الشريعة في إطلاق العبد العبرانى لو لا قساوة ثقب اذنه
ووسمه بسمة الذلة والندامة باستخدامه الى الأبد ، ويا حبذا لو وسعه كرم
الاخلاق بغير هذه العادة الفاسية ، وحاشا اوحى من ذلك .

« ومنها » سنة اليوبيل وهي السنة الخمسين لا يزرعون الأرض فيها ولا
يقطفون كرمها وينادون في يوم الكفارة بالعتق في الأرض لجميع سكانها ،
وتفك الأراضي المبيعة وترجع الى أصحابها على ميزان مخصوص ويخرج العبد
العبرانى حراً هو وبنوه (لا ٢٥) .

ولم يتضح من ذلك ان العبد العبرانى الذى حكم قبلاً بثقب اذنه وخدمته
وعبر ديته الى الأبد هل يخرج في سنة اليوبيل حراً فيكون الحكم بالتأييد
منسوخاً أم لا يخرج .

« ومنها » تقديس الابكار الذكور لله ، فعن كلام الله لموسى قدس لى

كل بكر فاتح رحم من بني اسرائيل من الناس والبهائم انه لى و ذكر فداء الولد البكر بمجلا (خر ١٣ ، ٢ ، و ١٢ و ١٣ و ١٥ ، و ٣٤ ، ٢٠) .

وعن خطاب الله لبني اسرائيل وابكار بنيك تعطيني (خر ٢٢ ، ٢٩) ، ثم ذكر فداء البكر من الانسان والبهائم النجسة وهو خمسة شواقل فضة تكون لهارون لأن الله جعل الابكار لهارون ، وأما بكر البقر والضان والمعز فلا يفدى بل يذبح ويرش دمه على المذبح ويوقد شحمه وقوداً رائحة سرور ، ولحمه يكون لهارون (عد ١٨ ، ١٥ ، ١٩) .

ثم ذكر عن قول الله وها أنا أخذت اللاويين من بني اسرائيل بدل كل بكر فاتح رحم من بني اسرائيل فيكون اللاويون لى (عد ٣ ، ١٢) ، وعن قوله جل اسمه لموسى : عد كل بكر ذكر من بني اسرائيل من ابن شهر فصاعداً فتأخذ اللاويين لى أنا الله بدل كل بكر فى بني اسرائيل و بهائم اللاويين بدل كل بكر فى بهائم بني اسرائيل (عد ٣ ، ٤٠ و ٤١) .

وهذا الإختلاف فى حكم الابكار من الناس والبهائم من حيث التقديس والفداء وعدمه والإستبدال عنها باللاويين و بهائمهم لا يخلو عن أن يكون من ناحية النسخ أو من ناحية تشويش التوراة الرائجة لتعدد مواليدها .

« ومنها » انتخاب القهاتيين من اللاويين لخدمة خيمة الإجتماع عن أمر الله لموسى ، وان عمر الموظف للخدمة يكون من ابن ثلاثين سنة الى خمسين (عد ٤) فنصت التوراة العبرانية على هذا العدد فى سبعة مواضع ، وخالفتها السبعينية فى هذا المقام فأبدلت الثلاثين سنة بخمس وعشرين . . والعبرانية نفسها أيضاً ذكرت ان المنتخب يكون من ابن خمس وعشرين سنة الى خمسين (عد ٨ ، ٢٤ و ٢٥) .

وقد ذكرنا هذا الإختلاف وما قيل فيه فى الجزء الأول صحيفة ٢٤٨ و

الفصل الثاني

(في الملابس والمطاعم)

وقد نهت التوراة بني اسرائيل عن لبس ثوب مصنف من صنفين أو مختلطاً صوفاً وكتاناً ، ولا يكون متاع رجل على امرأة ولا يلبس رجل ثوب امرأة وأمرتهم بأن يصنعوا لهم أهداباً في أذيال ثيابهم ويجعلوا على هدب الذيل عصابة من اسمانجوني وأن يصنعوا جدائل على أربعة أطراف الثوب الذي يتغطون به . ونهتهم عن أكل الدم والفريسة والميتة ، ومن البهائم ما لم يجمع صفتين وهما أن يكون يخر وله ظلف ينشق الى ظلفين ، ونصت من ذلك على تحريم لحم الجمل والوبر والأرنب والخنزير .

ومن حيوانات الماء ما لم يكن له زعانف وحرشف .

ومن الطير : العسر والانوق والعقاب والحاداة والباشق والشاهين وكل غراب والنعامه والظليم والساف والباذ والبوم والغواص والكركي والبجع والقوق والرخم والقلق والبيغا والهدهد والخفاش وكل ديب الطير الماشى على أربع إلا ما كان له كراغان فوق رجليه يشب بهما على الأرض كالجراد والذبا والخرجوان والجندب (لا ١٨) ، وهناك محرّمات اخر لا يهمننا استقصائها .

الفصل الثالث

(في الطهارة والنجاسة)

وقد حكمت التوراة بنجاسة هذه الحيوانات المحرمة وان من مس ميتتها يكون نجساً الى المساء ، وبنجاسة أشياء اخر تعرف هي ووجه التطهير منها من (لا ١١ و ١٢ و ١٥ و ٢٢ و عد ١٩) .

وإن شئت أن تتعجب فتعجب من العهد الجديد المبني على ان للتوراة الراتجة

هي التوراة الحقيقية التي هي وحى الله وتكليمه لرسوله موسى عليه السلام ، أفلا تراه حيث أراد أن يلاشى شريعة التوراة في أحكامها وخصوص تحريمها لأكل كثير من الحيوانات وتنجيسها وأحكام النجاسات والتنجيس ، كيف لم يقدر أن يحبس بواعثه عن الظهور فلم يملك لسانه عن التنديد بالشريعة والتلويح أو التصريح بتكذيب كونها من الله ، ولم يتستر من مصانعة الامم بموافقتهم على عوائدهم استجلاباً لأهوائهم ، فنسب الى بطرس انه امر في الوحي بأن يذبح ويأكل من الحيوانات التي حرمتها التوراة ونجستها ، فقال جرياً على شريعة التوراة : كلا يا رب ، لانه لم يدخل في قط دنس أو نجس فأجابه صوت من السماء ثانية ما طهره الله لا تنجسه أنت (١٠ ع ١٠ ، ١١ ، ١٧ ، و ١١ ، ١٢ - ١١) .

أفلا ترى ان هذا الكلام يقول مجاهرة لا مخالسة ان تنجيس الحيوانات وتحريم أكلها إنما هو بشرى ، وأما عند الله فهي على خلاف ذلك بل هي طاهرة ، وما طهره الله فلا تدنسه أنت .

ونسب أيضاً الى مشورة الرسل في عزمهم على ملاشاة الشريعة ان يعقوب قال أنا أرى أن لا يشغل على الراجعين الى الله من الامم بل يرسل اليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم لأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به إذ يقرأ في الجامع في كل سبت ، ثم زعم ان الرسل بعد امضائهم لهذا الرأي كتبوا الى الامم ما مانخصه إذ قد سمعنا ان اناساً خارجين من عندنا أزجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين ان تحتنوا وتحفظوا الناموس الذي لم نامرهم لانه قد رأى الروح القدس ونحن ان لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة ان تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا (١٥ ع ١٥ ، ٦ - ٣٠) .

أفلا تقول - أي مداخلة للرأي في شريعة الله ، وإذا شاء الله أن يشغل

بشريعته على أهوله الناس لكي ينعم عليهم بأسباب الطهارة والسكال ، وشرف الطاعة ، فمن ذا الذي يعارض الله في شريعته ورحمته ويشاركه في أحكامه ، وما هو معنى قول القائل لائن موسى منذ أجيال قديمة له من يكرز به .
أفتمهم من هذا القول مراداً غير التلويح بأن العمل بقيود التوراة إنما كان محاباة لموسى وتنفيذاً لرياسته .

وكفاه من ذلك هذه المدة ، فان الايام دول ، والاشياء العتيقة قد مضت ، (٢ كو ٥ ، ١٧) ، وما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال (عب ٨ ، ١٣) .

إذا فآين نقل الإنجيل عن قول المسيح في الحث على العمل بوصايا الاناموس حتى الصغرى ، وانه لم يجيء لينقضه بل ليكمله (مت ٥ ، ١٧ - ٢٠) ، وآين حثه على حفظ ما يقول الكتبة والعمل به لانهم على كرسي موسى جلسوا ، (مت ٢٠ ، ١ و ٢) .

وأيضاً ما ذا ترى من المعنى في قوله فيما تقدم قد سمعنا ان اناسا خارجين من عندنا أزعموكم بأقوال مقلبين أنفسكم الى آخره .

أفلا ترى منه التقييح لدعوة الداعين الى حفظ الختان والشريعة والتنفيذ منهم ومن دعوتهم وما يدعون اليه ، والعمل بالمناقضة للإستئثار بالرياسة ، واستجلاب الأهواء بالمداهنة بإبقاء العوائد المألوفة والراحة المحبوبة ، ولكن الرسائل المنسوبة لبولس زادت في التنقيص والمناقضة فقالت : لا يصغون الى خرافات يهودية ووصايا اناس مرتدين عن الحق كل شيء طاهر للطاهرين (تي ١ ، ١٤ و ١٥) تفرض عليكم فرائض لا تمس لا تذوق ولا تجس التي هي جميعها للفناء في الإستعمال حسب وصايا وتعليم الناس (كو ٢ ، ٢٠ - ٢٣) لماذا يحكم في حريتي (١ كو ١٠ ، ٢٩ و ٣٠) .

نعم وقف هذا التنقيص عند قول القائل : ومن يغرس كرماً ومن .

ثمره لا يأكل ، أو من يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل ، ان كنا نحن
زرعنا لكم الروحيات أفعظيم ان حصدا منكم الجسديات ، هكذا أيضاً أمر
الرب ان الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون (١ كو ٩ ، ٧-١٥)
ويشارك الذي يتعلم الكلمة المعلم في جميع الخيرات (غل ٦ ، ٦ ، وانظر رو
١٥ ، ٢٥-٢٩) .

* * *

الفصل الرابع

(في النكاح)

وقد حرمت التوراة نكاح عدة من النساء فحرمت نكاح الام ،
وامرأة الأب ، والاخت من الأب ، أو من الام أو منها ، وابنة
الإبن ، وابنة البنت ، والعممة ، والخالة ، وامرأة العم ، وامرأة الإبن
وام المرأة ، وبنتها ، وبنت بنتها ، وبنت ابنها ، والجمع بين الاختين ،
ونكاح امرأة الاخ (لا ١٨) .

ولكن التوراة الرائجة ذكرت لإمرأة الاخ حكماً آخر وهو انه إذا
سكن اخوة معاً ومات أحدهم وليس له ابن فان أخاه يتزوج بامرأته ، والبكر
الذي تلده يقوم باسم الميت لئلا يمحي اسمه ، وان لم يرض الرجل أن يتزوج
امرأة أخيه الميت فان المرأة تأخذه الى شيوخ اسرائيل وتشتكي عليه بذلك فان
أصر على أن لا يتزوجها تتقدم اليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله
وتبصق في وجهه وتصرخ ، هكذا يفعل بالذي لا يبني بيت أخيه فيدعى اسمه
في اسرائيل بيت مخلوع النعل (تث ٢٥ ، ٥-١١) .

وحاشا للوحى الإلهى وقدس موسى من هذه العادة الوحشية الفظة
الجاتكة لنا موسى الأدب والحياء والشرف ، ان اسمة بالعار مع انها لا فائدة

فيها إلا زور لا حقيقة له ، وكيف يكون البكر من هذه المرأة يقوم باسم الميت وان مثل هذا الإبقاء لإسم الميت ليقوم بزور آخر مثل هذا ، فلا ضرورة الى جعل الرجل بين ختلين ، أما الشناعة ، وانهدام شرفه بالجرأة القبيحة من امرأة بذية ، وأما التقييد بامرأة لا يريد لها ، بل ربما كان يتمنى خلاص بيتهم منها ولو بموت أخيه .

وذكرت من أحكام النكاح أيضاً ان الرجل إذا تزوج فتاتاً وأشاع عنها انه لم يجد لها عذرة فان أباه و أمها يأخذانها ويخرجان علامة عذرتها على الثوب الى شيوخ المدينة ويقول أبوها : ان هذا الرجل افترى على ابنتي ، ويخرج علامة عذرتها ويبسط الثوب ، فيؤدب شيوخ المدينة الزوج ويغرمونه مائة من الفضة لأبي الفتاة وتكون امرأة لزوجها لا يقدر أن يطلقها كل أيامه .

وحاشا لله أن يكون هذا من شريعته وإنما هو تلفيق من وساوس المغفلين فان أبا الفتاة إنما يأتي الشيوخ بثوب عليه شيء من الدم الذي يمكن أن يؤخذ من كل دم وكل حيوان ، فكيف يكون علامة للعذرة ؟ وكيف يكون ذلك حجة يفصل بها القضاء وتجب به الصادرة والنكال على الزوج المحتمل صدقه ، بل ان الأب في هذه الحال أولى بأن يتهم بالكذب لمظنة كونه يريد بهذه الحيلة رفع العار عنه وعن ابنته وتخليصها من القتل بحكم الشريعة القاسية الآتية ، بل ان هذا التشريع الفاسد يدعو أيضاً الى أن يجعل على خرقة دماً كذباً فيحتاج به ليكتسب مائة من الفضة ، ويلقى ابنته كلاً على زوجها حتى لا يطلقها كل أيامه .

ثم قالت التوراة الرائجة في هذا المقام : ولكن إن كان الأمر صحيحاً لم توجد عذرة للفتاة يخرجونها ويرجمها رجال المدينة حتى تموت لأنها عملت قباحة في اسرائيل .

وهذه أيضاً شريعة قاسية مكذوبة على شريعة الله من لا معرفة له ولا حكمة ، فان العذرة غشاء رقيق فيه ثقب يخرج منه الحيض وربما تخرقه الطفرة والضواغط والتفحج العنيف والحيض الخارج بحدته عن مقتضى الطبيعة ، فلا ينبغي أن يحكم على المرأة بمجرد ذهاب عذرتها انها زنت وفعلت قباحة فترجم ، فان هذا ظلم فاحش .

وأيضاً كيف يعرف ان المرأة لم يجد لها زوجها عذرة وما ذا الذي يشهد له بأنه لم يكن هو الذي افترض عذرتها ؟ فان افتراضها لا يستلزم قطع اذنها أو أنفها حتى يعرف الاثر بمحصول هذا الأثر وعدمه ، نعم يثبت زنا المرأة بإقرارها ، أو شهادة الشهود عليها بأنها زنت قبل ذلك ، ولكن سوق التوراة الرائجة أجنبي عن ذلك .

* * *

الفصل الخامس

(في الطلاق)

وهو ثابت في شريعة التوراة ، والاناجيل تذكر عن المسيح انه صدق على مشروعيته في التوراة ، وجعل السبب لشريعته فيها هي قساوة قلوب بني اسرائيل ثم منع منه إلا ما كان لعللة الزنا .

وقد ذكرنا لك في الجزء الاول صحيفة ١٩٩ - ٢٠٢ ما تذكره الاناجيل في الإحتجاج على المنع المذكور وبيدنا ما في الإحتجاج من الوهن الذي يجب أن ينزه عنه المسيح عليه السلام ، وان صورة الإحتجاج تعود بالتوهين والتغليط لشريعة موسى عليه السلام .

وذكرت التوراة ان الزوج لا يقدر على الطلاق في موردين « أحدهما » إذا ادعي انه لم يجد لإمراته عذرة وأظهر أبوها علامة عذرتها كما تقدم ،

« وثانيها » إذا زنى بعذراء غير مخطوبة فانه يتزوجها ولا يقدر أن يطلقها كل أيامه (تث ٢٢ ، ٢٩) .

ومن أحكام الطلاق ان الرجل إذا لم تعجبه امرأته لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق وأخرجها من بيته فلها أن تزوج بآخر ، فان طلقها الثاني أو مات فالأول لا يقدر أن يتزوجها ثانياً ، بعد أن تنجست لأن ذلك رجس عند الله يجلب خطيئة على الارض التي لبني اسرائيل (تث ٢٤) . وليت شعري ما معنى كونها تنجست وبماذا تنجست ؟ هذا ولم تذكر التوراة الرأجة عدة تقعد فيها المطلقة قبل أن تزوج بالثاني لكي يطمئن بعدم حملها من الاول فلا يختلط النسل ، وهذه حكمة لازمة المراعاة .

* * *

الفصل السادس

(في الحرب والجهاد)

ذكرت التوراة الرأجة ان من بنى بيتاً ولم يدشنه أو غرس كرماً ولم يبتكره ، أو خطب امرأة ولم يأخذها فانه يرجع من الحرب الى بيته لثلاث يموت فيدشن بيته أو يبتكر كرمه أو يأخذ مخطوبته رجل آخر ، والرجل الخائف والضعيف القلب أيضاً يرجع .

وهذه شريعة تهون أمر الجهاد في سبيل الله ودعوة الحق ، وتذم شرف الشهادة في نصره التوحيد وتمهيد العدل والصلاح ، وتصرف أنظار الناس وقلوبهم عن الجهاد الى زخارف الدنيا الفانية ، وتعطف قلوبهم الى الرغبة فيها فتوجب لهم التقاعد والتخاذل عن النهضة الحميدة خصوصاً إذا نودى بذلك في الجيش ، وهذا مضاد للحكمة في نهضة الحق وجهاد المشركين .

نعم ما أحسن هذه الشريعة للنجاة مما ذكره التوراة الرأجة في شريعة

الحرب القاسية من قتل الاطفال والنساء والبهائم كما ستسمعه .
فقد ذكرت التوراة الراجعة ان مدن الحثيين والاموريين والسكنعانيين
والفرزيين والحويين واليبوسيين يحرمها بنو اسرائيل تحريماً لا يستبقون منها
نسمة ولا يقطع معهم عهداً ولا يشفق عليهم .

وأما مدن غير هؤلاء من الامم فتستدعى الى الصلح فان أجابت فكل
الشعب الذى فيها يستعبد وإن حاربت وفتحت فجميع ذكورها يقتلون وتكون
النساء والاطفال والبهائم وكل ما فيها غنيمة (تث ٢٠) .

وان ما فى هذه الشرائع من الوحشية والقساوة ليدلك على انها ليست
من شريعة الله ولا تعرف موسى ، ثم أى وجه وحكمة للتفرقة فى سوء ولاية
بين الشعوب الستة المذكورين وبين سائر الامم ، فان كان هو الخوف من
الاغواء بشركهم والعدوى بضلالهم فهو موجود بالنسبة الى سائر الامم ، بل
ان الخوف من الكبار الذين يبقون فى الصلح والحرب ومن سائر الامم أشد
وأشد من الخوف من الطفل الذى لا يعرف ما كان عليه آباؤه ، فلماذا حكم
بقتل الاطفال من الشعوب الستة .

ومع ذلك فالتوراة الراجعة تذكر ان موسى عليه السلام لم يعمل بهذه
الشرائع فى سبي مديان ، بل أمر بقتل جميع الذكور من الاطفال وجميع
النساء اللاتي قاربهن رجل ، واستبقى البنات اللاتي لم يقربهن رجل وهن
اثنتان وثلاثون ألفاً .

فقل : كم قتل من الاطفال الذكور والنساء الثيبات ؟ ولماذا ابقى البنات
العدارى إن كن من الشعوب الستة ؟ ولماذا قتل الاطفال الذكور والنساء
الثيبات إن كانوا من غيرهم ، حاشا لله ولرسوله موسى من تشريع هذه العوائد
الجائرة القاسية ، أفترى ان الله يرسل رسله ليصبغوا الأرض من دماء
الاطفال ، مع ان التوراة الراجعة لم تذكر من غايات هذه الحروب القاسية

دعوة الامم الى التوحيد والعدل والصلاح وإنما ذكرت ان الغاية هو استلاب
 بنى اسرائيل للأرض ، مع ان مقتضى العهد القديم ان بنى اسرائيل لم يخلو في جيل
 من أجيالهم من عبادة وثنية ، كما ذكرنا في الجزء الأول صحيفة ١٩ - ٣٤ .
 ويا لهفاه على الحضارة والمدنية مما جنته عليها هذه العوائد الفظة القاسية
 ويا لهفاه للشريعة الإلهية إذ تلتصق بها هذه القساوة والفظاظة الفاسدة ، وكيف
 تعجب إذا من حوادث الوقت إذا انبعثت من ثوراتها أمثال هذه المصائب ناتجة
 فيها من مجاهرة التوثب ودعوى الحياذ .

سهم أصاب وراميه بذى سلم من بالعراق لقد أبعدت مرمك

* * *

الفصل السابع

(في السياسة الشرعية)

وقد ذكرت أحكاماً كثيرة في القصاص والتغريمات والحدود والتعزيرات
 يعرف أغلبها من الحادى والعشرين والثانى والعشرين من الخروج والخامس
 والثلاثين من العدد وغير ذلك من متفرقات التوراة .

ولا يخفى على كل عاقل انه لا تستقيم المدنية ولا يطمئن الاجتماع ولا
 تسكن الثورات ولا يقل الظلم ولا تعرف الحقوق قرارها إلا بسيادة السياسة
 وسلطة التأديب وتدارك التغريم فان ذلك روح المدنية وحياة النفوس والحقوق
 ولم تنتظم بدون ذلك ملة ولا دولة ، بل لا تنتظم بدونها عائلة بيت ، وإن
 اختلفت مصادرها وتفاوتت مبانيها .

ولكن العهد الجديد يقول قد سمعتم انه قيل - أى فى التوراة - عين بعين
 وسن بسن ، وأما أنا فأقول لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن
 فحول له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء

أيضاً (مت ٥ ، ٣٨ - ٤١) .

وان من يحمل الكلام على أحسن وجوهه وأصحها ينبغي أن لا يحمل هذا الكلام على المعارضة والمقاومة لسيادة السياسة الشرعية الإلهية ليترك العباد هملاً ، ويكون شريكاً للفاسقين والظالمين والكافرين ، بل ينبغي أن يحمل على التعليم لصاحب الحق بالملائنة وفضيلة العفو والتصدق بالمساحة كما ندب القرآن الكريم الى التصديق بالقصاص وفضيلة العفو الذي هو أقرب للتقوى.

الفصل الثامن

(في المواريث)

جعلت التوراة الرائجة من ميراث الرجل للإبن البكر مع اخوته نصيب اثنين (تث ١ ، ١٧) وليس للبنات مع وجود الإبن أو الأبناء شيء ، نعم جعلت الإرث للبنات إذا لم يكن للرجل الميت ابن ، وإن لم يكن بنت فهيراته لا أخوته ، وإن لم يكن له أخوة فلا أخوة أليه ، وإن لم يكن لأبيه أخوة فلنسيبه الأقرب (عد ٢٧ ، ٨ - ١٢) .

هذا ما تعرضت له من المواريث ولم تتعرض لليراث من المرأة إذا ماتت ولم تجعل للأبوين شيئاً من إرث ولدهما .

ولا يخفى ان حرمان البنات مع وجود الإبن لا يخلو من القساوة والوحشية التي وبخ عليها القرآن الكريم جاهلية العرب ، وحاشا للشريعة الإلهية أن تتركهن صفرات اليد متعوسات الحظ بعد ما مات أبوهن وكافلن بالشفقة والرحمة وهن الضعيفات . .

هذا ما اقتضى الحال والإختصار ذكره من شريعة التوراة الرائجة .

(وأما شريعة العهد الجديد)

فقد ذكرنا لك منها ما تذكره الاناجيل عن قول المسيح من انه لم يجيء لينقض الناموس وانه يحث على العمل بوصاياها حتى الصغرى .
وذكرنا أيضا معارضة الاناجيل لحكم الطلاق ، والحلف ، والسياسة ومعارضة باقى العهد الجديد بإباحة ما حرّمته التوراة وتطهير ما نجسته ونسخ حكم الختان وسائر القيود .

ثم لنذكر لك شيئاً مما اختص به عن التوراة الرائجة ، فاعلم انه قد أكثر في الحث على التقوى ومكارم الأخلاق والزجر عن رذائلها بنحو يفوق على التوراة في حسن بيانه وروحانية تعليمه ، ولكنه متى تعدى عن مأخذه شدّت به الشواذ وتقلبت به الأحوال .

واعلم ان المسيح ويوحنا المعمدان - أى يحيى بن زكريا - عليهم السلام قد أشرفا على العالم بنور الموعدة والتعليم الروحى ، ونشرا لواء الدعوة الى الكمال الحقيقى ، ووقفنا نفسيهما الكريمتين فى سبيل تهذيب النفوس والأخلاق ونبها على ظاهر أدواء النفوس وباطنها ، ومثار أوبئة الأخلاق وفساد الأهواء فخذرا من عدواها ، وعلمها علاجها ، ودلا على دوائها ، ففتحوا بيمارستان التعليم وطافا لعموم العلاج ، ولطفوا للناس الدواء ، وروقا بعذب البيان ولطف الدعوة ومزاج الحكمة ، واستشعروا الزهد والتقشف والوعظ والإرشاد والعبادة والإجتهاد رغبة فيما عند الله ، وليقتدى الناس بهما ويهتدون بهداهما فهما سبيل الوعظ والتعليم وسهلا للناس تعاطيه والتفنن فى بيانه ، فسلكه بعدهما تابعوهما والمتصقون بتابعيتهم ، واختلفوا فيه بالقول والعمل بين صادق وماذق وعارف وقاصر وناصح ومخادع .

خليلى قطاع الطريق الى الحى كثير وان اواصلين قليل
فلا عجب إذا تحرى العهد الجديد منهج الوعظ والتعليم تمثلاً بشبه
الإنتساب ، ولكنه ويا للأسف كم وكم شذت به الشواذ فجمع بين الأضداد
وألقى مضامينه فى معترك التناقض (فضح التطبيع شيمة المطبوع) .
وجاء فى الإنجيل الرائج عن قول المسيح لا تدعوا لكم أباً على الارض
لأن أباكم واحد الذى فى السموات .

ويا أسفاه فانا نرى كل من يتصدر من النصارى للرياسة الدينية والسيطرة
فى تعليم الإنجيل لا يرضى من الناس إلا أن يدعوه « الأب فلان » فيدعوه الناس
بذلك بلا تكبير بل هو أيضاً يسمى نفسه « الأب فلان » وليس هذا فى عصر
واحد وقرن واحد .

وما أكثر ما تسمع وترى فى الصحف قول النصارى فى رؤساء ديانتهم
« الآباء اليسوعيين » .

عجباً فأين نقل الإنجيل عن تعليم المسيح ، أتراهم يرون الإنجيل
مكذوباً على المسيح ؟ أم ألهمهم روح القدس أن يجعلوا هذا التعليم وهذا
النهى تحت أقدامهم ؟

ومما كرهه العهد الجديد وأكده فى تعليمه حث العبيد على طاعة ساداتهم
وان يحسبوهم مستحقين كل الاكرام وإن كانوا غير مؤمنين (١ فى ٦ ، ١ و ٢)
ويرضوهم فى كل شىء (٢ فى ٥٩) .

ولم يتعرض فى هذين المقامين لشىء من تعليم السادة بالرأفة بعبيدهم ،
ولكنه أكد وشدد على العبيد بأن يخدموهم بخوف ورعد فى بساطة قلب ،
(اف ٦ ، ٥) ، ويطيعوهم فى كل شىء من القلب ، كما للرب (كو ٣ ، ٢٢ و
٢٣) ، نعم فى هذين المقامين أوصى السادة بمعاملة العبيد بالعدل والمساواة
وإن يتركوا التهديد .

وهذان التعليمان لم يجرىا على ناموس الحكمة ، بل جريا على المحاباة ومصانعة اوجوه ، فان العبيد المساكين تكفيهم عصا السادات في التعليم وعنف التسخير خصوصاً إذا كان ساداتهم غير مؤمنين ، وان الذى تقتضيه الحكمة هو التأكيد على السادات بمعاملة العبيد بالرأفة والرحمة والتخفيف ، وترغيبهم الى فك عبيدهم من أسر الرق وعنايته وذلته ، كما احتاط القرآن الكريم على هذه المكارم من جميع وجوهها حتى جعل العتق باباً من العبادات والقربات ، ونحواً من خصال الكفارات ، وجعل سهماً من الزكوة لفك العبيد من عناء الرق ، وسيأتى بيان ذلك مفصلاً مشروحاً فى محله إن شاء الله .

وشدد أيضاً بالتعليم بالخضوع للسلطين القائمة معللاً بأنها من الله ومرتبة منه ، وان من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله لانه خادم الله للصلاح يلزم أن يخضع له بالضمير ويوفى الجزية لانه خادم الله ، وان تعطى الجزية لمن له الجزية ، والجباية لمن له الجباية ، والخوف لمن له الخوف يعطى الجميع حقوقهم هذه (رو ١٣ ، ١ - ٨) .

وهذا التعليم لاهل رومية الذين هم تحت سلطان قيصر ، وان القياصرة فى الوقت المجمعول له هذا التعليم قد كانوا وثنيين ، وأعداء للهة النصرانية مضطهدين لمن ينتسب للمسيحية ، وكل من يعتبر تلك الحال يعلم ان هذا التعليم قد تعدى الى الافراط الفاسد ، نعم لو كان بغير هذا الاسلوب لا يمكن أن يجرى على وجه صحيح .

ومضمون نقل الاناجيل عن المسيح هو أن الجزية ليست حقاً للقيصرة ولا يجوز اعطائها لهم ، وذلك ان اليهود نصبوا له شبكة فى سؤالهم عن اعطاء الجزية لقيصر لعلمهم بأنه لا يجوز ذلك فأرادوا أن يجاهر بذلك فيجعلونه ذنباً عليه عند قيصر والوالى فعلم بمكرهم وخبثهم فليجأ الى التقية والحياذ عن الجواب

بالمنع ولكنه مع ذلك سلك مسلك التعمية والايهام في الجواب فأخذ ديناراً فقال : لمن هذه الصورة ؟ فقالوا لقيصر فقال اعطوا ما لقيصر وما لله الله (مت ٢٢ و مر ١٢ و لو ٣٠) ، فجمع بين التقيية والتخلص من مكرهم وبين عدم المجاهرة بمخالفة حكم الله ، فتلطف وعي في الجواب ، ولكنه لما أمر بطرس باعطاء الجزية عنهما بين له ان اعطائها لهم لئلا يكدرهم ويحملهم على العثرة به (مت ١٧ ، ٢٧) .

وأن هذا من التعليم المتقدم الذي يجعل الجزية حقا لقيصر ، أفلا ترى محاباة السلطان وخدمة أفكاره لائحة أو ظاهرة على طرفه ومغالاته ، أم تقول انه تعليم سلطاني ؟

وقد حث العهدان على السلام ، فقيمهما أحبوا الحق والسلام (زك ٨ ، ١٩) ، طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون (مت ٥ ، ٩) وان ملكوت الله بر وسلام (رو ١٤ ، ١٧) وهو من ثمار الروح (غل ٥ ، ٢٢) ومن اهتمامها (رو ٨ ، ٦) ، وثمر البر يزرع بالسلام من الذين يفعلون السلام (يع ٣ ، ١٨) ، اتبعوا السلام مع الجميع (عب ١٣ ، ١٤) وإن كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس (رو ١٢ ، ١٨) .

حتى ان الانجيل يذكر عن قول المسيح نهى المظلوم عن الانتصار والانتصاف بل والدفاع ، كما في قوله : لا تقاوموا الشر من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا (مت ٥ ، ٣٩ و ٤٠) .

وان أولى من يتبع هذه التعاليم ويعلم بها هم الذين يدعون الروحانية والرياسة الدينية ، ولكنك لو استنطقت التاريخ المتعجب عما جنته دوائر الكاثوليك على البروتستنت وديار البروتستنت على الكاثوليك لانبأك

بغرائب المصائب ، ومنكرات الأحوال ، وان باح لك ببعض سره
لا بكله أو جلله . .

أفتري ذلك كان لأجل سياسة ملكية ، كلا ، ولكنها قساوة مزاعم
الروحانية وعواصف تلك الأهواء الوبيثة .

ولو سألت الزمان المتحسر والتاريخ المتأسف وقلت من هو الذى قاوم
الدين والصلاح والإنسانية والسلام وأضرم نار الحروب الصليبية وقاد ظلمها
وساق قسوتها وأنكل الإنسانية وألبسها ثوب الحزن والعار والشنار لقالا لك
بعين عبرى وقلب شجى لا نعلم مثيراً لغبارها وناشراً للوائها وموريا لنارها
وملقحاً لها ومستنتجاً منها ذلك النتاج المشوم إلا الأُسقفية والمطارنة ومزاعم
الروحانية والرهينة ، لماذا ؟ أهي لأجل الدعوة الى التوحيد ، لا بل للدعوة
الى التثليث وتأليه البشر ؟ أم هي لأجل ترك الاوثان ، لا ، بل لأجل
تمثيل الصور والايقونات .

أم لأجل العمل بالشرعية ، لا بل لأجل الإستراحة من نواميسها
المكلمة ورياضاتها المؤدبة .

أم لأجل تقديس المسيح وتنزيهه عن قول الباطل فيه ، لا بل لأجل
أن يتلى فى شأنه « قدس سره » (مت ١١ ، ١٨ و ١٩ ، و ١٢ ، ٤٦ - ٥٠ و لو
٣٦ ، ٧ - ٥٠ و يو ٨ ، ٧ و ١٠ ، و ١٣ ، ٢٣ - ٢٦) .

وسائر ما ذكرناه فى الجزء الاول صحيفة ١٩٧ - ٢٠٥ - و ٢٢٧ - ٢٣٣
(ودع عنك نهبا صيغ فى حجراته) .

أفلا ترى وتسمع فى يومك وأمسك ضوضاء الهمجية الفاحشة وتفاحش
القول البذى فى الجرأة القبيحة على قدس رسول الله المصطفى صلى الله عليه
 وآله وسلم مما يوقر صدى ضلاله اذنيك وتقذى به صحف السوء عينيك ، وهل
يجد تلك النفثات الشيطانية والضلالات الدجالية إلا من مزاعم الروحانية

التي اعتمدت بالماء ثم وارتكبت بالضلال والخطايا .

فيا للتوحيد والإيمان ويا للدين والتقوى ويا للعدل والصلاح ويا
للآداب والشرف ، أليس رسول الله (ص) هو الذي نهض بنفسه الكريمة
في معترك الضلال ومحتشد الشرك وغمرات الظلم وظلمات الوحشية فأقام منار
التوحيد وأعلام الإيمان ومحى ضلال الشرك واستأصل الوثنية ولاشي
العوائد الوحشية وأحيى نظام العدل وأوضح نهج الصلاح ومهد سبيل التقوى
وسهل معارج السعادة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، كل ذلك بأصدق دعوة
وأحسن موعظة وأجمل دفاع أعدده بعواطف الرحمة وكريم الصبح
وحسن الولاية وجميل الأثر .

وهل تراهم نقموا منه إلا تبليغه عن الله تقدست أسماؤه قوله جللت آلاؤه
في كتابه الكريم (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه
أن يكون له ولد) .

فهل وجدوا في ذلك دعوة الى شرك أو اختلاسا في التوحيد أو غشافي
النصيحة أو شدة في التوبيخ أو عنفا في الزجر أو فحشا في القول أو غلطة
في الموعظة ، أو بذاوة في الكلام ، ولئن ساءم هدى هذه الدعوة ،
وحسن هذه الموعظة ، والنصيحة ، فانه يسوء أولا سابقهم في دعوة
التثليث والاقانيم .

وهاهم البراهمة ، والبوذيون لا تنفيلت منهم هذه البوادر ، ولا
تبدر منهم هذه الفحشاء .

وقد اقتضى لي الاستعجال في نشر هذا المكتوب ان اختم الجزء الثاني
من كتاب الهدى حامداً لله شاكرأ لفضله مصليا على أنبيائه ورسله وأوليائه
سائلا منه بجرمتهم أن يسدني بالتوفيق ويفتح لي باب الهدى والحواب انه
ولي التوفيق وهو أرحم الراحمين .

فهرس الجزء الثاني

مواضيع الكتاب	الصفحة
الإشارة الى امريكا .	٣
الفصل الثالث : فى السماوات .	٥
آية السماوات السبع والهيئة القديمة والجديدة .	٦
الفصل الرابع : فى دفع أوهام الاعتراض على قصص القرآن .	١٠
نتيجة .	١٢
التنبيه المقصود هاهنا .	»
أمودج هذا المورد .	١٤
فى شهادة السبعينية على العبرانية .	١٩
» شهادة بوجود الزيادة فى الأصل العبرانى .	٢٣
المورد الثانى عشر : شهادة العهد الجديد بالنقصان والتحرير .	٢٤
تتمة الصدر والتميد .	٢٦
المعائب التاريخية على الكتاب .	٢٨
القسم الثانى : فى اختلاف نسخ التوراة فى التاريخ .	٣٥
الاختلاف فى الأعمار .	٣٨
خطأ المتكلف فى دعوى البكورية .	٤٠
اختلاف العبرية والسبعينية والسامرية فى الآباء والأعمار .	٤١
اختلاف العمدين فى إقامة بنى اسرائيل فى مصر .	٤٥
آيات خلق السماوات والأرض ، والمتعرب .	٥٧
آيات خلق الجان .	٦٤
بيل والمتكلف والأرواح النجسة .	٦٦

الصفحة	(مواضيع الكتاب)
٧٩	خلقة آدم وشأن الملائكة .
٧٧	آية سجود الملائكة لآدم .
٧٩	آيات أكل آدم من الشجرة وتوبته والتوراة .
٨٥	غرق ابن نوح فى الطوفان .
٨٨	شأن ابراهيم والكوكب .
٨٩	آيات محاجة ابراهيم مع النمرود .
٩٠	دعوى المتكلف ملاقة نوح لابراهيم .
٩١	نسبة الشك الى ابراهيم والتوراة .
٩٣	عود الأجسام .
٩٧	آية بشرى الملائكة لابراهيم .
٩٨	عدد الملائكة الذين جاؤا الى ابراهيم .
٩٩	آية امتحان ابراهيم بذبح ابنه .
١٠٠	ابراهيم واسماعيل والكعبة .
١٠٤	الكعبة وبرية فاران والتوراة .
١٠٨	منازل بنى اسماعيل والتوراة .
١١٣	رسالة هود الى عاد ، وصالح الى ثمود وشعيب .
١١٨	النبوة والتوراة .
١١٩	القرآن والمتكلف .
١٢١	ثمود والناقة .
١٢٤	سورة يوسف فى القرآن الكريم وقصته فيها .
١٣٦	آية الوادى طوى ، وشجرة تخرج من طور سيناء .
١٣٧	استطراد ومناسبة فى الذكر .

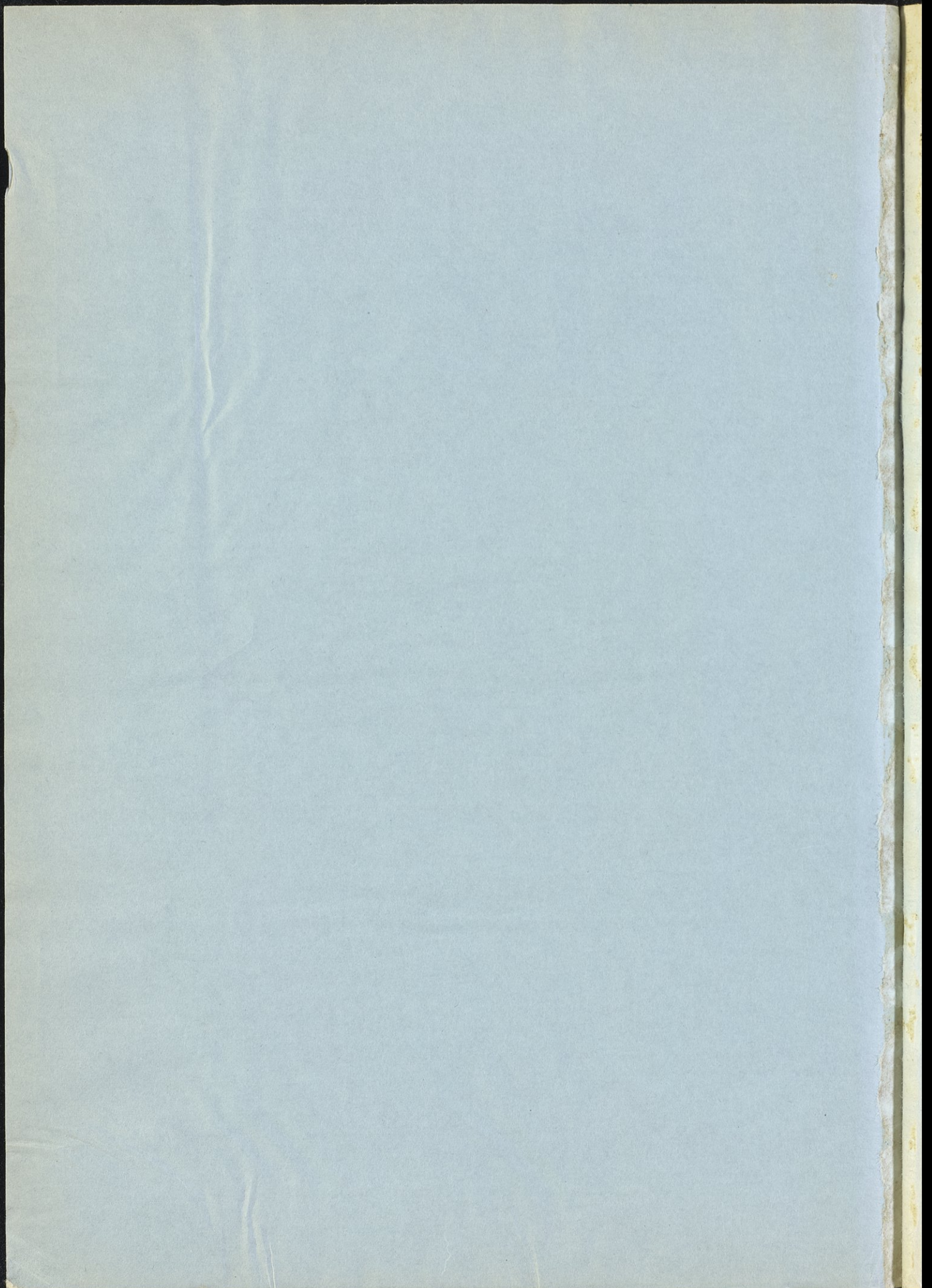
(مواضيع الكتاب)

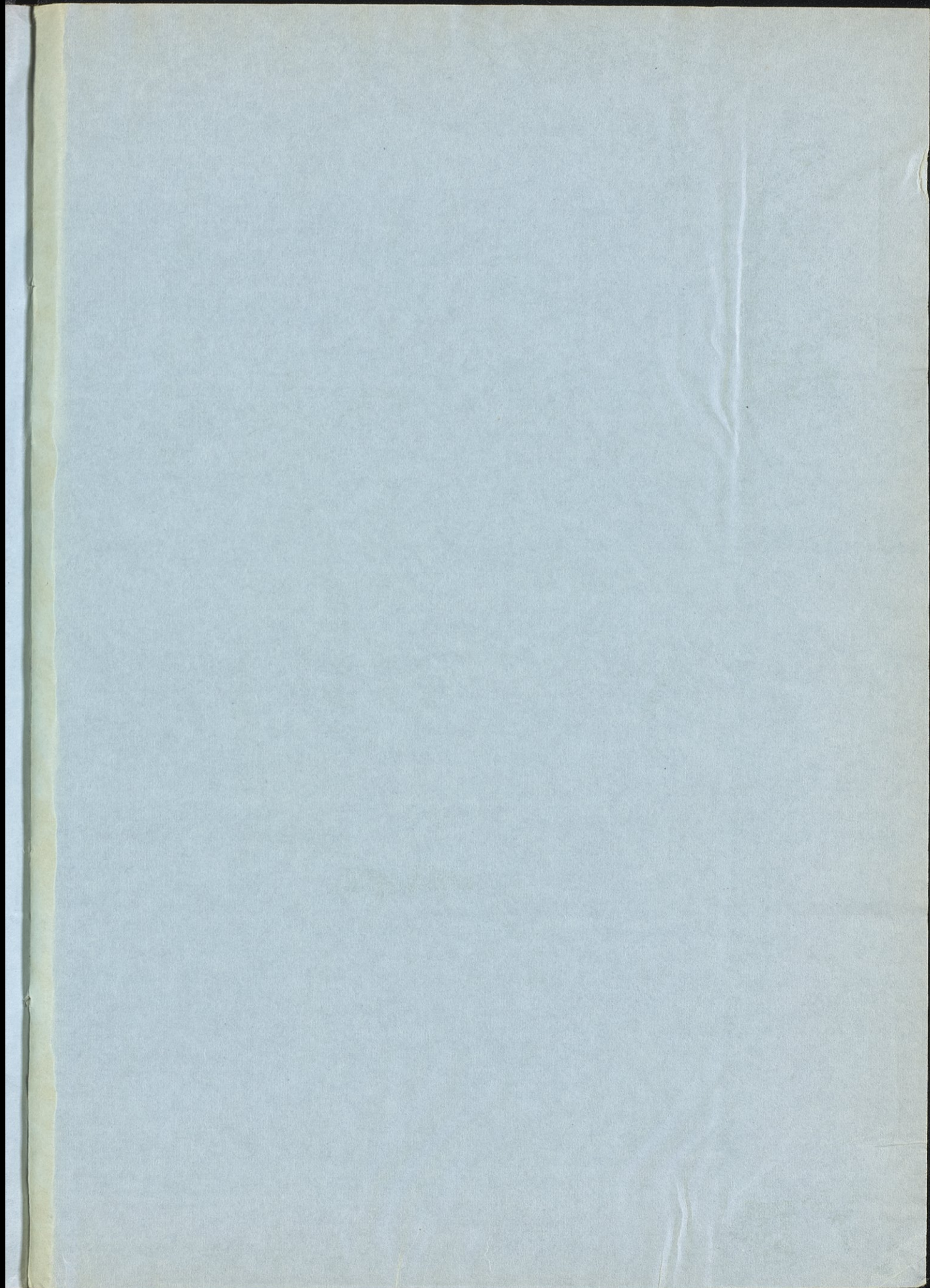
الصفحة

آية دعوة موسى لفرعون الى الهدى والصلاح .	١٤٠
دعوة رسول الله المباركة وسيرته الصالحة .	١٤٤
آية تبوءا بمصر بيوتاً .	١٤٧
القرآن فى شئون موسى وفرعون والسحرة .	١٥٥
إيمان السحرة .	١٥٧
موسى وفرعون وبنى اسرائيل .	١٥٨
الطوفان على المصريين ، هامان وزير فرعون .	١٥٩
القرآن وحال فرعون عند الغرق .	١٦٠
آية نتقنا الجبل فوقهم .	١٦٥
انفجار العيون لموسى .	١٦٨
الآيات فى عجل بنى اسرائيل .	١٧١
أرواح موسى والتوراة .	١٧٥
آيات طلب بنى اسرائيل من نبىهم ماكا .	١٧٨
آية التابوت تحمله الملائكة .	١٨١
التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى .	١٨٣
آية طالوت وجنوده والابتلاء بالنهر .	١٨٤
سفر القضاة .	١٨٦
سفر أصموئيل .	١٩٠
تسميح الجبال والطير مع داود .	١٩٢
آية تسميح الجبال والطير مع داود .	١٩٣
آية ألتاله الحديد .	١٩٤
آية تسخير الريح والجن لسليمان .	١٩٦

مواضيع الكتاب	الصفحة
آية علمنا منطق الطير .	١٩٨
إدراك الحيوانات .	٢٠٠
آيات الهدهد وملكة سبأ .	٢٠٣
آية السحر وما انزل على هاروت وماروت .	٢٠٥
آيات السبت والقردة .	٢٠٨
آية أماته الله مائة عام .	٢١١
آية إحياء الأنوف .	٢١٥
آيات لقان وحكمته ووعظه .	٢١٨
كتب المهدين ، آية يا ذا القرنين .	٢٢٤
آيات طلب زكريا للولد .	٢٢٦
آية كفالة زكريا لمريم رزقها من الله .	٢٢٨
آية طلب زكريا للآية وصمته .	٢٣٠
آيات حمل البتول مريم وولادتها .	٢٣٢
حمل مريم بالمسيح وولادتها المقدسة والعمدين .	٢٣٤
نذر مريم في القرآن ، والمتعرب .	٢٣٦
آيات مائدة المسيح .	٢٣٩
قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم .	٢٤١
الأسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى .	٢٤٢
المعراج الى السماء .	٢٤٣
الحلف بالعمدين .	٢٤٦
آية الكفر بعد الايمان .	٢٤٩
آية العسل فيه شفاء .	٢٥٣

الصفحة	(مواضيع الكتاب)
٢٥٤	آية دابة الارض ، وجهنم لها سبعة أبواب .
٢٥٧	المقدمة الرابعة عشرة الفصل الاول : في الإلهيات .
٢٧٢	خلق السموات والارض وما فيها .
٢٧٣	النبوّة والانبيااء .
٢٨٥	المسيح والعهد الجديد والمتكلف .
٢٨٦	الآب الحال في ، لست من هذا العالم .
٢٨٩	البرزخ في العهد الجديد ، احتجاجه للقيامة .
٢٩٣	البرزخ ومجيء المسيح وعلاماته .
٢٩٨	التوحيد ، الأدب والمواسم .
٣٠٤	تحریم بعض الحيوانات . ٣٠٤
	في الملابس ، والمطاعم .
	الفصل الثالث : في الطهارة والنجاسة .
٣٠٧	الفصل الرابع : في النكاح .
٣٠٩	» الخامس : في الطلاق .
٣١٠	» السادس : في الحرب والجهاد .
٣١٢	» السابع : في السياسة الشرعية .
٣١٣	في المواريث .
٣١٤	في شريعة العهد الجديد .
٣١٦	المأخذ لتعليم العهد الجديد .
٣١٧	حثة العبيد على الطاعة .
٣١٨	حثة على السلم والسلام .
٣١٩	خاتمة الكتاب .

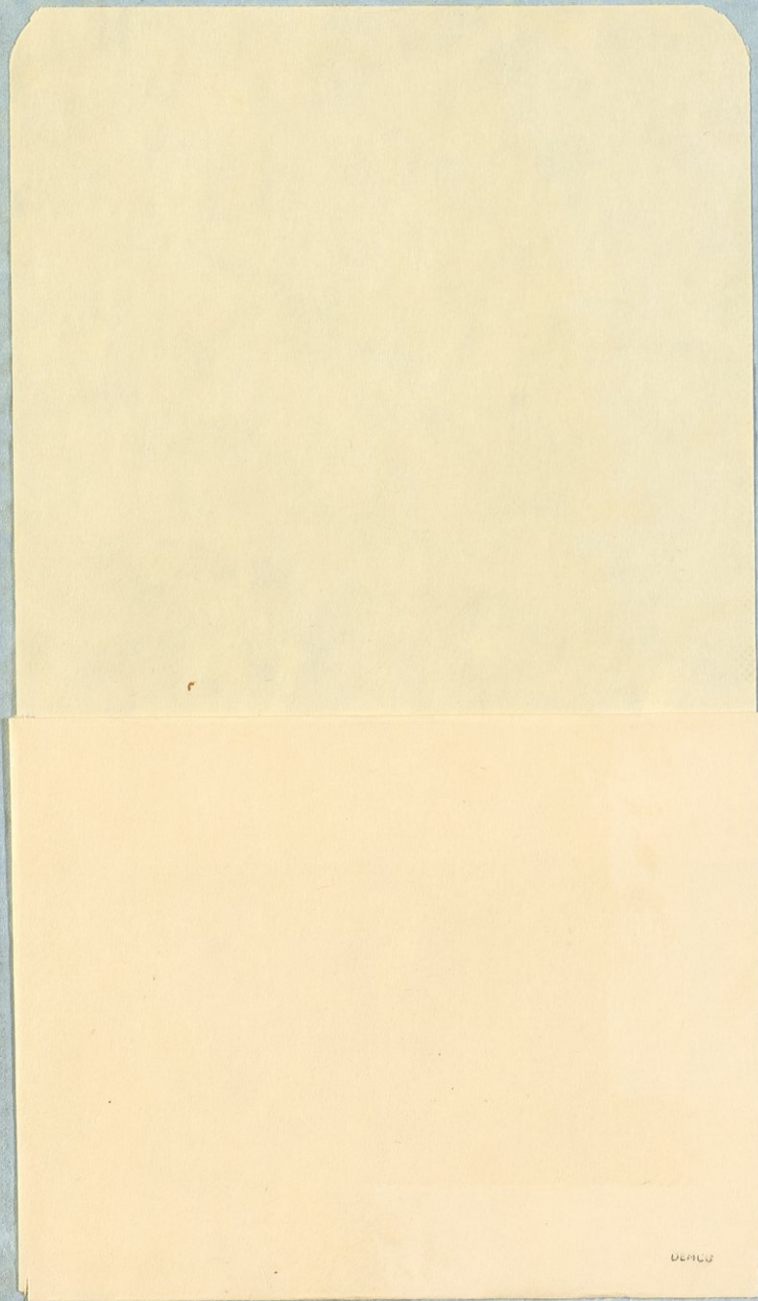




COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036758310



DEPUS

JUN 28 1982

